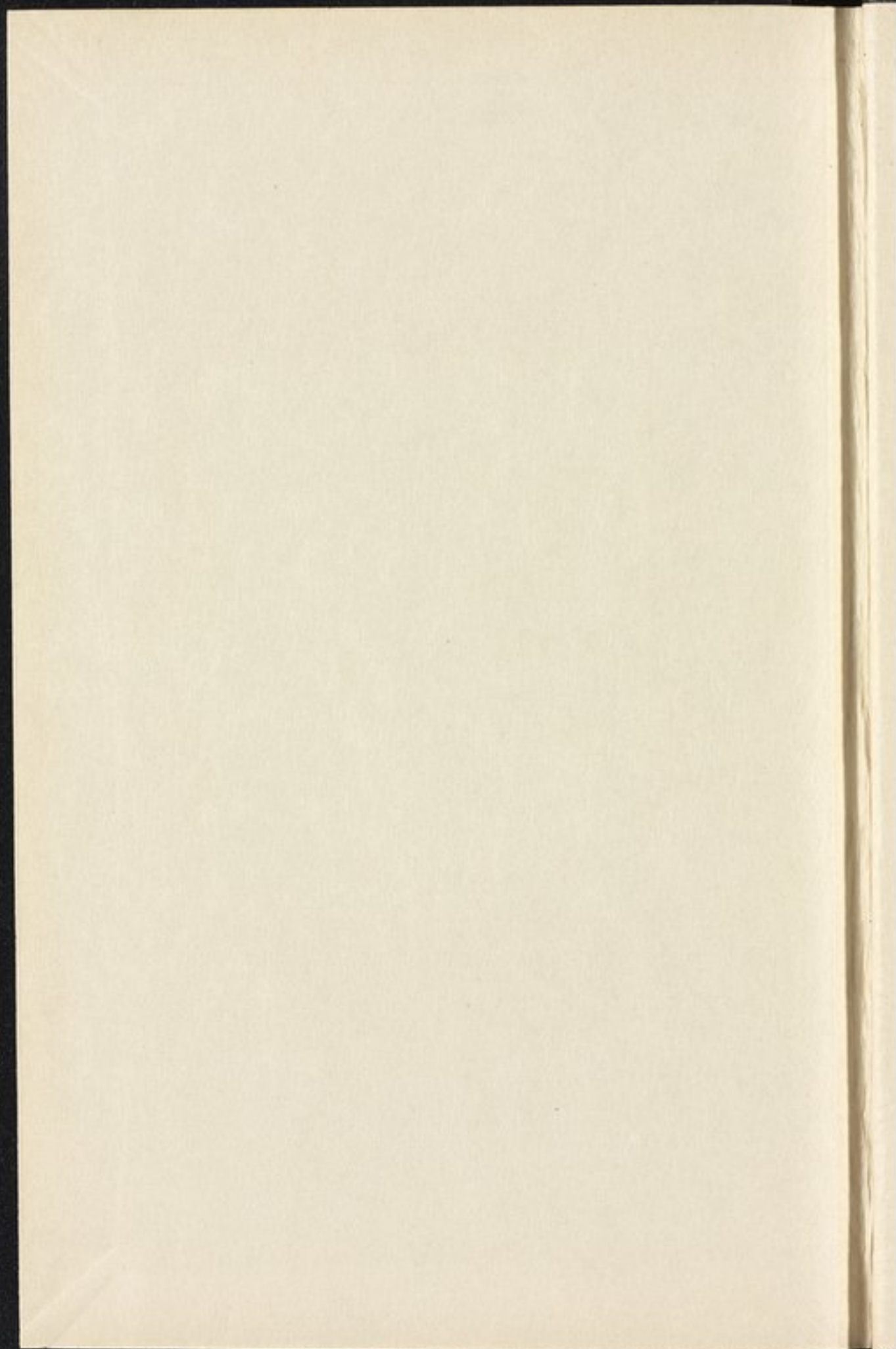
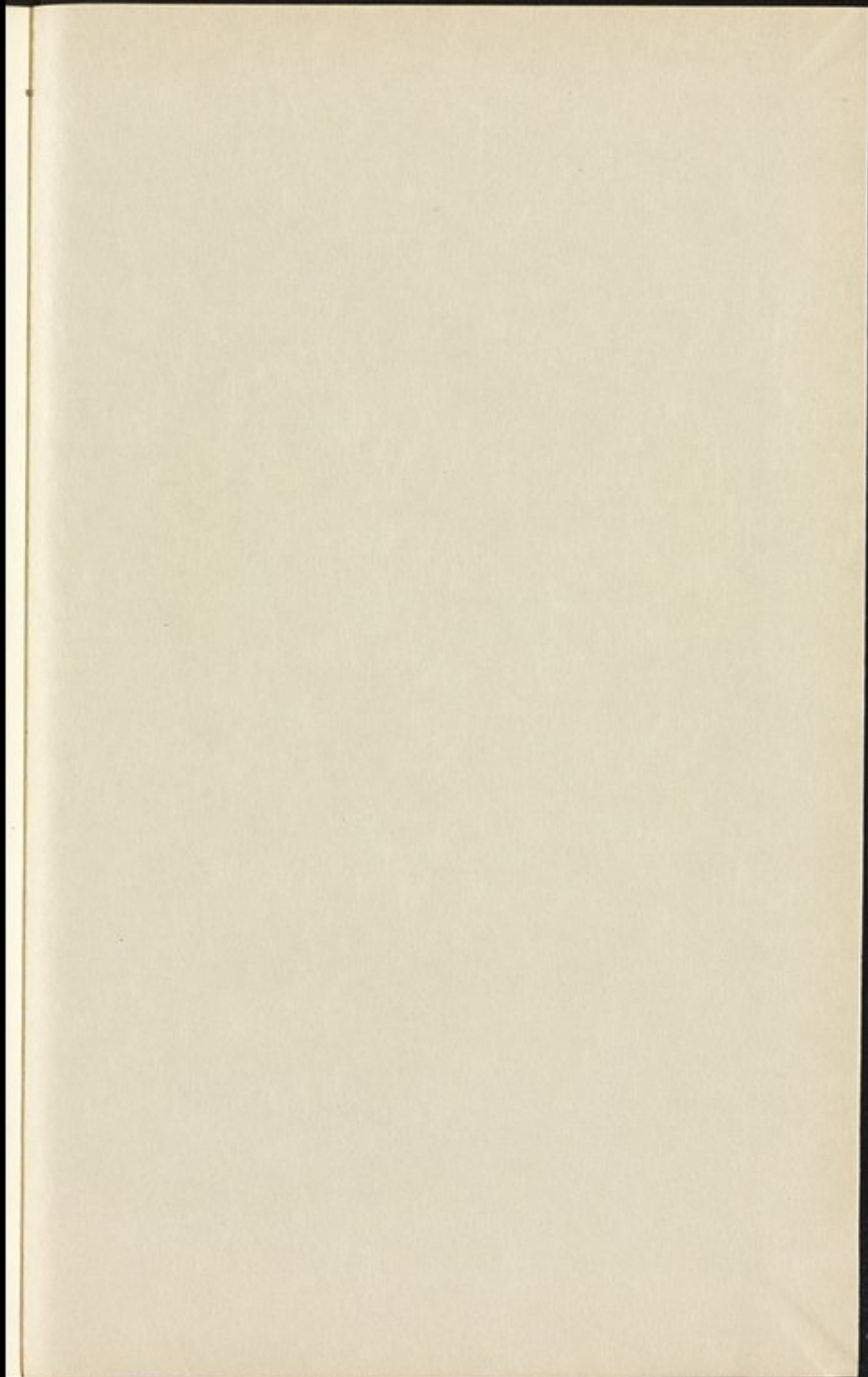


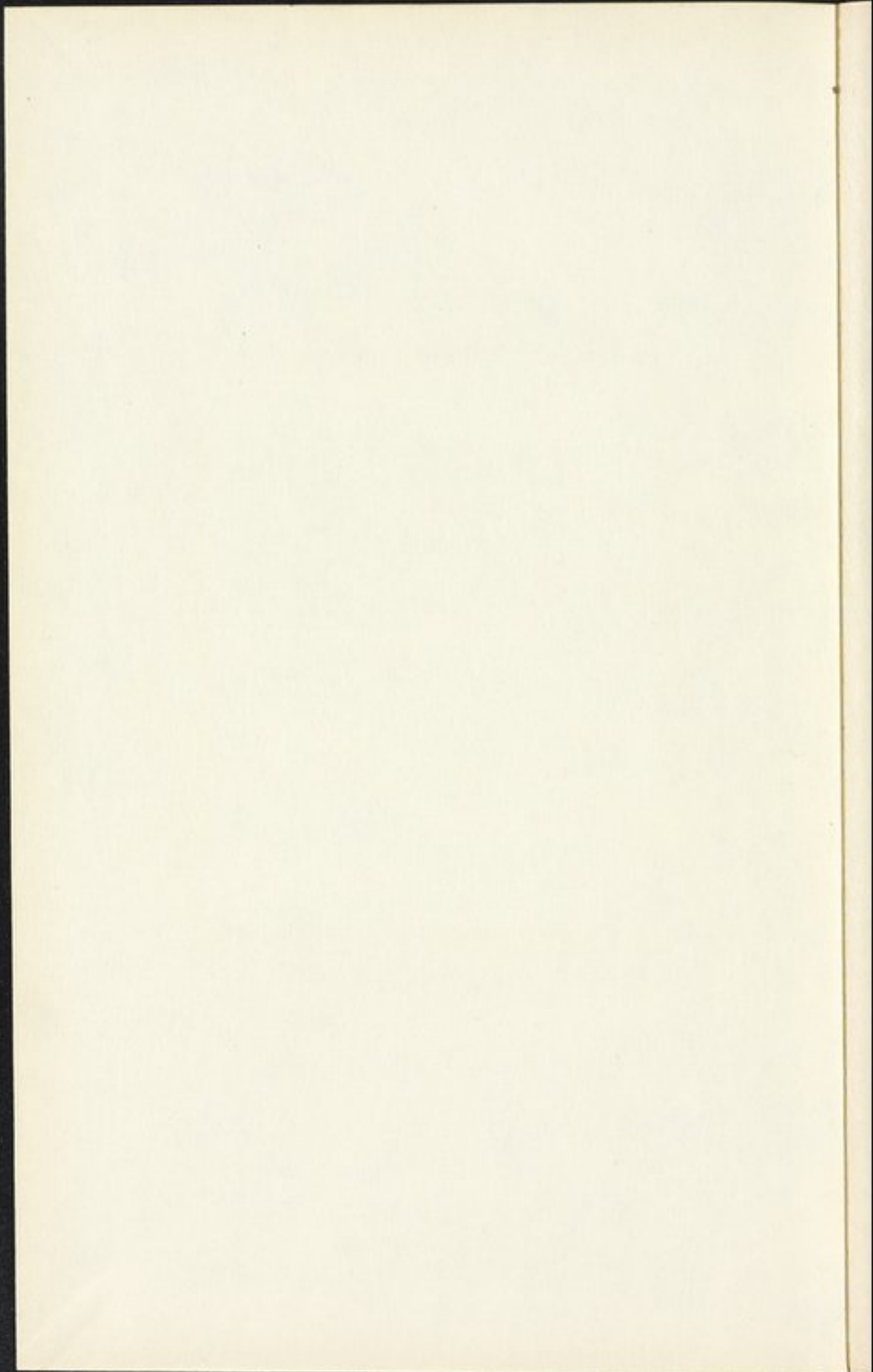
THE LIBRARIES
COLUMBIA UNIVERSITY

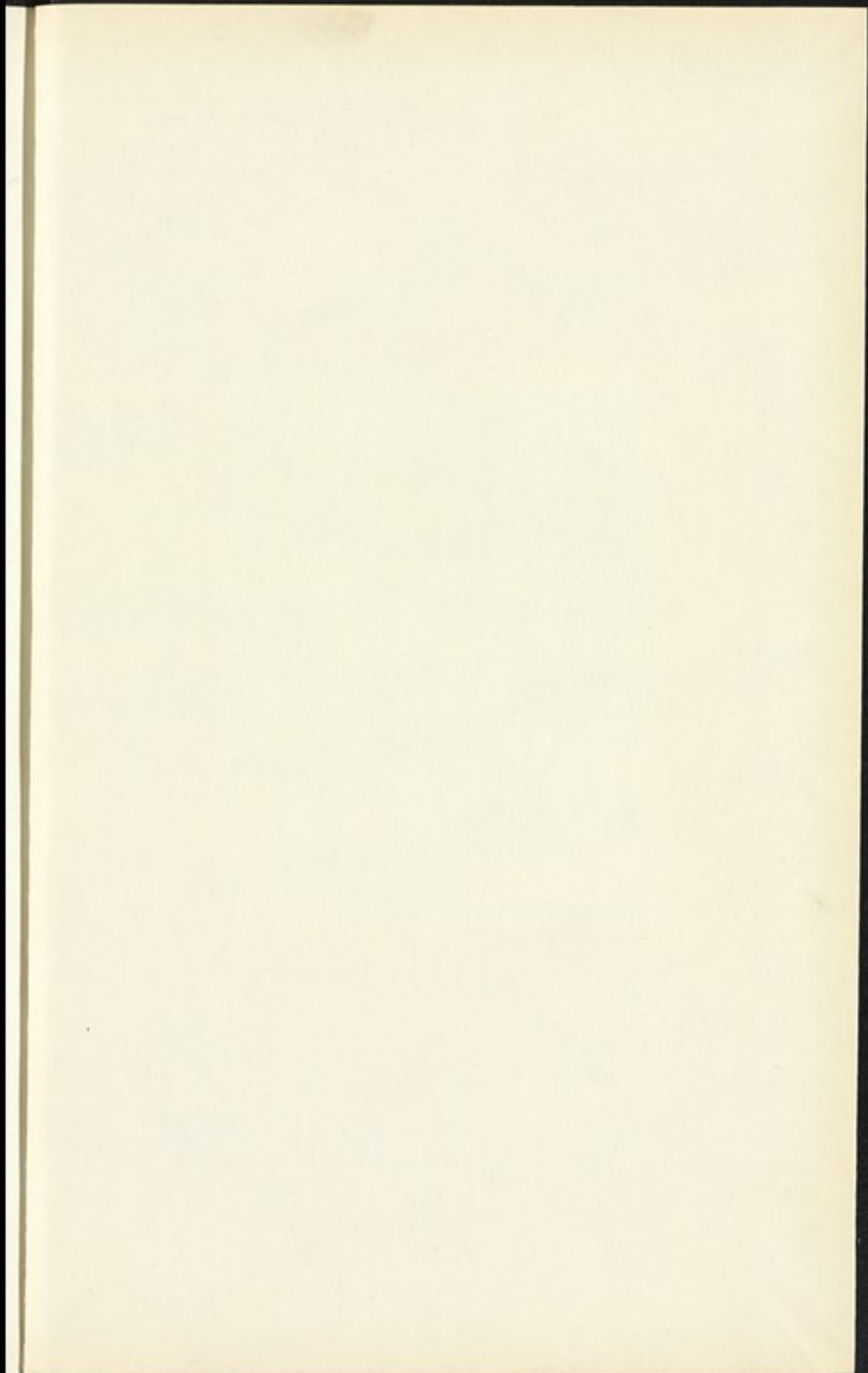


GENERAL LIBRARY









الشيخ ابو العباس احمد بن خالد الناصري

كتاب

الاستقصا

لأخبار دول المغرب الاقصى



الدولتان المرابطية والموحدية

الجزء الثاني



محقق وتعليق ولدى المؤلف :
الاستاذ جعفر الناصري — والاستاذ محمد الناصري



حقوق الطبع محفوظة لولدى المؤلف

مطبعة دار الكتاب

الدار البيضاء

١٩٥٤

~~964~~
~~SL17~~

DT
314
.5252
v.2

v.2

58647 T

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الدولة المرابطية

الخبر عن الدولة الصنهاجية المتونية المرابطية وأوليتها

قد تقدم لنا عند الكلام على نسب البربر وشعوبها أن صنهاجة احدى قبائل الرانس من البربر ، وأنهم أعظم قبائلها بالمغرب ، لا يكاد قطر من أقطاره يخلو من بطن من بطونهم في جبل أو بسيط ، حتى زعم كثير من الناس أنهم نلت البربر .

وتقدم لنا أن النساين من العرب زعموا أن صنهاجة وكامة من حمير ، حلصهم الملك أفريقيش بالمغرب ، فاستحالت لغتهم الى البربرية . والتحقيق خلاف ذلك وأنهم من كنعان بن حام كسائر البربر ، وتحت صنهاجة قبائل كثيرة تنتهى الى السبعين ، منهم : لتونة وكدالة ومسوفة ومسراتة ومداسة وبنو وارث وبنو دحير وبنو زياد وبنو موسى وبنو فشتال وغير ذلك ، وتحت هذه القبائل بطون وأفخاذ تفوت الحصر .

وكانت لهم بالمغرب دولتان عظيمتان احدهما : دولة بنى زيرى بن مناد الصنهاجين بافريقية ، ورثوا ملكها من يد الشيعة العبيدين والاخرى : دولة الملتمين بالمغرب الأقصى والوسط والاندلس كما سيأتى .

وموطن هؤلاء الملتمين أرض الصحراء والرمال الجنوبية فيما بين بلاد البربر وبلاد السودان ، ومساحة أرضهم نحو سبعة أشهر طولاً فى أربعة عرضاً ، وفيهم قوما لا يعرفون حرثاً ولا زرعاً ولا فاكهة ، وانما أموالهم الانعام وعيشهم اللحم واللبن ، يقيم أحدهم عمره لا يأكل خبزاً الا أن يمر ببلادهم التجار فيتحفونهم بالخبز والدقيق ، وانما قيل لهم الملتمون لانهم يتلثمون ، ولا يكشفون وجوههم أصلاً .

قال ابن خلدان : « اللثام سنة لهم يتوارثونها خلفا عن سلف ، وسبب ذلك على ما قيل أن حمير كانت تلتئم لشدة الحر والبرد فتفعله الخواص منهم ، فكثر ذلك حتى صار تفعله عامتهم . وقيل كان سببه أن قوما من أعدائهم كانوا يقصدون غفلتهم إذا غابوا عن بيوتهم فيطرقون الحى فيأخذون المال والحريم ، فأشار عليهم بعض مشايخهم أن يبعثوا النساء فى زى الرجال الى ناحية ، ويقعدوا هم فى البيوت متلثمين فى زى النساء . فإذا أتاهم العدو وظنوهم نساء خرجوا عليهم . ففعلوا ذلك وناروا عليهم بالسيوف فقتلوهم ، فلزموا اللثام تبركا به بما حصل لهم من الظفر بالعدو . »

وقال عز الدين ابن الاثير فى كامله ما مثاله : وقيل ان سبب تلتئمتهم أن طائفة من لمتونة خرجوا مغيرين على عدو لهم فخالفهم العدو الى بيوتهم ، ولم يكن بها الا المشايخ والصبيان والنساء ، فلما تحقق المشايخ أنه العدو أمروا النساء أن يلبسن ثياب الرجال ويتلثمن ويضيقنه حتى لا يعرفن ، ويلبسن السلاح ففعلن ذلك وتقدم المشايخ والصبيان أمامهن واستدار النساء بالبيوت ، فلما أشرف العدو رأى جمعا عظيما فقلته رجلا وقالوا : هؤلاء عند حريمهم يقاتلون عنهن قتال الموت ، والرأى أن نسوق النعم ونمضى فان اتبعونا قاتلناهم خارجا عن حريمهم ، فبينما هم فى جمع النعم من المراعى اذ أقبل رجال الى الحى ، فبقى العدو بينهم وبين النساء ، فقتلوا من العدو خلقا كثيرا وكان من قتل النساء أكثر ، فمن ذلك الوقت جعلوا اللثام سنة بلازمونه ، فلا يعرف الشيخ من الشاب ، ولا يزيلونه ليلا ولا نهارا .

رمى ذلك يقول أبو محمد بن حامد الكاتب :

قوم لهم شرف العلاء من حمير واذا اتموا صنهجة ، فهم هم
لما حووا احراز كل فضيلة غلب الحياء عليهم ، فلتئمتوا

وقال ابن خلدون : « كان دين صنهجة أهل اللثام المجوسية شأن برابرة المغرب ، ولم يزالوا مستقرين بتلك المفاصل الصحراوية حتى كان

اسلامهم بعد فتح الاندلس ، وكانت الرياسة فيهم للمتونة واستوسق (١) لهم ملك ضخمة عند دخول عبد الرحمن بن معاوية الى الاندلس ، توارثه ملوك منهم من بنى ورتنطو (٢) وطالت أعمارهم فيه الى الثمانين ونحوها ودهخوا تلك البلاد الصحراوية ، وجاهدوا من بها من أمم السودان وحملوهم على الاسلام فدان به كثير منهم واتقاهم آخرون بالجزية فقبلوها منهم ، ثم افترق أمرهم من بعد ذلك وصار ملكهم طوائف ورياستهم شيعة ، واستمروا على ذلك مائة وعشرين سنة ، الى أن قام فيهم الامير أبو عبد الله محمد ابن تيفاوت المعروف بتاسرت (٣) اللمتوني فاجتمعوا عليه وأجوه وباعوه ، وكان من أهل لفضل والدين والجهاد والحج فلبث فيهم ثلاث سنين ثم استشهد في بعض غزواته .

الحبر عن رياسة يحيى بن ابراهيم الكدالي

وما كان من أمره مع الشيخ أبي عمران الفاسي رحمهما الله



لما توفي أبو عبد الله بن تيفاوت قام بأمر صنهاجة من بعده يحيى ابن ابراهيم الكدالي ، - وكدالة ولمتونة أخوان يجتمعان في أب واحد ؛ وكل منهما قبيل كبير يسكنون الصحراء التي تلي بلاد السودان ويليهما من جهة المغرب البحر المحيط - فاستمر الامير يحيى بن ابراهيم على رياسة صنهاجة وحربهم لاعدائهم الى أن كانت سنة سبع وعشرين وأربعمائة ،

(١) راجع نص ابن خلدون في صحيفة ٢٣٥ من الجزء الاول طبع الجزائر فيه بعض تقديم وتأخير وزيادة بيان .

(٢) الذي في نسخ ابن خلدون انه ورتنطق بالقاف .

(٣) الذي في ابن خلدون صحيفة ٢٣٦ طبع الجزائر جزء أول انه تارشت ونسخة مطبوعة مصر صحيفة ١٨٢ من الجزء السادس انه ناشرت ومسى القرطاس طبع فاس تارشنا اوتارشت .

فاستخلف على صنهاجة ابنه ابراهيم بن يحيى وارتحل الى المشرق برسم الحج . فلما قضى حجه وزيارته قفل الى بلاده ، فمر في عوده بالقيروان فلقى بها الشيخ الفقيه أبا عمران الفاسي ، وحضر مجلس درسه وتأثر بوعظه ، فرآه الشيخ أبو عمران محبا في الخير فأعجبه حاله ، وسأله عن اسمه ونسبه وبلده فأخبره بذلك كله وأعلمه بسعة بلاده وما فيها من كثرة الخلق ، فقال له الشيخ : « وما ينتحلون من المذاهب ؟ » قال : « انهم قوم غلب عليهم الجهل وليس لهم كبير علم ! » فأخبره الشيخ وسأله عن فروض دينه فلم يجده يعرف منها شيئا ! الا أنه حريص على العلم صحيح النية والعقيدة ! فقال له الشيخ : « وما يمنعك من تعلم العلم ؟ » فقال : « ياسيدى عدم وجود عالم بأرضي ، وليس في بلادى من يقرأ القرآن فضلا عن العلم ! ومع ذلك فأهل أرضي يحبون الخير ويرغبون فيه لو وجدوا من يقرئهم القرآن ، ويدرس لهم العلم ويفقههم في دينهم ويعلمهم الكتاب والسنة وشرائع الاسلام ، فلو رغبت في الثواب من الله تعالى لبعث معي بعض المبتك يقرئهم القرآن ويفقههم في الدين فينتفعون به ويكون لك وله الاجر العظيم عند الله تعالى اذ كنت سبب هدايتهم » فندب الشيخ أبو عمران تلامذته الى ذلك فاستصعبوا دخول أرض الصحراء وأشفقوا منها ، فقال الشيخ أبو عمران ليحيى بن ابراهيم : « اني أعرف بلد نفيس (١) من أرض المصامدة فقيها حاذقا ورعا أخذ عنى علما كثيرا - واسمه واجاج بن زلو اللمطي من أهل السوس الأقصى - اكتب اليه كتابا لينظر في تلامذته من يعنه معك فسر اليه لعلك تجد حاجتك عنده » فكتب اليه الشيخ أبو عمران كتابا يقول فيه : « أما بعد اذا وصلتك حامل كتابي هذا وهو : يحيى بن ابراهيم الكدالي فابعث معه من طلبتك من تتق بعلمه ودينه

(١) بلد نفيس قرب أغمات كانت موجودة زمان الكبرى وقد ذكرها نسي مسالكة فراجع ما ذكره في حقها في صحيفة ١٦٠ طبع الجزائر وراجع ما كتب عليها في الجزء الاول من هذه الطبعة صحيفة ١٥٣ تعليق عدد ٢ .

وورعه وحسن سياسته ليقرئهم القرآن ، ويعلمهم شرائع الاسلام ويفقههم في دين الله ، ولك وله في ذلك الثواب والاجر العظيم ، والله لا يضيع أجر من أحسن عملا .

وأبو محمد واجاج هذا من رجال التشوف قال فيه : « ومنهم واجج ابن زلو اللمطي من أهل السوس الاقصى رحل الى القيروان ، وأخذ عن أبي عمران الفاسي ثم عاد الى السوس ، فبنى دارا سماها بدار المرابطين لطلبة العلم وقراء القرآن ، وكان المصامدة يزورونه ويتبركون بدعائه واذا أصابهم قحط استسقوا به ، اه

فسار يحيى بن ابراهيم بكتاب الشيخ أبي عمران حتى وصل الى الفقيه واجاج بمدينة نفيس ، فسلم عليه ودفع اليه الكتاب ، وكان ذلك في رجب سنة ثلاثين وأربعمائة فنظر الفقيه واجاج في الكتاب ، ثم جمع تلامذته فقرأ عليهم وندبهم لما أمر به الشيخ أبو عمران ، فانتدب لذلك رجل منهم يقال له عبد الله بن ياسين الجزولي ، وكان من حذاق الطلبة ومن أهل الفضل والدين والورع والسياسة ، مشاركاً في العلوم ، فخرج مع يحيى ابن ابراهيم الى الصحراء ، وكان من أمره ما نقصه عليك .

الخبر عن دخول عبد الله بن ياسين أرض الصحراء وابتداء أمره بها



!! انتهى يحيى بن ابراهيم الى بلاده - ومعه الفقيه عبد الله بن ياسين الجزولي - تلقاه قبائل كدالة ولتونة وفرحوا بمقدمهما ، وتيمنوا بالفقيه وبالغوا في اكرامه وبره ، فشرع يعلمهم القرآن وقيم لهم رسم الدين ويسوسهم بآداب الشرع ، وألفاهم يتزوجون بأكثر من أربع حرائر ، فقال لهم : « ليس هذا من السنة ، وانما سنة الاسلام أن يجمع الرجل بين أربع نسوة حرائر فقط ، وله فيما شاء من ملك اليمين سعة ، وجعل يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، وكبحهم عن كثير من

مألوفاتهم الفاسدة وشدت في ذلك ، فأطرحوه واستصعبوا علمه ، وتركوا
الآخذ عنه لما جشمهم من مشاق التكليف .

فلما رأى عبد الله بن ياسين اعراضهم عنه واتباعهم لاهوائهم عزم على
الرحيل عنهم الى بلاد السودان الذين دخلوا في دين الاسلام يومئذ ، ثم
يتركه يحيى بن ابراهيم لذلك ، وقال له : انما آتيت بك لانتفع بعلمك
في خاصة نفسي وما على فيمن ضل من قومي . وكان قومه ليس عندهم
من الاسلام الا الشهادة دون ما عداها من أركان الاسلام وشرائعه .

ثم قال يحيى بن ابراهيم لعبد الله بن ياسين : «هل لك في رأى أشير
به عليك ان كنت تريد الآخرة؟» قال : «وما هو؟» قال : «ان ههنا جزيرة
في البحر » . قال ابن خلدون : «هو بحر النيل يحيط بها من جهاتها
يكون ضحضا في المصيف يخاض بالاقدام وغمرا في الشتاء يعبر بالزوارق»
قال يحيى بن ابراهيم : وفيها الحلال المحض من سجر البرية وصيد البر
والبحر ، ندخل فيها ونقتات من حلالها ونعبد الله تعالى حتى نموت » .
فقال عبد الله بن ياسين : «ان هذا الرأى حسن ! فهلم بنا فلندخلها على
اسم الله ! فدخلها ودخل معها سبعة نفر من كدالة ، وابنتى عبد الله رابطة
هناك ، وأقام في اصحابه يعبدون الله تعالى مدة من ثلاثة اشهر ؛ فتسامع
الناس بهم وأنهم اعتزلوا بدينهم يطلبون الجنة والنجاة من النار ! فكرر
الواردون عليهم ، والتوابون لديهم ، فأخذ عبد الله بن ياسين يقرئهم القرآن
ويسئلهم الى الخير ، ويرغبهم في ثواب الله ويحذرهم ألم عقابه حتى تمكن
جبه من قلوبهم ، فلم تمر عليه الا مدة يسيرة حتى اجتمع له من التلامذة
نحو ألف رجل ! وكان من أمرهم ما تسمعه عن قريب .



شروع عبد الله بن ياسين في الجهاد واعلانه بالدعوة وما كان من أمره في ذلك



لما اجتمع الى عبد الله بن ياسين من اشراف صنهاجة نحو ألف رجل
سماهم : المرابطين للزومهم رابطة .

ولما تفقهوا ودرسخ فيهم الدين قام فيهم خطيبا فوعظهم وشوقهم الى
الجنة وخوفهم من النار ، وأمرهم بقوى الله والامر بالمعروف والنهي عن
المنكر ، وأخبرهم بما في ذلك من ثواب الله تعالى وعظيم جزائه ، ثم ندبهم
الى جهاد من خالفهم من قبائل صنهاجة وقال لهم : « معشر المرابطين ،
انكم اليوم جمع كبير نحو ألف رجل ! ولن يغلب ألف من قلة ! وأنتم
وجوه قبائلكم ورؤساء عشائركم ، وقد أصلحكم الله تعالى وهداكم الى
صراطه المستقيم ، فوجب عليكم أن تشكروا نعمته عليكم بأن تأمروا
بالمعروف وتنهوا عن المنكر وتجاهدوا في الله حق جهاده ! » فقالوا له :
« أيها الشيخ المبارك امرنا بما شئت تجدنا سامعين لك مطيعين ! ولو أمرتنا
بقتل آباءنا لفعلنا ! » فقال لهم : اخرجوا على بركة الله ، وانذروا قومكم
وخوفوهم عقاب الله وابلغوهم حجة فان تابوا فخلوا سبيلهم وان أبوا من
ذلك وتمادوا في غيهم ولجوا في طغيانهم استعنا بالله تعالى عليهم وجاهدناهم
حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين . » فسار كل رجل منهم الى قومه
عشيرته . فوعظهم وأنذروهم ودعاهم الى الافلاع عماهم بسبيله ، فلم يرفعوا
بذلك رأسا .

فخرج اليهم عبد الله بن ياسين بنفسه وجمع أشياخ قبائلهم ووجوهها
وقرأ عليهم حجة الله ! ودعاهم الى التوبة ! ورجبهم في الجنة ، وخوفهم من
النار ، وأقام يندروهم سبعة أيام ! وهم في ذلك كله لا يلتفتون الى قوله !
ولا يزدادون الا فسادا ! فلما يس منهم قال لاصحابه : « قد أبلغنا في

الحجة ، وأنذرنا وأعذرنا ، وقد وجب علينا الآن جهادهم ، فاغزوهم على بركة الله ، فبدأ أولا بقبيلة كدالة فغزاهم في ثلاثة آلاف رجل من المرابطين فانهزموا بين يديه ، وقتل منهم خلقا كثيرا . وأسلم الباقون اسلما جديدا ، وحسنت حالهم ، وأدوا ما يلزمهم من كل ما فرض الله عليهم ، وكان ذلك في صفر سنة أربع وثلاثين وأربعمائة .

ثم سار الى قبيلة لتونة فنزل عليها وقتلهم حتى أظهره الله عليهم ، وأذعنوا الى الطاعة ، وبايعوه على اقامة الكتاب والسنة .

ثم سار الى قبيلة مسوفة فقاتلهم حتى أذعنوا له ، وبايعوه على ما بايعته لتونة وكدالة .

فلما رأى ذلك سائر صنهاجة سارعوا الى التوبة والمبايعة ، وأقروا له بالسمع والطاعة . فكان كل من أتاه تابئا منهم يظهره بأن يضربه مائة سوط ثم يعلمه القرآن وشرائع الاسلام ، وكان يأمرهم بالصلاة والزكاة وأداء العشر ، واتخذ لذلك بيت مال يجمع فيه ما يرفع اليه من ذلك .

ثم أخذ في اشتراء السلاح واركاب الجيوش من ذلك المال ، وجعل يغزوا القبائل حتى ملك جميع بلاد الصحراء وذل قبائلها .

ثم جمع أسلاب القتلى في تلك المغازي وجعلها فيئا للمرابطين وبعث بمال دثر مما اجتمع لديه من الزكوات والاعشار والاحماس الى طلبة العلم ببلاد المصامدة ، فاشتهر أمره في جميع بلاد الصحراء وما والاها ، من بلاد السودان وبلاد القبلة وبلاد المصامدة وسائر أقطار المغرب ، وأنه قام رجل بكدالة يدعوا الى الله تعالى والى الصراط المستقيم ويحكم بما أنزل الله ، وأنه متواضع زاهد في الدنيا ، وطار له ذكر في العالم ، وتمكن ناموسه من القلوب وأحبه الناس .

ثم توفي يحيى بن ابراهيم الكدالي على اثر ذلك ، وحكى ابن خلدون أن وفاة يحيى بن ابراهيم كانت قبل اعتزال عبد الله بن ياسين وأصحابه في الجزيرة . والله أعلم .

الخبر عن رياسة يحيى بن عمر بن تكللا كمين اللمتوني



لما توفي يحيى بن ابراهيم الكدالي عزم عبد الله بن ياسين على تقديم رجل يقوم بأمر المرابطين في حربهم وجهادهم لعدوهم .

وكانت قبيلة لتونة من بين قبائل سنهاجة أكثر طاعة لله تعالى وديننا وصلاحا ، فكان عبد الله بن ياسين يكرمهم ويقدمهم على غيرهم ، وذلك لما أراه الله تعالى من ظهور أمرهم وتملكهم على الخلق ، فجمع عبد الله بن ياسين رؤوس القبائل من سنهاجة وولى عليهم يحيى بن عمر اللمتوني - وعبد الله بن ياسين هو الامير على الحقيقة لانه هو الذي يأمر وينهى ويعطي ويمنع ، وعن رأيه يصدرن - فكان يحيى بن عمر يتولى النظر في أمر الحرب وعبد الله بن ياسين ينظر في أمر الدين وأحكام الشرع ويأخذ الزكوات والاعشار .

وكان يحيى شديد الانقياد لعبد الله بن ياسين ، وانما عند أمره ونهيه فمن حسن طاعته له انه قال له يوما : « قد وجب عليك أدب » قال يحيى : « فيماذا ياسيدي ؟ » قال : « لا أعرفك به حتى آخذه منك ! فكشف له يحيى عن بشرته فضربه عشرين سوطا ثم قال له : « انما ضربتك لانك باشرت القتال ! واصطليت بنار الحرب بنفسك ! وذلك خطأ منك ! فان الامير لا يقاتل ، وانما يقف ويحرض الناس ، ويقوى نفوسهم ، فان حياة الجند بحياة أميره ، وهلاكه بهلاكه . »

واستقام الامر ليحيى بن عمر ، وملك جميع بلاد الصحراء ، وغزا بلاد السودان ففتح كثيرا منها ، وكان من أهل الزهد والدين والصلاح .



الخبر عن غزو عبد الله بن ياسين ويحيى بن عمر سجلماسة والسبب في ذلك



قد تقدم لنا عند الكلام على بنى مدرار المكناسيين أصحاب سجلماسة أن انقراض دولتهم كان على يد خزرون بن فلفل بن خزر المغراوي ، وأنه زحف الى سجلماسة سنة ست وستين وثلاثمائة ، وبرز اليه صاحبها أبو محمد المعتز بالله - آخر ملوك بنى مدرار الصفرية - فهزمه خزرون وقتله واستولى على بلده وذخيرته ، وبعث برأسه الى قرطبة - وكان ذلك لأول حجابة المنصور بن أبي عامر - واستمر خزرون بن فلفل واليا على سجلماسة الى أن هلك وولى بعده ابنه وانودين بن خزرون الى أن هلك أيضا وولى ابنه مسعود بن وانودين .

ولما انقرضت الدولة الاموية بالاندلس وافترق أمر الجماعة بها وصار الملك طوائف ، استبد امراء الاطراف وملوك زناتة بالمغرب كل بما في يده ، وعدم الوازع وتصرفوا في الرعايا بمقتضى أغراضهم وشهواتهم فنال فاسا وأعمالها من جور بنى عطية المغراويين ما حكينا بعضه قبل ، ونال أهل سجلماسة ودرعة من بنى خزرون بن فلفل المغراويين مثل ذلك أو أكثر .

فلما كانت سنة سبع وأربعين وأربعمائة - وقد انتشر ذكر عبد الله ابن ياسين وأصحابه المرابطين في العالم - اجتمع فقهاء سجلماسة ودرعة وكتبوا الى عبد الله بن ياسين ويحيى بن عمر وأشياخ المرابطين كتابا يرغبون اليهم في الوصول الى بلادهم ، ليظهروها مما هي فيه من المنكرات وشدة انعسف من الامراء ، وعرفوهم بما هم فيه أهل العلم والدين وسائر المسلمين من الذلل والصغار مع أميرهم مسعود بن وانودين المغراوي .

فلما وصل الكتاب الى عبد الله بن ياسين جمع رؤساء المرابطين وقرأ عليهم وشاورهم في الامر . فقالوا : «أيها الفقيه هذا مما يلزمنا ويلزملك ! سر بنا على بركة الله فدعا لهم بخير وحضهم على الجهاد .

وخرج بهم في عشرين من صفر سنة سبع وأربعين وأربعمائة في جيش كثيف من المرابطين - وقيل كان خروجه سنة خمس وأربعين وأربعمائة - فسار حتى وصل الى بلاد درعة فوجد بها عامل مسعود بن وانودين فنفاه عنها ، ووجد بها خمسين ألف ناقة لمسعود المذكور - وكانت ترعى في حمى حماه لها هنالك - فاكسحها عبد الله بن ياسين . واتصل الخبر بمسعود فجمع جيوشه وخرج نحوه ، فالقى الجمعان فيما بين درعة وسجلماسة . فكانت بينهما حرب فظيعة منح الله فيها المرابطين النصر على مغراوة ، نقتل أميرهم مسعود وأكثر جيشه وفر الباقون .

واستولى عبد الله بن ياسين على دوابهم وأسلحتهم وأموالهم مع الابل التي كان اكسحها في درعة ، فأخرج الخمس من ذلك كله وفرقه على فقهاء سجلماسة ودرعة وصلحائهما وقسم الاربعة أخماس على المرابطين .

وارتحل من فوره الى سجلماسة فدخلها وقتل من وجد بها من مغراوة وأقام بها حتى أصلح شأنها وغير ما وجد بها من المنكرات وقطع المزامير وآلة اللهو وأحرق الدور التي كانت تباع بها الحُمور وأزال المكوس وأسقط المغارم المخزنية ومحا ما أوجب الكتاب والسنة محوه . واستعمل على سجلماسة عاملا من لمتونة وانصرف الى الصحراء .

ثم توفي الامير أبو زكرياء يحيى بن عمر فسي بعض غزواته ببلاد السودان سنة سبع وأربعين وأربعمائة .

الخبر عن رياسة أبي بكر بن عمر اللمتوني وفتح بلاد السوس



لما توفي الامير يحيى بن عمر اللمتوني ولي عبد الله بن ياسين مكانه أخاه أبا بكر بن عمر ، وذلك في محرم سنة ثمان وأربعين وأربعمائة ، وقلده أمر الحرب والجهاد ، ثم ندب المرابطين الى غزو بلاد السوس والمصامدة . فزحف اليها في جيش عظيم في ربيع الثاني من السنة المذكورة .

وكان أبو بكر بن عمر رجلا صالحا ورعا فجعل على مقدمته ابن عمه يوسف بن تاشفين اللمتوني ، ثم سار حتى انتهى الى بلاد السوس . فنزح جزولة من قبائلها وفتح مدينة ماسة (١) وتارودانت - قاعدة بلاد السوس - وكان بها قوم من الرافضة يقال لهم البجليّة (٢) نسبة الى علي بن عبد الله البجلي الرافضي - كان سقط الى بلاد السوس أيام قيام عيد الله الشيعي بأفريقية - فأشاع هنالك مذهب الرافضة فتوارثوه عنه جيلا بعد جيل وعضوا عليه فكانوا لا يرون الحق الا ما في يدهم . فقاتلهم عبد الله بن ياسين وأبو بكر بن عمر حتى فتحوا مدينة تارودانت عنوة وقتلوا بها خلقا كثيرا ورجع من بقي منهم الى مذهب السنة والجماعة .

وحاز عبد الله بن ياسين أسلاب القتلى منهم فجعلها فيثا وأظهر الله المرابطين على من عداهم ففتحوا معقل السوس وخضعت لهم قبائله ، وفرق عبد الله بن ياسين عماله بنواحيه وأمرهم بأقامة العدل وإظهار السنة وأخذ الزكوات والاعشار واسقاط ما سوى ذلك من المغارم المحدثه

فتح بلاد المصامدة وما يتبع ذلك من جهاد برغواطة

وفتح بلادهم وذكر نسبهم



ثم ارتحل عبد الله بن ياسين الى بلاد المصامدة ففتح جبل درن ، وبلاد رودة ، ومدينة شفشواوة بالسيف . ثم فتح مدينة نفيس وسائر بلاد كدميوه ووفدت عليه قبائل رجراجة وحاحة فبايعوه . ثم ارتحل الى مدينة أغمات

(١) مدينة ماسة ذكرها البكري في مسالكه فقال انها قرب السوس ويضاف اليها الوادي المنصب في المحيط صحيفة ١٦١ طبع الجزائر .
(٢) انظر بسط الكلام على البجليين في مسالك البكري صفحة ١٦٢ طبع الجزائر وراجع القرطاس ايضا .

- وبها يومئذ أميرها لقوط بن يوسف بن علي المغراوي - فنزل عليها وحاصرها حصارا شديدا .

ولما رأى لقوط ما لا طاقة له به أسلمها وفر عنها ليلا هو وجميع حشمه الى تادلا فاستجار ببني يفرن ملوك سلا وتادلا .

ودخل المرابطون مدينة أغمات سنة تسع وأربعين وأربعمائة فأقام بها عبد الله بن ياسين نحو الشهرين ريثما استراح الجند ، ثم خرج الى تادلا ففتحها وقتل من وجد بها من بني يفرن ملوكها وظفر بلقوط المغراوي قتلته .

وكان للقوط هذا امرأة اسمها زينب بنت اسحق النفاوية . قال ابن خلدون : وكانت من احدى نساء العالم المشهورات بالجمال والرياسة وكانت قبل لقوط عند يوسف بن علي بن عبد الرحمن بن وطاس شيخ وريكة فلما قتل المرابطون لقوط بن يوسف المغراوي خلفه أبو بكر بن عمر علي امرأته زينب بنت اسحق المذكورة الى أن كان من أمرها ما نذكره .

ثم تقدم عبد الله بن ياسين الى بلاد تامسنا ففتحها واستولى عليها ثم أخبر بأن بساحل تامسنا قبائل برغواطة في عدد كثير وجمع عظيم .

ولنذكر هنا كلاما ملخصا في برغواطة ودولتهم ثم نرجع الى ما نحن بصدده فنقول : اختلف الناس في نسب برغواطة هؤلاء الى أي شيء يرجع فبعضهم يلحقهم بزناة وبعضهم يقول في متبئهم صالح بن طريف البرغواطي : انه يهودي الاصل من سبط شمعون بن يعقوب عليه السلام نشأ ببرباط - حصن من عمل شدونة من بلاد الاندلس - ثم رحل الى المشرق وقرأ على عبيد الله المعتزلي . واشتغل بالسحر وجمع منه فنونا وقدم المغرب فنزل بلاد تامسنا . فوجد بها قبائل جهالا من البربر فأظهر لهم الصلاح والزهد وموه عليهم وخلصهم بلسانه وسحرهم بنير نجاته فصدقوه واتبعوه فادعى النبوة وشرع لهم شرائع ووضع لهم قرآنا - حسبما تقدم الخبر عنه مستوفى - فكان يقال لمن تبعه ودخل في دينه برباطي ثم عربته العرب فقالوا برغواطي فسموا برغواطة .

قال ابن خلدون : « وهذا من الاغاليط البينة ! » وصحح ان القوم من
المصامدة بشهادة الموطن والجوار وغير ذلك . والتحقيق أن برغواطة قبائل
شتى ليس يجمعهم أب واحد وانما هم أخلاط من البربر اجتمعوا الى صالح
ابن طريف الذى ادعى النبوة بئامسنا سنة خمس وعشرين ومائة من الهجرة
فى خلافة هشام بن عبد الملك بن مروان وتسمى بصالح المؤمنين وشرع
لاتباعه الديانة التى أخذوها عنه وكان صالح قد شهد مع أبيه طريف حروب
ميسرة المضغرى كبير الصفرية لعهدده وكان طريف يكنى أبا صبيح ومن كبار
أصحاب ميسرة المذكور ويقال انه ادعى النبوة أيضا وشرع لقومه الشرائع !
ثم هلك سنة سبع وعشرين ومائة ، وقام بأمره ابنه صالح بن طريف المذكور
فغفت مخارقه على مخارقه أبيه ! وكان أولا من أهل العلم والدين ثم انسلخ
من آيات الله واتحل دعوى النبوة وأتى من البهتان بما أوضحناه قبل نسي
ولاية حنظلة بن صفوان الكلبى على المغرب .

ثم خرج صالح بن طريف الى المشرق سنة أربع وسبعين ومائة بعد
أن ملك أمرهم سبعا وأربعين سنة ووعدهم انه يرجع اليهم فى دولة السابع
منهم وأوصى بشريعته الى ابنه الياس بن صالح . ولم يزل الياس مظهرا
للاسلام مصرا على ما أوصاه به أبوه من كلمة كفرهم وكان متظاهرا بالعفاف
والزهد الى أن هلك سنة أربع وعشرين ومائتين لمضى خمسين سنة من
ولايته . ثم ولى من بعده ابنه يونس بن الياس فأظهر دينهم ودعا الى كفرهم ،
وقتل من لم يدخل فى أمره حتى حرق مدائن تانسنا وما والاها يقال انه
حرق منها ثلاثمائة وثمانين مدينة واستلجم أهلها بالسيف لمخالفتهم اياه
وقتل منهم بموضع يقال له تاملوكالات (وهو حجر عال نابت وسط الطريق)
سبعة آلاف وسبعمائة وسبعين نفسا .

قال زمور بن صالح (١) : ثم رحل يونس بن الياس الى المشرق وحج ،

(١) الذى فى النسخة المطبوعة بمدينة الجزائر أبو صالح زمور بن موسى

ولم يحج أحد من أهل بيته قبله ولا بعده . وهلك سنة ثمان وستين ومائتين
لاربع وأربعين سنة من ملكه . وانتقل الامر عن بنيه الى غيرهم من قرابته ،
فولى أمرهم أبو غفير محمد بن معاذ بن اليسع بن صالح بن طريف فاستولى
على ملك برغواطة وأخذ بدين آبائه واشتدت شوكة وعظم أمره ، وكانت
له فى البربر وقائع مشهورة وأيام مذكورة أشار الى شىء منها سعيد بن
هشام المصمودى فى أبيات منها قوله :

وهذى أمة هلكوا وضلوا * وعاروا ، لاسقوا ماء معيننا
يقولون النبى أبو غفير * فأخزى الله أم الكاذبيننا
سيعلم أهل تامسنا اذا ما * أتوا يوم القيامة مفضطينا
هنالك يونس وبنو أبيه * يقودون البرابر حائرنا

واتخذ أبو غفير من الزوجات أربعا وأربعين - لانهم يبيحون فى
ديانتهم الحسية أن يتزوج الرجل من النساء ما شاء - وكان له من الولد
مثل ذلك أو أكثر . وهلك أواخر المائة الثالثة لتسع وعشرين سنة من ملكه .
ثم ولى بعده ابنه أبو الانصار عبد الله بن أبى غفير فأقضى سنته ، وكان
كبير الدعوة مهيبا عند ملوك عصره يهادونه ويدافعونه بالمواصلة ، وكان
يلبس المحفة والسراويل ويلبس المخيط من الثياب ولا يعتم أحد فى بلاده
الا الغرباء ، وكان حافظا للجار وافيا للعهد ، وتوفى سنة احدى وأربعين
وثلاثمائة لاربع وأربعين سنة من ملكه ودفن بتاسلاخت وبها قبره .

وولى بعده ابنه أبو منصور عيسى بن أبى الانصار - وهو ابن اثنتين
وعشرين سنة - فسار سيرة آبائه وادعى النبوة واشتد أمره وعلا سلطانه ،
ودانت له قبائل المغرب قال زمور بن صالح : « كان عسكره يناهز الثلاثة
آلاف من برغواطة وعشرة آلاف من سواهم »
وقد كان لملوك العدوتين فى غزو برغواطة هؤلاء وجهادهم آثار
عظيمة من الادارسة والاموية والشيعية وغيرهم

ولما زحف بلكين بن زبرى بن مناد الضهاجى الى المغرب زحفه

(الاستقصا ناني م 2)

المشهور وأجفلت قبائل زناتة وملوكها بين يديه وانحازوا الى سبته وأطل عليهم من جبل تطوان وعابن جمعهم الكثيف رجع عنهم الى جهاد برغواطة، فأوقع بهم وقتل أميرهم أبا منصور عيسى بن أبي الانصار، وبعث بسبيهم الى القيروان وذلك سنة تسع وستين وثلاثمائة

ثم حاربهم أيضا جنود المنصور بن أبي عامر لما عقد ابنه عبد الملك المظفر لمولاه واضح على جهاد برغواطة، فعظم أثره فيهم بالقتل والسبي .

ثم حاربهم أيضا بنو يفرن لما استقل بنو يعلى بن محمد بن صالح منهم بناحية سلا واقطعوها عن عمل زيري بن عطية المفاوي صاحب فاس .

وكان لابي الكمال تميم بن زيري اليفرنى فيهم جهاد كبير حسبما تقدم التنبيه عليه وذلك أعوام العشرين وأربعمائة فغلبهم على تامسنا وولى عليها من قبله بعد أن أئخذ فيهم سبيا وقتلا

ثم تراجعوا من بعده الى أن جاءت دولة المرابطين ودخلوا أرض المغرب دخلتهم الثانية وفتحوا بلاد المصامدة وبلاد تادلا وتامسنا، فأخبر عبد الله بن ياسين بأن بساحلها قبائل برغواطة فى عدد كثير وجمع عظيم وأنهم مجوس أهل ضلالة وكفر، وأخبر بما تمسكوا به من ديانتهم الحثيثة. وقيل له ان برغواطة قبائل كثيرة وأخلاق شتى، اجتمعوا فى أول أمرهم على صالح بن طريف المتبىء الكذاب، واستمر حالهم على الضلالة والكفر الى الان. فلما سمع عبد الله بن ياسين بحال برغواطة وما هم عليه من الكفر رأى أن الواجب تقديم جهادهم على جهاد غيرهم فسار اليهم فى جيوش المرابطين - والامير يومئذ على برغواطة هو أبو حفص عبد الله من ذرية أبى منصور عيسى بن أبى الانصار عبد الله بن أبى غفير محمد بن معاذ بن اليسع بن صالح بن طريف - فكانت بينه وبين عبد الله بن ياسين ملاحم عظام، مات فيها من الفريقين خلق كثير وأصيب فيها عبد الله بن ياسين الجزولى - مهدي المرابطين - فكان فيها شهادته رحمه الله

وينا حضرته الوفاة قال لهم: «يامعشر المرابطين انى ميت من يومى هذا لامحالة!

وأنتكم في بلاد عدوكم فإياكم أن تجبنوا أو تنازعوا فنفشلوا وتذهب ريحكم،
وكونوا أعوانا على الحق وأخوانا فسى ذات الله ، وإياكم والتحاسد على
الرياسة فإن الله يؤتي ملكه من يشاء من خلقه ، ويستخلف فسى أرضه من
أراد من عباده ، في كلام غير هذا

وتوفى عبد الله بن ياسين عشية ذلك اليوم ، وهو يوم الأحد الرابع
والعشرين من جمادى الأولى سنة إحدى وخمسين وأربعمائة ، ودفن
بموضع يعرف بكريفة ، وبني على قبره مسجد وهو مشهور بها إلى الآن .
وكان عبد الله بن ياسين رحمه الله شديد الورع في المطعم والمنسرب
انما يعيش من لحوم الصيد ونحوها لم يأكل شيئا من لحوم ضهاجة ولا من
ألبانها مدة اقامته فيهم .

وكان مع ذلك كثير النكاح يتزوج في كل شهر عددا من النساء ثم
يطلقهن ولا يسمع بامرأة جميلة الا خطبها . ومن حسن سياسته أنه أقام
في ضهاجة السنة والجماعة حتى أنه ألزمهم أن من فاتته صلاة فسى جماعة
ضرب عشرين سوطا ومن فاتته ركعة منها ضرب خمسة أسواط .

ومن كراماته أن المرابطين خرجوا معه في بعض غزواته ببلاد السودان
نفذ ما معهم من الماء حتى أشرفوا على الهلاك فقام عبد الله فيمسم وحلى
ركعتين ودعا الله تعالى وأمن المرابطون على دعائه فلما فرغ من الدعاء قال
لهم : احفروا تحت مصلاى هذا ، فحفروا فصادفوا الماء على نحو شبر من
الأرض عذبا باردا ! فشربوا واستقوا وملاوا أوعيتهم . ومن تقواه وورعه
أنه لم يزل صائما من يوم دخل بلاد ضهاجة إلى أن توفى رحمه الله .

واستمر الأمير أبو بكر بن عمر على رياسته وجددت له البيعة بعد
وفاة عبد الله بن ياسين، فكان أول ما فعله بعد تجهيزه إياه ودفنه أن زحف
إلى برغواطة مصمما في حربهم ، متوكلا على الله في جهادهم ، فأئخن فيهم
قتلا وسبيا حتى تفرقوا في المكامن والغياض ، واستأطل شافتهم وأسلم
الباقون اسلاما جديدا ، ومحا أبو بكر بن عمر أثر دعوتهم من المغرب وجمع
شنائمهم وقسمها بين المرابطين وعاد إلى مدينة أغمات .

غزو أبي بكر بن عمر بلاد المغرب سوى ما تقدم وفتحها اياها



لما استقر الامير أبو بكر بن عمر بأغمات ، أقام بها الى صفر من سنة اثنين وخمسين وأربعمائة . وخرج غازيا بلاد المغرب في أمم لا تحصى من صنهاجة وجزولة والمصامدة . ففتح جبال فازاز وسائر بلاد زناتة وفتح مدائن مكناسة ثم نزل على مدينة لواتة فحاصرها حتى أفتحها عنوة بالسيف وقتل بها خلقا كثيرا من بني يفرن وخرابها فلم تعمر بعد الى الآن . وكان تخريبه اياها في آخر يوم من ربيع الثاني من السنة المذكورة ثم رجع الى مدينة أغمات .



عود أبي بكر بن عمر إلى بلاد الصحراء والسبب في ذلك



كان الامير أبو بكر بن عمر اللمتوني قد تزوج زينب بنت اسحق النفزاوية وكانت بارعة الجمال والحسن كما قلنا وكانت مع ذلك حازمة لبيبة ذات عقل رصين ورأى متين ومعرفة بادارة الامور حتى كان يقال لها الساحرة ، فأقام الامير أبو بكر عندها بأغمات نحو ثلاثة أشهر ، ثم ورد عليه رسول من بلاد القبلة فأخبره باختلال أمر الصحراء ، ووقوع الخلاف بين أهلها .

وكان الامير أبو بكر رجلا متورعا فعظم عليه أن يقتل المسلمون بعضهم بعضا ، وهو قادر على كفهم ، ولم ير أنه في سعة من ذلك وهو متولى أمرهم ومسؤول عنهم ، فعزم على الخروج الى بلاد الصحراء ليصلح أمرها ، ويقيم رسم الجهاد بها .

ولما عزم على السفر طلق امرأته زينب وقال لها عند فراقه اياها :

«يا زينب انى ذاهب الى الصحراء وأنت امرأة جميلة بضة لا طاقة لك على حرارتها ! وانى مطلقك ، فاذا انقضت عدتك فانكحى ابن عمى يوسف بن تاشفين فهو خليفتى على بلاد المغرب !» فطلقها ، ثم سافر عن اغمات وجعل طريقه على بلاد تادلا ، حتى أتى سجلماسة فدخلها وأقام بها أياما حتى أمسح أحوالها ثم سافر الى الصحراء

ونقل ابن خلكان عن كتاب «المغرب عن سيرة ملوك المغرب» فى سبب رجوع الامير أبى بكر بن عمر الى الصحراء ما مثاله قال : «كان أبو بكر ابن عمر رجلا ساذجا خير الطباع مؤثرا لبلاده على بلاد المغرب غير ميل الى الرفاهية . وكانت ولاية المغرب من زناتة ضعفاء لم يقاوموا المثلثين فأخذوا البلاد من أيديهم من باب تلمسان الى ساحل البحر المحيط . فلما حصت البلاد لابي بكر بن عمر سمع أن عجوزا فى الصحراء ذهبت لها ناقه فى غداة فبكت وقالت : ضيعنا أبو بكر بن عمر بدخوله الى بلاد المغرب ! فحملة ذلك على أن استخلف على بلاد المغرب رجلا من أصحابه اسمه يوسف ابن تاشفين ! ورجع الى بلاده الجنوبية ! » اه

وكان سفر أبى بكر بن عمر الى الصحراء فى ذى القعدة سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة ، ولما وصل اليها أصلح شأنها ورتب أحوالها وجمع جيشا كيفا وغزا به بلاد السودان فاستولى منها على نحو تسعين مرحلة .

وكان يوسف بن تاشفين قد استفحل أمره أيضا بالمغرب ، واستولى على أكثر بلاده . فلما سمع الامير أبو بكر بن عمر بما آل اليه أمر يوسف ابن تاشفين وما منحه الله من النصر أقبل من الصحراء ليختبر أحواله . ويقال انه كان مضرا لعزله وتولية غيره . فأحس يوسف بذلك فشاور زوجته زينب بنت اسحق - وكان قد تزوجها بعد أبى بكر بن عمر - فقالت له : «ان ابن عمك متورع عن سفك الدماء . فاذا لقيته فاترك ما كان يعهده منك من الادب والتواضع معه ! وأظهر أثر الترفع والاستبداد حتى كأنك مساو له ، ثم لاطفه مع ذلك بالهدايا من الاموال والحلج وسائر طرف

المغرب واستكثر من ذلك ، فانه بأرض صحراء وكل ما جلب اليه من هنا فهو مستطرف لديه»

فلما قرب أبو بكر بن عمر من أعمال المغرب خرج اليه يوسف بن تاشفين فلقبه على بعد ، وسلم عليه وهو راكب سلاما مختصرا . ولم ينزل له ولا تأدب معه الادب المعتاد ! فنظر أبو بكر الى كثرة جيوشه فقال له : «يايوسف ما تصنع بهذه الجيوش ؟» قال : «أستعين بها على من خالفني !» فارتاب أبو بكر به ثم نظر الى ألف بعير قد أقبلت موقرة فقال : « ما هذه الابل الموقرة ؟» قال : «أيها الامير اني قد جئت بك كل ما معي من مال وأثاث وطعام وادام لتستعين به على بلاد الصحراء !» فازداد أبو بكر تعرفا من حاله وعلم أنه لا يتخلى له عن الامر فقال له يابن عم : «أنزل أوصيك» فنزلا معا وجلسا فقال أبو بكر : «اني قد وليت هذا الامر واني مسؤول عنه فاتق الله تعالى في المسلمين واعتقني واعتق نفسك من النار ولا تضع من أمور رعيتك شيئا فانك مسؤول عنه . والله تعالى يصلحك ويمدك ويوفقك للعمل الصالح والعدل في رعيتك وهو خليفتي عليك وعليهم » ثم ودعه وانصرف الى الصحراء فأقام بها مواظبا على الجهاد في كفار السودان الى أن استشهد من سهم مسموم أصابه في شعبان سنة ثمانين وأربعمائة بعد أن استقام له أمر الصحراء كافة الى جبال الذهب من بلاد السودان والله غالب على أمره .



الحبر عن دولة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين اللمتوني



لما عزم الامير أبو بكر بن عمر على السفر الى بلاد الصحراء دعا ابن عمه يوسف بن تاشفين بن ابراهيم اللمتوني ، فعقد له على بلاد المغرب وفوض اليه أمره وأمره بالرجوع الى قتال من به من مغراوة وبنى يفرن

وسائر زناته والبربر . واتفق على تقديمه أشياخ المرابطين لما يعلمون من فضله ودينه وشجاعته ونجدته وعدله وورعه وسداد رأيه ويمن نقيته . فعاد يوسف من سجلماسة بنصف جيش المرابطين بعد ارتحال أبي بكر بن عمر بالنصف الآخر وذلك في ذى القعدة سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة .

ولما انتهى يوسف بن تاشفين الى ملوية ميز جيوشه فوجدها أربعين ألفا من المرابطين فاختار منهم أربعة من القواد وهم سير بن أبي بكر اللمتوني ، ومحمد بن تميم الكدالي ، وعمر بن سليمان المسوفى ، ومدرك التلكانى ، وعقد لكل قائد منهم على خمسة آلاف من قبيلته وجعلهم مقدمة بين يديه لقتال من بالمغرب من مغراوة وبنى يفرن وسائر قبائل البربر القائمين به . ثم سار هو فى أثرهم يتقرى المغرب بلدا بلدا ويتبع أهله قبيلة قبيلة ، فقوم يقاتلونه ثم يظفر بهم ، وقوم يفرون بين يديه ، وقوم يلقون اليه السلم ويبدلون الطاعة حتى دوخ بلاد المغرب . ثم سار حتى دخل مدينة أغمات . ولما استقر بها تزوج زينب بنت اسحق النفزأوية - التى كانت تحت أبي بكر بن عمر - فكانت عنوان سعده ، والقائمة بملكه ، والمديرة لامره ، والفاتحة عليه بحسن سياستها لاكثر بلاد المغرب ، ومن ذلك اشارتها عليه فى أمر أبي بكر بن عمر وكيفية ملاقاته حسبما ذكرناه آنفا . وهكذا كان أمرها فى كل ما تحاوله رحمها الله .

ومما يستطاب من حديثها ما حكاه ابن الاثير فى كامله وقد تكلم على يوسف بن تاشفين هذا فقال : « كان حسن السيرة خيرا عادلا يميل الى أهل العلم والدين يكرمهم ويحكمهم فى بلاده ، ويصدر عن رأيهم ، وكان يحب العفو والصفح عن الذنوب العظام ، من ذلك أن ثلاثة نفر اجتمعوا فتمنى أحدهم ألف دينار يتجر بها ، وتمنى الآخر عملا يعمل فيه لامير المسلمين ، وتمنى الآخر زوجته - وكانت من أحسن النساء ولها الحكم فى بلاده - فبلغه الخبر فأحضرهم وأعطى متمنى المال ألف دينار ، واستعمل الآخر وقال للذى تمنى زوجته : « يا جاهل ! ما حملك على هذا الذى لا تصل

اليه!؟» ثم أرسله الى زوجته فتركه فسي خيمة ثلاثة أيام ، ثم أمرت بأن
 يحمل اليه في كل يوم طعام واحد ثم أحضرته وقالت له : «ما أكلت في
 هذه الثلاثة الايام؟» قال : «طعاما واحدا» فقالت له : «كل النساء شيء
 واحد!» وأمرت له بمال وكسوة وسرحته الى حال سيبله وكانت وفاتها
 سنة أربع وستين وأربعمائة



بناء مدينة مراکش

لما دخلت سنة أربع وخمسين وأربعمائة كان أمر يوسف بن تاشفين
 قد استفحل بالمغرب جدا ورسخت قدمه في الملك وعظم صيته فسمت همته
 الى بناء مدينة يأوي اليها بحشمه وجنده ، وتكون حصنا له ولارباب دولته
 فاشتري موضع مدينة مراکش ممن كان يملكه من المصامدة . وقال صاحب
 المغرب : «كان ملكا لعجوز منهم» ثم نزل الموضع المذكور بخيام الشعر
 وبني مسجدا لصلاته وقصة صغيرة لاختران ماله وسلاحه ولم يكن على
 ذلك سورا . وقال أبو الخطاب بن دحية في كتاب النبراس : «ان موضع
 مدينة مراکش كان مزرعة لاهل نفيس فاشترى يوسف منهم بماله الذي
 خرج به من الصحراء» . وفي كتاب المغرب : «ان يوسف بن تاشفين اختط
 مدينة مراکش بموضع كان يسمى بذلك الاسم - ومعناه بلغة المصامدة أمش
 مسرعا - وكان ذلك الموضع مكننا للصوص فكان المارون فيه يقولون لرفقائهم
 تلك الكلمة فعرف الموضع بها وضبط هذه الكلمة بضم الميم وفتح الراء
 المشددة بعدها ألف وبعد الالف كاف مكسورة ثم شين معجمة (١) ويقال

(١) كذا ضبطها صاحب كشف الظنون الامام القسطنطيني رحمه الله .

كان في موضعها قرية صغيرة في غابة من الشجر وبها قوم من البربر
فاختلطها يوسف وبني بها القصور والمساكن الانيقة . وهي في مرج نسيج
وحولها جبال على فراسخ منها ، وبالقرب منها جبل لا يزال عليه الثلج وهو
الذي يعدل مزاجها وحرها .

وقال ابن خلدون : « اتخذ يوسف بن تاشفين مدينة مراکش لنزوله
ونزول عسكره وللمرس بقبائل المصامدة القيمة بمواطنهم منها في جبل
درن ، اذ لم يكن في قبائل المغرب أشد منهم قوة ولا أكثر جمعا » وفي
القرطاس : « لما شرع يوسف بن تاشفين في بناء مسجد مراکش كان
يحترم ويعمل في الطين والبناء بيده مع الخدمة تواضعا منه لله تعالى ،
قال : « والذي بناه يوسف من ذلك هو الموضع المعروف الآن بسور
الحجر من مدينة مراکش جوفاً من جامع الكيين منها ، ويعرف اليوم
بالسجينة . ولم يكن بالموضع ماء فحفر الناس آباراً فظهر لهم الماء على قرب
فستوطنوها وبنوا بها » قالوا : ولم تزل مدينة مراکش لا سور لها الى أن
توفي يوسف بن تاشفين رحمه الله وولى بعده ابنه علي بن يوسف ومضى
معظم دولته ، فأدار عليها السور سنة ست وعشرين وخمسمائة يقال
كان ذلك بإشارة القاضي أبي الوليد محمد بن رشد الفقيه المشهور . فتم
كان قد قدم على السلطان بمراكش فأشار عليه بذلك عندما نبغ محمد بن
تومرت مهدي الموحدين بجبال المصامدة .

وكانت مدة البناء ثمانية أشهر ، وكان الانفاق على السور سبعين
ألف دينار ، وبني علي بن يوسف أيضا الجامع الاعظم المنسوب اليه اليوم
والمنار الذي عليه وأنفق عليه ستين ألف دينار أخرى .

ورأيت في كتاب ابن عبد العظيم الازموري الموضوع في مناقب بني
أمغار رضي الله عنهم أن أمير المسلمين علي بن يوسف اللمتوني لما عزم على
ادارة السور على مراکش شاور الفقهاء وأهل الخير في ذلك فمنهم من
نبطه ، ومنهم من ندبه اليه ، وكان من جملة من ندبه القاضي أبو الوليد

ابن رشد . ثم شاور أبا عبد الله محمد بن اسحق المعروف بأمغار - صاحب عين القطر - فأشار ببنائه وبعث له من ماله الحلال وأمره أن يجعله فى صندوق صائر البناء ويتولى الانفاق فى ذلك رجل فاضل قبل السلطان اشارته وعمل برأيه فسهل الله أمر البناء .

ثم لما جاءت دولة الموحدين وكان منهم يعقوب المنصور الشهير بالذكر عنتى بمدينة مراكش واحتفل فى تشييدها وبالغ فى تميق مساجدها وتنجيد مصانعها ومعاهدها على ما نذكر البعض منه فى محله ان شاء الله ولم تزل مراكش دار مملكة المرابطين ثم الموحدين من بعدهم سائر أيامهم .

ثم لما جاءت دولة بنى مرين من بعدهم اتخذوا كرسى مملكتهم بمدينة فاس وبنوا بها المدينة البيضاء .

ثم جاءت الدولة السعدية من بعدهم فنقلوا الكرسى الى مراكش ونو بها قصر البديع المشهور .

ثم جاءت الدولة الشريفة العلوية فاتخذ المولى اسمعيل بن الشريف كرسى ملكه بمكناسة الزيتون، واحتفل فى بنائها احتفالا عظيما على ما ذكره ان شاء الله .

ثم لما كانت دولة المولى محمد بن عبد الله رد كرسى الملك الى مراكش وبنى بها قصوره ومصانعه واستمرت كرسيا لمملكتهم الى الآن .
وفضل مراكش أشهر من أن يذكر لا سيما ما اشتملت عليه من مزارات الاولياء ومدافن الصلحاء الكبار والائمة الاخيار ، حتى قال الوزير ابن الخطيب فى مقامات البلدان عند ذكره مدينة مراكش : « هى تربة الولى وحضرة الملك الاولى ، وعبر عنها أبو العباس المقرئ فى نفح الطيب (بغداد المغرب) حرسها الله وصانها من ريب الزمان ، وطوارق الحدثنان .

فتح مدينة فاس وغيرها من سائر بلاد المغرب



وفي سنة أربع وخمسين وأربعمائة المذكورة جند يوسف بن تاشفين
الاجناد ، واستكر القواد ، وفتح كثيرا من البلاد ، واتخذ الطبول والبنود ؛
ورتب العمال وكتب العهود ، وجعل في جيشه الاغزاز (١) والرماة كل
ذلك اربابا لقبائل المغرب ، فكمل له من الجيش في تلك السنة أكثر من
مائة ألف فارس من قبائل صنهاجة وجزولة والمصامدة وزناتة والاعزاز
والرماة ، فخرج بهم من حضرة مراكش قاصدا مدينة فاس فتلقته قبائلها
من زواغة ولماية ولواتة وصدية وسدراتة ومغيلة وبهلولة ومديونة وغيرهم
في خلق عظيم ، فقاتلوه فكانت بينه وبينهم ملاحم عظام انهزموا فيها من
بين يديه ، وانحصروا بمدينة صدينة فدخلها عليهم بالسيف عنوة فهدم
أسوارها ، وقتل بها ما يزيد على أربعة آلاف .

ثم رحل الى فاس فنازلها بعد أن فتح جميع أحوازها وذلك في آخر
سنة أربع وخمسين وأربعمائة . وقال ابن خلدون : « ان يوسف بن تاشفين
نازل أولا قلعة فازاز وبها مهدي بن تولى اليحفشي - وبنو يحفش بطن
من زناتة - وكان أبوه تولى صاحب تلك القلعة ووليها هو من بعده فنازله
يوسف بن تاشفين ثم استجاش به على فاس مهدي بن يوسف الكزنائي
صاحب مكناسة لانه كان عدو المعنصر المغراوي صاحب فاس فزحف في
مساكر المرابطين الى فاس وجمع اليه معنصر ففض جموعه ، اه والله أعلم
ثم أقام يوسف على فاس أياما فظفر بعاملها بكار بن ابراهيم فقتله
وارتحل عنها الى مدينة صفرو . فدخلها من يومه عنوة ، وقتل ملوكها أولاد

(١) الاغزاز جمع غز جنس من الترك كما في القاموس ، وهم هنا قسم من جيش
المرتزقة وقد عددهم صاحب صبح الاعشى من جملة طوائف الاجناد انظر صحيفة ٤٨٢
منه في الجزء الثالث المطبوع بالمطبعة الاميرية بمصر سنة ١٣٣٢ هـ .

مسعود بن وانودين المغراوى صاحب سجلماسة وكانوا قد استولوا عليها .
ثم رجع يوسف الى فاس فحاصرها حتى فتحها وهو الفتح الاول
وذلك سنة خمس وخمسين وأربعمائة فأقام بها أياما واستعمل عليها عاملا
من لتونة وخرج الى بلاد غمارة ففتح الكثير منها حتى أشرف على طنجة وبها
يومئذ الحاجب سكوت البرغواطى من موالى بنى حمود .

ثم رجع الى منازل قلعة فازاز فخالفه بنو معنصر بن حماد المغراوى
الى فاس فدخلوها وقتلوا عامل يوسف الذى كان بها .

وكان مهدي بن يوسف الكزنائى - صاحب بلاد مكناسة - قد بايع
يوسف بن تاشفين ودخل فى طاعة المرابطين فأقره يوسف على عمله وأمره
أن يخرج بين يديه بجيشه لفتح بلاد المغرب ، فجمع مهدي بن يوسف
جيشه وخرج من مدينة عوسجة يريد الاجتماع بيوسف بن تاشفين وهو
محاصر لقلعة فازاز فسمع بذلك تميم بن معنصر المغراوى صاحب فاس
فعاجله فى أنجاد مغراوة وقبائل زناتة وأدركه بعض الطريق وناجزه
الحرب ففض جموعه وقتله ، وبعث برأسه الى الحاجب سكوت صاحب
سبتة وطنجة .

ولما قتل مهدي بن يوسف بعث أهل مدائن مكناسة الى ابن تاشفين
بالخبر وبدلوا له الطاعة فملك بلادهم .

ثم توالى عساكر المرابطين على تميم بن معنصر بالغارات والنهب ،
واشتد عليه الحصار وعدمت الاقوات بفاس ، فلما رأى ما نزل به من
المرابطين جمع مغراوة وبنى يفرن وخرج اليهم لاحدى الراحتين فكانت
عليه الهزيمة ، فقتل تميم وجماعة من عشيرته ، وتقدم مكانه بفاس القاسم
ابن محمد بن عبد الرحمن بن ابراهيم بن موسى بن أبى العافية المكلىسى ،
فجمع قبائل زناتة وخرج بهم الى المرابطين فالتقى معهم على وادى صيفير ،
فكانت بينهم حرب شديدة انهزم فيها المرابطون وقتل جماعة من فرسانهم
واتصل الخبر بيوسف بن تاشفين وهو على قلعة فازاز فارتحل عنها

وخلف جيشا من المرابطين لحصارها فأقاموا عليها تسع سنين ثم دخلوها صلحا سنة خمس وستين وأربعمائة .

ولما رحل يوسف عن قلعة فازاز وذلك سنة ست وخمسين سار الى بنى مراسن - وأميرهم يومئذ يعلى بن يوسف - فغزاهم وقتل منهم خلقا وفتح بلادهم . ثم سار الى بلاد فدلاوة فغزاها وفتح جميع تلك الجهات . ثم سار منها الى بلاد ورغة ففتحها وذلك في سنة ثمان وخمسين وأربعمائة وفي سنة ستين فتح جميع بلاد غمارة وجبالها من الريف الى طنجة وفي سنة اثنتين وستين أقبل الى فاس فنزل عليها بجميع جيوشه بعد أن فرغ من جميع بلاد المغرب سوى سبتة ، وشدد الحصار على فاس حتى دخلها عنوة بالسيف فقتل بها من مغراوة وبنى يفرن ومكناسة وغيرهم خلفا كثيرا حتى امتلأت أسواق المدينة وشوارعها بالقتلى وقتل منهم بجامع القرويين وجامع الاندلس ما يزيد على ثلاثة آلاف ؛ وفر من بقي منهم الى أحواز تلمسان . وهذا هو الفتح الثاني لمدينة فاس وكان يوم الخميس ثاني جمادى الآخرة سنة اثنتين وستين وأربعمائة وفي هذا الخبر بعض مخالفة لما قدمناه في أخبار مغراوة وذلك نقلناه عن ابن خلدون وهذا عن ابن أبي زرع « وربك أعلم بمن هو أهدي سبيلا » .

فلما دخل يوسف بن تاشفين مدينة فاس أمر بهدم الاسوار التي كانت ماصلة بين المدينتين عدوة القرويين وعدوة الاندلس وصيرهما مصرا واحدا وحصنها وأمر ببنان المساجد في شوارعها وأزقتها وأى زقاق لم يجد فيه مسجدا عاقب أهله وأمر ببناء الحمامات والفنادق والارحاء وأصلح بناءها ورتب أسواقها وأقام بها الى صفر من سنة ثلاث وستين وأربعمائة ثم خرج الى بلاد ملوية ففتح حصون وطاط .

وفي سنة أربع وستين بعدها استدعى يوسف أمراء المغرب وأشياخ القبائل من زناتة وغمارة والمصامدة وسائر قبائل البربر فقدموا عليه وبايعوه وكساهم ووصلهم بالاموال ثم خرج للطواف على أعمال المغرب وتفقد

أحوال الرعية والنظر في سيرة ولاته وعماله فيها - وهم في صحبته - فصاح على يده الكثير من أمور الناس .

وفي سنة خمس وستين بعدها غزا يوسف مدينة الدمنة من بلاد طنجة فدخلها عنوة وفتح جبل علودان .

وفي سنة سبع وستين وأربعمائة فتح يوسف جبال غيانية وبنى مكود وبنى رهينة وقتل منهم خلقا كثيرا . وفيها فرق عماله على بلاد المغرب فولى سير بن أبي بكر على مدائن مكناسة وبلاد مكلالة وفازاز ، وولى عمر بن سليمان على فاس وأحوازها ، وداود بن عائشة على سجلماسة ودرعة ، وولى ابنه تميم بن يوسف على مدينة مراکش واغمات وبلاد السوس والمصامدة وتادلا وتامسنا ، وصفا ملك المغرب ليوسف بن تاشفين سوى سبتة وطنجة وكان من خبرهما ما نذكره .



فتح سبتة^(١) وطنجة وما ترتب عليه من جهاد بالاندلس



كانت سبتة وطنجة لبني حمود الإدريسيين من لدن دولة الأمويين . ولما انقرضت دولتهم وخلفهم بنو حمود المذكورون بها استتابوا على سبتة وطنجة من وثقوا به من مواليهم الصقالبة ولم يزل أمر المدينتين إلى نظر هؤلاء النواب واحدا بعد واحد إلى أن استقل بهما الحاجب سكوت البرغواطي .

وكان عبدا لشيخ حداد من موالي الحموديين اشتراه من سبي برغواطة في بعض أيام جهادهم ، ثم صار إلى علي بن حمود فأخذت النجابة بضبعيه إلى أن استقل بالامر واقعد كرسي عملهم بطنجة وسبتة ، وأطاعته قبائل

(١) لم يذكر المؤلف داخل هذا الترجمة فتح سبتة وساقه في الترجمة الموالية لها .

غمارة ، واتصلت أيام ولايته الى أن كانت دولة المرابطين وتغلب يوسف بن تاشفين على بلاد المغرب، ونازل بلاد غمارة فدعا الحاجب سكوت الى مظاهرتة عليهم ، فهم بالاجلاب معه ومظاهرتة على عدوه ثم ثناه عن ذلك ابنه الفائل السراى .

فلما فرغ يوسف بن تاشفين من أهل الدمنة وانقاد المغرب لطاعته صرف عزمه الى الحاجب سكوت .

وكان المعتمد بن عباد صاحب اشيلية قد كتب الى يوسف بن تاشفين يستدعيه للحوز برسم الجهاد ونصر البلاد فأجابه يوسف بقوله : « لا يمكننى ذلك الا اذا ملكت طنجة وسبتة ! » فراجع ابن عباد يشير عليه بأن يسير هو اليها بعساكره فى البر فينازلها ويبعث ابن عباد قطائمه فى البحر فينازلوها أيضا حتى يتملكها . فأخذ يوسف فى محاولة ذلك وصرف عزمه اليه ، ثم دخلت سنة سبعين وأربعمائة فجهز اليها قائده صالح بن عمران فى اثنى عشر الف فارس من المرابطين وعشرين ألفا من سائر قبائل المغرب فلما هربوا من طنجة برز اليهم الحاجب سكوت بجموعه - وهو شيخ كبير قد ناهز التسعين سنة - وقال : « والله لا يسمع أهل سبتة طبول اللمتونى وأنا حتى أبدا ! » فالتقى الجمعان بوادى منى من أحواز طنجة والتحم القتال فقتل سكوت وفضت جموعه وسار المرابطون الى طنجة فدخلوها واستولوا عليها .

ولحق ضياء الدولة يحيى بن سكوت بسبتة فاعتصم بها وكتب القائد صالح بن عمران بالفتح الى يوسف .

وفى سنة اثنتين وسبعين وأربعمائة بعث يوسف بن تاشفين قائده مزدلى بن تيلكان اللمتونى لغزو تلمسان والمغرب الاوسط فسار اليها فى عشرين ألفا من المرابطين . وكان بتلمسان يومئذ العباس بن بختى (١) من

(١) الذى فى النسخة الصحيحة من ابن خلدون المطبوعة بالجزائر سنة ١٨٤٧ ميلادية

فى صحيفة ٢٤٢ من الجزء الاول أنه يحيى بالياء والحاء المعملة .

ولد يعلى بن محمد بن الحخير بن محمد بن خزر المفاوى فدخلوا المغرب
الاولى وتقرروا بلاد زناتة وظفروا ببعلى بن الامير العباس ابن بختى فقتلوه
وانكفأوا راجعين الى يوسف بن تاشفين فالفوه بمراكش ثم دخلت سنة ثلثة
وسبعين فيها غير يوسف بن تاشفين السكة فى جميع عمله وكتب عليها اسمه .
وفى فتح مدينة آكرسيف ومدينة مليلية وجميع بلاد الريف وفتح
مدينة نكور وخربها فلم تعمر بعد .

ثم دخلت سنة أربع وسبعين وأربعمائة فيها زحف يوسف بن تاشفين
الى مدينة وجدة ففتحها وفتح بلاد بنى يزناسن وما والاها . ثم سار الى
تلمسان ففتحها واستلحم من كان بها من مغراوة وقتل أميرها العباس بن
بختى المفاوى ، وأنزل بها عامله محمد بن تينغمر السوفى فى عساكر
المرابطين فصارت نفرا لمملكته ، واخطت بها مدينة تاكرات بمكان محله -
وهو اسم المحلة بلسان البربر - ثم افتتح مدينة تسس ووهران وجبل
وانشريس وجميع أعمال شلف الى الجزائر وانكفأ راجعا الى المغرب فدخل
مراكش فى ربيع الآخر سنة خمس وسبعين وأربعمائة .

ثم ورد عليه بها كتاب المعتمد بن عباد يعلمه بحال بلاد الاندلس وما
آل ايه أمرها من تغلب العدو على أكثر ثغورها ويسأله النصر والاعانة
فأجابه يوسف بقوله : « اذا فتح الله على سبته اتصلت بكم وبذلت جهدى
فى جهاد العدو ! » وكان الفتن قد تحرك فى هذه السنة فى جيوش لا
تحصى من الافرنج والبشكنس والجلالقة وغيرهم فشق بلاد الاندلس شقا
يقف على كل مدينة منها فيفسد ويخرب ويقتل ويسبى ثم يرتحل الى غيرها
ونزل على اشيلية فأقام عليها ثلاثة أيام فأفسد وخرب وكذلك فعل فى
سدونة وأحوازها ، وخرب بشرق الاندلس قرى كثيرة ثم صار حتى وصل
جزيرة طريف فأدخل قوائم فرسه فى البحر وقال : « هذا آخر بلاد
الاندلس قد وطئه ! » ثم رجع الى مدينة سرقسطة فنزل عليها وحاصرها
وحاف أن لا يرتحل عنها حتى يدخلها أو يحول الموت دونها ، وأراد

أن يقدمها بالفتح على غيرها فبذل اليه أميرها المستعين بن هود مالا عظيما فلم يقبله منه وقال « المال والبلاد لى ! » وبعث الى كل قاعدة من قواعد الاندلس بجيشا لحصارها والتضييق عليها ثم ملك مدينة طليطلة من يد صاحبها القادر بن ذى النون سنة سبع وسبعين وأربعمائة ، فكان ذلك من أقوى الاسباب المحركة لغزائم المسلمين بالاندلس والمغرب على الجهاد .



الحبر عن الغزوة الكبرى بالزلاقتة من أرض الاندلس



لما انقرضت دولة بنى أمية بالاندلس صدر المائة الخامسة بعد نزاع بين أعيانها شديد ، وقاتل منهم عريض مديد ، وخلفتها الدولة الحمودية فلم يطل أمدها حتى اقتسمت رؤساء الاندلس مملكتها ، وتوزعوا أعمالها وصارت الحال الى ما قال ابن الخطيب :

حتى اذا سلك الخلافة انتشر وذهب العين جميعا والانس
قام بكل بقعة مليك ! وصاح فوق كل غصن ديك !

فوجد العدو السيل الى الاستيلاء على ثغور المسلمين ، وانهاز الفرصة فيها بالتضريب بين ملوكها واغراء بعضهم بعض ، وكان منهم ابن عباد باشيلية ، وابن الافطس ببطليوس ؛ وابن ذى النون بطليطلة ؛ وابن هود بسرقسطة ، ومجاهد العامري بدانية ؛ وغير هؤلاء . وكلهم يدارى الطائفة ويقبىه بالجزية الى أن كان من أمر الاذفونث ما كان من تخريب بلاد المسلمين ، واستيلائه على طليطلة بعد حصاره اباها سبع سنين ، ثم حصاره سرقسطة .

فلما رأى رؤساء الاندلس ما نزل بهم من مضايقة عدو الدين ، واستطالته على ثغور المسلمين ، أجمع رأيهم على اجازة يوسف بن تاشفين فكاتبه أهل الاندلس كافة من الخاصة والعلماء يستصرخونه فى تنفيس العدو عن مخقتهم ، ويكونوا معه يدا واحدة عليه .

فلما تواترت رسالهم وكتبهم عليه بعث ابنه المعز بن يوسف في عساكر المرابطين الى سبتة فرضة المجاز فنزلها برا واحاطت بها أساطيل ابن عباد بحرا فأتتحموها عنوة في ربيع الآخر سنة سبع وسبعين وأربعمائة وقبض على صاحبها ضياء الدولة يحيى بن سكوت البرغواطي وجرى به الى المعز أسيرا فقتله صبيرا ، وبعث بكتاب الفتح الى أبيه وهو بفاس ينظر في أمر الجهاد ويستعد له ، ففرح يوسف بفتح سبتة وخرج من حينه قاصدا نحوها فيعبر منها الى الاندلس .

ولما سمع المعتمد ابن عباد بفتح سبتة ركب البحر الى المغرب لاستنصار يوسف الى الجهاد ، فلقيه مقبلا ببلاد طنجة بموضع يعرف بليظة على ثلاث مراحل من سبتة ، وقال ابن خلدون : « لقيه بفاس ، فأخبره بحال الاندلس وما هي عليه من الضعف وشدة الخوف والاضطراب ، وما يلقاه المسلمون من عدوهم من القتل والاسر والحصار كل يوم » . فقال له يوسف : « ارجع الى بلادك وخذ في أمرك فاني على اثرك » فرجع ابن عباد الى الاندلس ونزل ليوسف عن الجزيرة الخضراء لتكون رباطا لجهاده ، ودخل يوسف سبتة فنظر في أمرها وأصلح سفنها ، وقدمت عليه بها جنود الله من المغرب والصحراء والقبلة والزاب ، فشرع في اجازتها الى الاندلس .

ولما تكاملت بساحل الخضراء عبر هو في اثرها في موكب عظيم من فواد المرابطين وانجادهم وصلحائهم ، فلما استوى على ظهر السفينة رفع يديه وقال : « اللهم ان كنت تعلم أن في جوازنا هذا صلاحا للمسلمين فسهل علينا هذا البحر حتى نعبره وان كان غير ذلك فصعبه حتى لا نعبره » فسهل الله عليهم العبور في أسرع وقت . وكان ذلك يوم الخميس عند الزوال ، منتصف ربيع الاول سنة تسع وسبعين وأربعمائة ، ونزل بالخضراء فصلى بها الظهر من يومه ذلك ولقيه المعتمد ابن عباد صاحب اشيلية وابن الافطس صاحب بطليوس وغيرهما من ملوك الاندلس .

واتصل الخبر بالادفونش وهو محاصر لسرقسطة فارتحل عنها وقصد

نحو أمير المسلمين ، وبعث الى ابن ردمير والبرهانس وغيرهما من كبار النصرانية ، واستنفر أهل قشتالة وجليقية وسائر المجاورين له من أمم النصرانية ، فاجتمع له منهم ما يفوت الحصر وصمد الى ابن تاشفين والمسلمين . هكذا وقع مساق هذه الغزوة عند ابن خلدون وابن أبي زرع وغيرهما .

وساقها ابن الاثير وابن خلكان وابن عبد المنعم الحميري مساقا غير هذا . ولنذكر بعض ما نقلوه من ذلك فنقول : لما ملك يوسف بن تاشفين المغرب وبنى مراكش وتلمسان الجديدة ، وأطاعته البربر مع شكيمتها الشديدة ، وتمهدت له الاقطار العريضة المديدة ، تآقت نفسه الى العبور لجزيرة الاندلس فهم بذلك وأخذ في انشاء السفن والمراكب ليعبر فيها ، فلما علم بذلك ملوك الاندلس كرهوا المامه بجزيرتهم ، وأعدوا له العدة والعدد الا أنهم استهولوا جمعه واستصعبوا مدافعته ، وكرهوا أن يصبخوا بين عدوين : الفرنج عن شمالهم ، والملمثين عن جنوبهم . وكانت الفرنج قد اشتدت وطأتها عليهم فتغير وتذهب وربما يقع بينهم صلح على شيء معلوم كل سنة يأخذونه من المسلمين ، والفرنج مع ذلك ترهب جانب ملك المغرب يوسف بن تاشفين اذ كان له اسم كبير وصيت عظيم ، لنفاذ أمره ونقله دولة زناته وملك المغرب اليه في أسرع وقت ، مع ما ظهر لابطال الملمثين ومشايخ صنهاجة في المعارك من ضربات السيوف التي تقذف الفارس ، والطنعات التي تنظم الكلى ، فكان لهم بذلك ناموس ورعب في قلوب المتدينين اقتالهم .

وكان ملوك الاندلس يفيثون الى ظل يوسف ويحذرونه خوفا على ملكهم مهما عبر اليهم وعابن بلادهم ، فلما رأوا عزيمته متوفرة على العبور راسل بعضهم بعضا يستجدون آراءهم في أمره ، وكان فرغهم في ذلك الى المعتمد ابن عباد لانه أشجع القوم وأكبرهم مملكة ، فوقع اتفاقهم على مكاتبته - وقد تحققوا انه يقصدهم - يسألونه الاعراض عنهم وأنهم تحت طاعته ،

فكتب عنهم كاتب من أهل الاندلس يقول :

«أما بعد فانك ان أعرضت عنا نسبت الى كرم ولم تسب الى عجز ،
وان أجبنا داعيك نسبنا الى عقل ولم تسب الى وهن ، وقد اخترنا لانفسنا
أجمل نسبتينا فأختر لنفسك أكرم نسبتك ! فانك بالمحل الذى لا يجوز أن
نسبى فيه الى مكرمة ! وان فى استبقائك ذوى البيوت ما شئت من دوام
لائمرك وثبوت ! والسلام . » فوصله الكتاب مع تحف وهدايا - وكان
يوسف لا يعرف اللسان العربى لكنه كان ذكى الطبع يجيد فهم المقاصد -
وكان له كاتب يعرف اللغتين العربية والمرابطية فقال له : « أيها الملك هذا
الكتاب من ملوك الاندلس يعظمونك فيه ويعرفونك أنهم أهل دعوتك
وتحت طاعتك ويلتمسون منك أن لا تجعلهم فى منزلة الاعادى ذنهم
مسلمون ! وهم من ذوى البيوتات فلا تغير بهم وكف بهم من ورائهم من
الاعداء الكفار ، وبلدهم ضيق لا يحتمل العساكر ، فأعرض عنهم اعراضك
بمن أطاعتك من أهل المغرب » فقال يوسف ابن تاشفين لكاتبه : « فما ترى
أنت ؟ » فقال : «أيها الملك أعلم أن تاج الملك وبهجته وشاهده الذى لا يرد
بأنه خليق بما حصل فى يده من الملك أن يعفوا اذا استغضى وأن يهب اذا
استوهب وكلما وهب جزىلا كان أعظم لقدره ! فإذا عظم قدره تأصل ملكه
واذا تأصل ملكه تشرف الناس بطاعته ! واذا كانت طاعته شرفا جاءه الناس
ولم يتجشم المشقة اليهم ! وكان وارث الملك من غير اهلاك لآخرته ! واعلم
أن بعض الملوك الاكابر والحكاماء البصراء بطريق تحصيل الملك قال : « من
جاد ساد ، ومن ساد قاد ، ومن قاد ملك البلاد ، ! » فلما ألقى الكاتب هذا
الكلام على السلطان يوسف فهمه وعلم صحته ، فقال للكاتب : « أجب القوم
واكتب بما يجب فى ذلك واقراً على كتابك » فكتب الكاتب :
« بسم الله الرحمن الرحيم من يوسف بن تاشفين سلام عليكم ورحمة الله
وبركاته . تحية من سالمكم وسلم اليكم وحكمه التأيد والنصر فيمن حكم
عليكم ، وانكم مما بأيديكم من الملك فى أوسع اباحة ، مخصوصون منا بأكرم
اينار وسماحة ! فاستديموا وفاءنا بوفائكم ، واستصلحوا اخاءنا باصلاح

اخلائكم ! والله ولى التوفيق لنا ولكم والسلام . « فلما فرغ من كتابه قرأه على يوسف بن تاشفين بلسانه فاستحسنه ، وقرن به ما يصلح لهم من التحف ودرق اللط مما لا يكون الا فى بلاده ، وأنفذ ذلك اليهم ، فلما وصلهم ذلك وقرأوا كتابه فرحوا به وعظموه واعتزوا بولايته ، وتقوت نفوسهم على دفع الفرنج ، وأزمعوا ان رأوا من الفرنج ما يريهم أن يجيزوا اليه يوسف بن تاشفين ، ويكونوا من أعوانه عليه ، فتأنى ليوسف بن تاشفين برأى وزيره ما أراد من محبة أهل الاندلس له وكفاه حريهم .

وقال ابن الاثير فى الكامل : « كان المعتمد ابن عباد أعظم ملوك الاندلس وممتلكا لأكبر بلادها مثل قرطبة واشبيلية ، وكان مع ذلك يؤدى الضريبة الى الاذفونش كل سنة فلما تملك الاذفونش طليطلة أرسل اليه المعتمد الضريبة على عادته ، فردها عليه ولم يقبلها منه ، ثم أرسل اليه يتهدده ويتوعده بالمسير الى قرطبة وتملكها من يده الا أن يسلم اليه جميع الحصون التى فى الجبل ويبقى السهل للمسلمين . وكان الرسول فى جمع كثير نحو خمسمائة فارس ، فأنزله المعتمد وفرق أصحابه على قواد عسكره ، ثم أمر القواد أن يقتل كل منهم من عنده ، وأحضر الرسول فصفعه حتى برزت عيناه ، وسلم من الجماعة ثلاثة نفر فعادوا الى الاذفونش وأخبروه الخبر ، وكان متوجها الى قرطبة ليحاصرها ، فلما بلغه هذا الخبر رجع الى طليطلة ليجمع آلات الحصار ويستعد استعدادا غير الذى سبق . وعاد المعتمد الى اشبيلية وأقام بها وترك قرطبة بدون مدافع يدافع عنها .

وقال ابن عبد المنعم الحميرى فى كتابه الروض الماطر ما ملخصه : « ان المعتمد بن عباد آخر فى سنة من السنين الضريبة التى كان يدفعها للاذفونش عن وقتها ، ثم أرسلها اليه بعد ، ففضب الاذفونش واشتط وطلب بعض الحصون زيادة على الضريبة وأمعن فى التجنى ، حتى طلب أن تأتى زوجته الى الجامع الاعظم بقرطبة فتلد فيه اذ كانت حاملا ، وكان بالجانب الغربى من المسجد المذكور موضع كنيسة قديمة بنى المسلمون عليها المسجد فأشار عليه الاطباء والقسيسون أن تكون زوجته ساكنة قرب ولادتها بمدينة

الزهراء التي بناها عبد الرحمن الناصر لدين الله وأبدع في تشييدها وتجيدها ، وتردد المرأة مع ذلك الى الجامع المذكور حتى تكون ولادتها بين طيب نسيم الزهراء وفضيلة موضع الكنيسة وكان الرسول في ذلك يهوديا وكان وزيرا للاذفونش ، فامتنع ابن عباد من ذلك فراجعه اليهودي وأغلظ له في القول ولسعه بكلمة آسفته ! فأخذ ابن عباد محجرة كانت بين يديه وضرب بها رأس اليهودي فأنزل دماغه في حلقه وأمر به فصلب منكوسا بقرطبة ! ولما سكن غضبه استفتى الفقهاء عن حكم ما فعله باليهودي ، فبادره انفييه محمد بن الطلاع بالرخصة في ذلك لتعدى الرسول حدود الرسالة الى ما استوجب به القتل اذ ليس له ذلك ! وقال للفقهاء : « انما بادرت بالفتوى خوفا أن يكسل الرجل عما عزم عليه من منابذة العدو ، وعسى الله أن يجعل في عزمته للمسلمين خيرا . »

وبلغ الاذفونش ما صنعه ابن عباد ، فأقسم بالآلهته ليغزونه باشيلية وليحاصرنه في قصره ، ثم زحف في عسكرين أحدهما عليه والاخر على بعض قواده حتى نزل على ضفة النهر الاعظم باشيلية قبالة قصر ابن عباد . وفي ايام مقامه هنالك كتب الى ابن عباد زاريا عليه : « كسر بطول مقامسى في مجلسى هذا على الذباب ، واشتد الحر فأتحفنى من قصرك بمروحة أروح بها على نفسى وأطرد بها الذباب عن وجهى ! » فوقع له ابن عباد بخط يده في ظهر الرقعة : « قرأت كتابك وفهمت خيالك واعجابك وسأنظر لك في مراوح من جلود اللمط تروح منك لا عليك ان شاء الله ! » فلما وصلت رسالة ابن عباد الاذفونش وقرئت عليه وفهم مقتضاها أطرق اطراق من لم يخطر له ذلك ببال ، وفشا في الاندلس توقيع ابن عباد ، وما أظهر من العزيمة على اجازة يوسف بن تاشفين والاستظهار به على العدو ، فاستبشر الناس وفرحوا بذلك ، وانفتحت لهم أبواب الآمال .

وأما ملوك طوائف الاندلس فلما تحققوا عزم ابن عباد وانفراده برأيه في ذلك اهتموا منه ، فمنهم من كاتبه ومنهم من شافهه ، وحذروه عاقبة ذلك وقالوا له : « الملك عقيم ! والسيفان لا يجتمعان في غمد ! »

فأجابهم ابن عباد بكلمته التي صارت مثلا : « رعى الجمال خير من رعى الخنازير ! » ومعناه ان كونه مأكولا ليوسف بن تاشفين أسيرا يرعى جماله في الصحراء خير من كونه ممزقا للاذفونش أسيرا له يرعى خنازيره وقال لمن لومه : « يا قوم اني من أمرى على حالتين : حالة يقين ، وحالة شك ، ولا بد لي من احدهما ، أما حالة الشك فاني ان استندت الى ابن تاشفين ، أو الى الاذفونش ، ففي الممكن أن يفنى لي ويبقى على وفائه ، ويمكن أن لا يفعل فهذه حالة شك . وأما حالة اليقين فاني ان استندت الى ابن تاشفين فاني أَرْضَى الله ! وان استندت الى الاذفونش اسخطت الله ! فاذا كانت حالة الشك فيهما عارضة ، فلاي شيء أدع ما يرضى الله وآتى ما يسخطه !؟ » فحينئذ أقصر أصحابه عن لومه .

ولما عزم ابن عباد على رأيه أمر صاحب بطليوس المتوكل على الله عمر ابن الافطس وصاحب غرناطة عبد الله بن جوس الصنهاجي ، أن يعث اليه كل منهما قاضي حضرته ففعلا ، واستحضر قاضي الجماعة بقرطبة عبد الله بن محمد بن ادهم - وكان أعقل أهل زمانه - فلما اجتمع عند ابن عباد القضاة باشيلية أضاف اليهم وزيره أبا بكر بن زيدون وعرفهم أربعتهم أنهم رسله الى يوسف بن تاشفين ، وأسند الى القضاة ما يليق بهم من وعظ يوسف وترغيبه في الجهاد ، وأسند الى الوزير مالا بد منه من ابرام العقود السلطانية .

وكان يوسف بن تاشفين لا تزال تفد عليه وفود ثغور الاندلس مستعطفين مجهشين بالبكاء ناشدين بالله والاسلام ، مستجدين بفقهاء حضرته ، ووزراء دولته ، فيسمع اليهم ويصغى لقولهم وترق نفسه لهم .

ولما انتهت الرسل الى ابن تاشفين أقبل عليهم وأكرم مشاومهم ، وجرت بينه وبينهم مراوضات ، ثم انصرفوا الى مرسلهم .

ثم عبر يوسف البحر عبورا سهلا حتى أتى الجزيرة الخضراء فخرج اليه أهلها بما عندهم من الاقوات والضيافات ، وأقاموا له سوفا جلبوا اليه ما عندهم من سائر المرافق ، وأذنوا للفرقة في دخول البلد والتصرف فيها ،

فمئات المساجد والرحاب المطوعة وتواصوا بهم خيرا ، هذا مساق صاحب
الروض المعطار .

وقال ابن الاثير : « لما رجع المعتمد بن عباد الى اشيلية وترك قرطبة
بدون مدافع وسمع مشايخها بما جرى من قتل ابن عباد لليهودى ، ورأوا
قوة الفرنج وضعف المسلمين واستعانة بعض ملوكهم بالفرنج على بعض
اجتمعوا وقالوا : « هذه بلاد الاندلس قد غلب عليها الفرنج ولم يبق منها الا
القليل ، وان استمرت الاحوال على ما نرى عادت نصرانية كما كانت ،
وساروا الى القاضى أبى بكر عبد الله بن محمد بن أدهم فقالوا له : « الا
تنظر الى ما فيه المسلمون من الصغار والذلة واعطائهم الجزية بعد أن كانوا
يأخذونها ! وقد رأينا رأيا نعرضه عليك ، قال : « ما هو ؟ » قالوا : « نكتب
الى عرب افريقية ونشترط لهم اذا وصلوا الينا قاسمناهم أموالنا وخرجنا
معهم مجاهدين فى سبيل الله ! » قال : « أخاف اذا وصلوا الينا أن يخربوا
بلادنا كما فعلوا بافريقية ! ويتركوا الفرنج ويبدأوا بنا ! والمرابطون أصلح
منهم وأقرب الينا ! » قالوا له : « فكتاب يوسف بن تاشفين وارغب اليه
فى العبور الينا أو يرسل بعض قواده . »

وبينما هم يتفاوضون اذ قدم عليهم ابن عباد - وهم فى ذلك - فعرض
عليه القاضى ابن أدهم ما كانوا فيه . فقال له ابن عباد : « أنت رسولى اليه .
فى ذلك ! » فامتنع القاضى - وانما أراد أن يبرىء نفسه من تهمة تلحقه -
فألح عليه المعتمد ، فعبر القاضى البحر الى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين ،
فأبلغه الرسالة وأعلمه ما فيه المسلمون من الخوف من الادفونش - وكان
أمير المسلمين يومئذ بمدينة سبته - ففى الحال أمر بعبور العساكر الى
الاندلس ، وأرسل الى مراکش فى طلب من بقى من عساكره ، فأقبلت
اليه يتلوا بعضها بعضا ، فلما تكاملت عنده عبر البحر وسار ؛ فاجتمع بالمعتمد
ابن عباد باشيلية .

وكلن المعتمد قد جمع عساكره أيضا ، وخرج من أهل قرطبة عسكر
كبير ، وقصده المطوعة من سائر بلاد الاندلس ، ووصلت الاخبار الى

الاذفونش فجمع عساكره وحشد جنوده ، وسار من الميظلة وكتب الي
 أمير المسلمين يوسف بن تاشفين كتابا كبه له بعض غواة أدباء المسلمين
 بغلظ له في القول ويصف ما معه من القوة والعدد وبالغ في ذلك . فلما
 وصل وقرأه يوسف أمر كاتبه أبا بكر بن القصيرة أن يجيبه وكان كاتباً
 مفلحاً - فكتب وأجاد ، فلما قرأه على أمير المسلمين قال: «هذا كتاب طويل»
 وأحضر كتاب الاذفونش وكتب على ظهره (الذي يكون ستره!) وأرسله
 اليه فلما وقف عليه الاذفونش ارتاع له وعلم أنه يلي برجل له دهاء وعزم
 وذكر ابن خلكان أن يوسف بن تاشفين أمر بعبور الجمال فعبور منها
 ما أغص الجزيرة وارتفع رغاؤها الى عنان السماء ، ولم يكن أهل الجزيرة
 رأوا جملاً قط ولا خيلهم رأوها قط ، فصارت الخيل تجمع من رؤية الجمال
 ورغاؤها ، وكان ليوسف في عبورها رأى مصيب ، فكان يحدق بها عسكره
 ويحضرها الحرب ، فكانت خيل الفرنج تجمع منها .

وقدم يوسف بن تاشفين بين يديه كتابا للاذفونش يعرض عليه فيه
 الدخول في الاسلام أو الجزية أو الحرب كما هي السنة ، ومن جملة ما
 في الكتاب : «بلغنا يا اذفونش أنك دعوت الله في الاجتماع بنا ، وتمنيت
 أن تكون لك سفن تعبر عليها البحر الينا ، فقد عبرناه اليك: وقد جمع
 الله تعالى في هذه العرصة بيننا وبينك ، وسترى عاقبة دعائك ! وما دعاء
 الكافرين الا في ضلال !» فلما سمع الاذفونش ما كتب اليه يوسف جاش
 بحر غيظه ، وزاد في طغيانه ، وأقسم أن لا يرح من موضعه حتى يلقاه .
 ولترجع الى كلام صاحب الروض المعطار قال رحمه الله : «فلما عبر
 يوسف وجميع جيوشه البحر الى الحضراء نهض الى اشيلية على أحسن
 الهيئات جيشا بعد جيش وأميرا بعد أمير وقبلا بعد قبيل . وبعث المعتمد
 ابنه الى لقاء يوسف وأمر عمال البلاد بجلب الاقوات والضيافات ورأى
 يوسف ما سره من ذلك ونشطه وتواردت الجيوش مع أمرائها على اشيلية.
 وخرج المعتمد الى لقاء يوسف من اشيلية في مائة فارس من وجوه
 أصحابه ، فلما أتى محلة يوسف ركض نحوهم وركضوا نحوه ثم برز اليه

يوسف وحده والتقى منفردين وتصافحا وتعانقا ، وأظهر كل منهما لصاحبه المودة والخلوص وشكرا نعم الله ، وتواصيا بالصبر والرحمة ، وبشرا أنفسهما بما استقبلاه من غزو أهل الكفر وتضرعا الى الله فى أن يجعل ذلك خالفا لوجهه مقربا اليه . وافترقا فعاد يوسف لمحله وابن عباد الى جهته ، وألحق ابن عباد ما كان أعده من هدايا وتحف وضيافات أوسع بها على محلة يوسف بن تاشفين .

وباتوا تلك الليلة فلما أصبحوا وصلوا الصبح ركب الجميع وأشار ابن عباد على يوسف بالتقدم نحو اشيلىة ففعل ، ورأى الناس من عزة سلطانهم ما سرهم ولم يبق من ملوك الطوائف بالاندلس الا من بادر أو أعان ، وكذلك فعل الصحراويون مع يوسف أهل كل صقع من أصقاعه رابطوا وكابدوا

وكان الاذفونش لما رأى اجتماع العزائم على منجزته علم أنه عام نطاح ! فاستنفر الفرنجة للخروج ورفع القسيسون والرهبان والاساقفة صلبانهم ونشروا أناجيلهم فاجتمع له من الجلائقة والافرنج ما لا يحصى عدده وجواسيس كل فريق تتردد من الجميع وبعث الاذفونش الى ابن عباد : «ان صاحبكم يوسف قد تعنى بالمجيء من بلاده وخوض البحر وأنا أكفيه العناء فيما بقى ولا أكلفكم تعباً : أمضى اليكم وألقاكم فى بلادكم رفقاً بكم وتوفيراً عليكم !» وقال لخاصته وأهل مشورته : «انسى رأيت أنى ان امكنتهم من الدخول الى بلادى فناجزونى فيها وبين جدرها - وربما كانت الدائرة على - يستحكمون البلاد ويحصدون من فيها غداة واحدة ! ولكنى أجعل يومهم معى فى حوز بلادهم فان كانت على اكفوا بما نالوه ، ولم يجعلوا الدروب ورامهم الا بعد أهبة أخرى فيكون فى ذلك صون لبلادى وجبر لمكاسرى ! وان كانت الدائرة عليهم كان منى فيهم وفى بلادهم ما خفت أن يكون فى وفى بلادى اذا ناجزونى فى وسطها !»

ثم برز بالمختار من جنوده وأنجاد جموعه على باب دربه وترك بقية جموعه خلفه وقال حين نظر الى ما اختاره منهم : «بهؤلاء أقاتل الجن

والانس وملائكة السماء! فالمقلل يقول: «المختارون أربعون الف دارع ولكل واحد أتباع!» وأما النصارى فيعجبون ممن يزعم ذلك ويرون أنهم أكثر من ذلك كله

واتفق الكل أن عدد المسلمين كان أقل من عدد الكفار! ورأى الاذفونش في نومه كأنه راكب فيلا وبين يديه طبل صغير وهو ينقر فيه ، فقص رؤياه على القسيسين فلم يعرفوا تأويلها ، فأحضر رجلا مسلما عالما بتفسير الرؤيا فقصها عليه ، فاستعفاه من تعبيرها فلم يعفه . فقال : «تأويل هذه الرؤيا من كتاب الله تعالى وهو قوله تعالى : «ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل؟» الى آخر السورة ، وقوله تعالى : «فاذا نقر في الناقور فذلك يومئذ يوم عسير على الكافرين غير يسير.» وذلك يقتضى هلاك هذا الجيش الذى تجمعه!» فلما اجتمع جيشه ورأى كثرته أعجبه فأحضر ذلك المعبر وقال له : «بهذا الجيش ألقى اله محمد صاحب كتابكم ! فانصرف المعبر وقال لبعض المسلمين : «هذا الملك هالك وكل من معه!» وذكر الحديث : ثلاث مهلكات وفيه واعجاب المرء بنفسه!

ثم خرج الاذفونش الى بلاد الاندلس وتقدم السلطان يوسف نحوه أيضا وتأخر ابن عباد لبعض مهماته ، ثم انزعج يقفوا أثره بجيش فيه حماة الثغور ورؤساء الاندلس وجعل ابنه عبد الله على مقدمته ، وسار وهو ينشد متفائلا بيت سائر ، مجيزا له بأبيات من شعره :

لا بد من فرج تريب * يأتيك بالعجب العجيب
غزو عليك مبارك * سيعود بالفتح القريب
لله سعدك انه * نكس على دين الصليب
لا بد من يوم يكون له أخا يوم القلب

ووافت الجيوش كلها بطليوس فأنأخسوا بظاهرها ، وخرج اليهم صاحبها المتوكل عمر بن محمد بن الافطس ، فلقبهم بما يجب من الضيافات والاقوات وبذل المجهود . ثم جاءهم الخبر بشخوص الاذفونش اليهم ، وقال ابن أبى زرع : «ارتحل يوسف بن تاشفين من الحضراء قاصدا

نحو الاذفونش وقدم بين يديه قائده أبا سليمان داود بن عائشة - وكان
 بطلا من الابطال - فى عشرة آلاف فارس من المرابطين ، بعد أن قدم
 أمامه المعتمد بن عباد مع أمراء الاندلس وجيوشهم منهم ابن صمادح صاحب
 المرية ، وابن حبوس صاحب غرناطة ، وابن مسلمة صاحب الثغر الاعلى ،
 وابن ذى النون ، وابن الافطس وغيرهم ، فأمرهم يوسف أن يكونوا مع
 المعتمد فتكون محلة ملوك الاندلس واحدة . ومحلة المرابطين أخرى ، فتقدم
 بهم ابن عباد فكانوا اذا ارتحل ابن عباد من موضع نزله يوسف بمحلته ،
 فلم يزالوا كذلك حتى نزلوا مدينة طرطوشة ، فأقاموا بها ثلاثا وكب منها
 يوسف الى الاذفونش يدعوه الى الاسلام أو الجزية أو الحرب ، وكان
 جواب الاذفونش ما تقدم ، ثم ارتحل يوسف وارتحل الاذفونش حتى
 نزلا معا بالقرب من بطليوس ، وكان نزول يوسف بموضع يعرف بالزلاقة (١)
 وتقدم المعتمد فنزل ناحية أخرى تحجز بينه وبين يوسف ربوة ، وبين
 المسلمين والفرنجة نهر بطليوس حاجزا يشرب منه هؤلاء وهؤلاء ، فأقاموا
 ثلاثة أيام ، والرسل تختلف بينهم الى أن وقع اللقاء على ما نذكره .

ولما ازدلف بعضهم الى بعض أذكى المعتمد عينه فى محلات
 الصحراوين خوفا عليهم من مكائد الاذفونش - اذ هم غرباء لا علم لهم
 بالبلاد - وجعل يتولى ذلك بنفسه حتى قيل ان الرجل من الصحراوين كان
 لا يخرج الى طرف المحلة لقضاء أمر أو حاجة الا ويجد ابن عباد بنفسه
 مطيفا بالمحلة بعد ترتيب الحيل والرجال على أبواب المحلات ، ثم قامت
 الاسافة والرهبان ورفعوا صلبانهم ونشروا أناجيلهم وتبايعوا على الموت .
 ووعظ يوسف وابن عباد اصحابهما وقام الفقهاء والصالحون فى الناس
 مقام الوعظ وحضوهم على الصبر والثبات وحذروهم من الفشل والفرار .

وجاءت الطلائع تخبر أن العدو مشرف عليهم صيحة يومهم - وهو
 يوم الاربعاء - فأصبح المسلمون وقد أخذوا مصافهم فكم الاذفونش ورجع

(١) ويسميه المسيحيون ساكر الياس هكذا : « Sacralias »

الى أعمال المكر والخديعة . فعاد الناس الى محلاتهم وباتوا ليلتهم . ثم أصبح يوم الخميس فبعث الاذفونش الى ابن عباد يقول : «غدا يوم الجمعة وهو عيدكم والاحد عيدنا فليكن لقاؤنا بينهما وهو يوم السبت !» فعرف المعتمد بذلك السلطان يوسف وأعلمه أنها حيلة منه وخديعة وانما قصده !فترك بنا يوم الجمعة ، فليكن الناس على استعداد له يوم الجمعة كل النهار . ويقال ان الاذفونش واعدتهم ليوم الاثنين وبات الناس ليلتهم على أهبة واحتراس كما أشار ابن عباد

وبعد مضي جزء من الليل اتبه لالفقيه الناسك أبو العباس أحمد بن رميلة القرطبي ، - وكان في محلة ابن عباد - فرحا مسرورا يقول : «انه رأى النبي صلى الله عليه وسلم تلك الليلة في النوم فبشره بالفتح والموت على الشهادة في صيحة تلك الليلة ، فتأهب ودعا وتضرع ودهن رأسه وتطيب . وانهى ذلك الى ابن عباد فبعث الى يوسف يخبره بها تحقيقا لما توقعه من غدر العدو الكافر ، ثم جاء بالليل فارسان من طلائع المعتمد يخبران أنهما أشرفا على محلة الاذفونش ، وسمعا ضوضاء الجيش وخشخشة السلاح ، ثم تلاحق بقية الطلائع محققين لتحرك الاذفونش ثم جاءت الجوايس من داخل محلتهم تقول : «استرقنا السمع فسمعنا الاذفونش يقول لاصحابه : «ابن عباد مسر هذه الحروب وهؤلاء الصحراويون وان كانوا أهل حفاظ وذوى بصائر في الحرب فهم غير عارفين بهذه البلاد . وانما قادهم ابن عباد فاهجموا عليه واصبروا له ، فان انكشف لكم هان عليكم الصحراويون بعده . ولا أراه يصبر لكم ان صدقتموه الحملة » فعند ذلك بعث ابن عباد الكاتب أبا بكر بن القصيرة الى السلطان يوسف يعرف بإقبال الاذفونش ويستحث نصرته فمضى ابن القصيرة يطوى المحلات حتى جاء يوسف بن ناشفين فعرفه بجلية الامر فقال له : «قل له : انسى سائر أهلك ان شاء الله » وأمر يوسف بعض قواده أن يمضى بكثيرة رسمها له حتى يدخل محلة النصارى فيضرمها نارا ما دام الاذفونش مشغولا مع ابن عباد .

وانصرف ابن القصيرة الى المعتمد فلم يصله الا وقد غشيتة جنود الطاغية
فقدم ابن عباد صدمة قطعت آماله . ومال الاذفونش عليه بجموعه وأحاطوا
به من كل جهة فهاجت الحرب وحمى الوطيس . واستحر القتل فسى
أصحاب ابن عباد وصبر صبرا لم يعهد مثله ، واستبظا السلطان يوسف وهو
يلاحظ طريقه وعضته الحرب واشتد عليه وعلى أصحابه للبلاء وساءت
الظنون وانكشف البعض منهم - وفيهم ابنه عبد الله بن المعتمد - وأتخن
هو جراحات فى رأسه وبدنه وعقرت تحته فى ذلك اليوم ثلاث أفراس
كلما هلك واحد قدم له آخر وتذكر فى تلك الحالة ابنا له صغيرا يكنى :
أبا هاشم . - وكان قد تركه باشيلية عليلا - فقال :

أبا هاشم هشمتى الشفار * فله صبرى لذلك الاوار
ذكرت شخيتك تحت العجاج * فلم يتنى ذكره للفرار

ثم كان أول من وافى ابن عباد من قواد يوسف بن تاشفين داود بن
عائشة - وكان بطلا شهما ، فنفس بسجيته على ابن عباد ثم أقبل يوسف
بعد ذلك - وطبولة قد ملات أصواتها الجو - فلما أبصره الاذفونش وجه
حملته اليه وقصده بمعظم جنوده فبادر اليهم السلطان يوسف وصددهم
صدمة ردتهم الى مركزهم وانتظم به شمل ابن عباد واستنشق الناس ريح
الظفر وتباشروا بالنصر . ثم صدقوا جميعا الحملة فزلزلت الارض من
حوافر الحيل وأظلم النهار بالعجاج وخاضت الحيل فى الدماء وصبر الفريقان
صبرا عظيما .

ثم تراجع ابن عباد الى يوسف وحمل معه حملة جاء معها النصر وتراجع
المنهزمون من أصحاب ابن عباد حين علموا بالتحام الفتيين وصدقوا الحملة
فانكشف الطاغية ومر هاربا منهزما وقد طعن فى احدى ركبته طعنة بقى
يجمع بها بقية عمره . قالوا : وكان أمير المسلمين يوسف بن تاشفين على
فرس يومئذ أتى يمسر بين ساقات المسلمين وصفوفهم يحرضهم ويقوى
نفوسهم على الجهاد ويحضهم على الصبر فقاتل الناس ذلك اليوم قتال مسن
يطلب الشهادة ويرغب فى الموت

وعلى سياق ابن خلكان : «ان ابن تاشفين نزل على اقل من فرسخ من
عسكر العدو في يوم الاربعاء . وكان الموعد بالمناجزة يوم السبت فقدر
الاذفونش ومكر ، فلما كان سحر يوم الجمعة منتصف رجب اقبلت طلائع
ابن عباد - والروم في أثرها والناس على طمانينة - فبادر ابن عباد للركوب
وانبث الخبر في العساكر ، فماجت بأهلها ، ورجفت الارض ، وصارت
الناس فوضى على غير تعبئة ولا أهبة ودهمتهم خيل العدو ، فغمرت ابن
عباد وحطمت ما تعرض لها وتركت الارض حصيدا خلفها . وصرع ابن
عباد وأصابه جرح أشواء وفر رؤساء الاندلس وأسلموا محلاتهم وظنوا أنه
وهي لا يرفع ، ونازلة لا تدفع ، وظن الاذفونش أن أمير المسلمين في
المنهزمين ، ولم يعلم أن العاقبة للمتقين ، فتقدم أمير المسلمين وأحدثت به
أنجاد خيله ورجاله من ضهاجة ورؤساء القبائل ، وقصدوا محلة الاذفونش
فأقتحموها وقتلوا حاميتها ، وضربت الطبول ، وزعقت البوقات الارض
وتجاوبت الجبال والآفاق ، وتراجع الروم الى محلتهم بعد أن علموا أن
أمير المسلمين فيها فقصده فافرج لهم عنها ثم كسر عليهم فأخرجهم منها ،
ثم كروا عليه فافرج لهم عنها . ولم تزل الكرات بينهم تتوالى الى أن أمر
أمير المسلمين حشمه السودان ، فترجل منهم زهاء أربعة آلاف ودخلوا
المعرك بدرق اللط. وسيوف الهند ، ومزاريق الزان فخالطوا الخيل وطعنوها
فرمحت بفرسانها وأحجمت عن أقرانها وتلاحق الاذفونش بأسود نفذت
مزاريقه فأهوى ليضربه بالسيف فلصق به الاسود وقبض على عنانه ! وانتضى
خنجرا كان متمنطقا به فآثبه في فخذه . فهتك حلق درعه وشك فخذه مع
بداد سرجه . وكان وقت الزوال يوم الجمعة منتصف رجب سنة تسع
وسبعين وأربعمائة . وهبت ريح النصر فأنزل الله سكينته على المسلمين
ونصر دينه القويم وصدقوا الحملة على الاذفونش وأصحابه فأخرجوهم عن
محلتهم فولوا ظهورهم وأعطوا أفياءهم - والسيوف تصفعهم والرماح
تطعنهم - الى أن لحقوا بربوة لجثوا اليها واعتصموا بها وأحدثت بهم الخيل
فلما أظلم الليل انساب الاذفونش وأصحابه من الربوة وأفلتوا من بعد ما

نسبت فيهم أنظار المنية ، واستولى المسلمون على ما كان فى محلهم من
الاثاث والآنية والمضارب والاسلحة وغير ذلك ، وأمر ابن عباد بضم رؤوس
ملى المشركين فاجتمع من ذلك تل عظيم .

وقال صاحب الروض المعطار : لجأ الاذفونش الى تل كان بلى محلته فى
نحو خمسمائة فارس ما منهم الا مكلوم . وأباد القتل والاسر من عداهم من
أصحابه ، وعمل المسلمون من رؤوسهم ما ذن يؤذنون عليها والمخدول ينظر
الى موضع الوقعة ومكان الهزيمة فلا يرى الا نكالا محيطا به وبأصحابه .
وأقبل ابن عباد على السلطان يوسف وصادفه وهناك وشكره وأتسى
عليه ، وشكر يوسف صر ابن عباد ومقامه وحسن بلائه وسأله عن حاله
عندما أسلمته رجاله بانهم عنه فقال له : «هاهم هؤلاء قد حضروا بين
يديك فليخبروك ا»

وكتب ابن عباد الى ابنه باشيلية كتابا مضمونه : «كاتبى هذا اليك من
المحلة المنصورة يوم الجمعة منتصف رجب ، وقد أعز الله الدين ونصر
المسلمين وفتح لهم الفتح المبين وهزم الكفرة المشركين ، وأذاقهم العذاب
الاليم ، والخطب الجسيم فالحمد لله على ما يسره وسناه من هذه المسرة
العظيمة والنعمة الجسيمة فى تشيت شمل الاذفونش والاحتواء على جميع
عساكره أصلاه الله نكال الجحيم ، ولا أعدمه الوبال العظيم ، بعد اتيان
التهب على محلاته واستئصال القتل بجميع أبطاله وحماته ، حتى اتخذ
المسلمون من هاماتهم صوامع يؤذنون عليها ، فله الحمد على جميل صنعه ولم
يصبني والحمد لله الا جراحات بسيرة آلت ، لكنها قرحت بعد ذلك فله
الحمد والمنة والسلام .»

واستشهد فى ذلك اليوم جماعة من الفضلاء والعلماء ، مثل ابن رميلة
صاحب الرؤيا المذكورة وقاضى مراکش أبى مروان عبد الملك المصودى
وغيرهما رحم الله الجميع
وحكى أن موضع المعترك كان على اتساعه ما فيه موضع قدم الا على
ميت أو دم . وأقامت العساكر بالموضع أربعة أيام حتى جمعت الغنائم

واستؤذن في ذلك السلطان يوسف ففعل عنها وآثر بها ملوك الاندلس ،
وعرفهم أن مقصوده الجهاد والاجر العظيم ، وما عند الله في ذلك من
الثواب المقيم . فلما رأَت ملوك الاندلس ايثار يوسف لهم بالفنائم استكرموه
وأجوه وشكروا له صنعه وأمر أمير المسلمين بقطع رؤوس القتلى وجمعها
فقطعت وجمع بين يديه منها أمثال الجبال ، فبعث منها الى اشيلية عشرة
آلاف رأس ، والى قرطبة مثل ذلك ، والى بلنسية مثلها ، والى سرقسطة
ومرسية مثلها وبعث الى بلاد العدو أربعين ألف رأس ، فقسمت على مدن
العدوة ليراها الناس فيشكروا الله على ما منحهم من النصر والظفر العظيم .
قال ابن أبي زرع : « وفي هذا اليوم تسمى يوسف بن تاشفين بأمر
المسلمين ولم يكن يدعى به قبل ذلك ، وأظهر الله تعالى الاسلام وأعز أهله
وكتب أمير المسلمين بالفتح الى بلاد العدو والى تميم بن المعز الصنهاجي
صاحب أفريقية ، فعمت المفرحات في جميع بلاد أفريقية والمغرب
والاندلس ، واجتمعت كلمة الاسلام واخرج الناس الصدقات ، وأعتقوا
الرقاب شكرا لله تعالى .

ولما بلغ الأذفونش الى بلاده وسأل عن أصحابه وأبطاله فنقدم ولم
يسمع الا نواح الثكالي عليهم اغتم ولم يأكل ولم يشرب حتى هلك أسفا
وغما ، وراح الى أمه الهاوية ، ولم يخلف الا بنتا واحدة جعل الأمر اليها
فحصنت بطليطلة .

ورحل المعتمد الى اشيلية ومعه السلطان يوسف بن تاشفين فأقام
يوسف بظاهر اشيلية ثلاثة أيام ، وورد عليه الخبر بوفاة ولده أبي بكر بن
يوسف - وكان قد تركه مريضا بسبته - فاغتم لذلك وانصرف راجعا الى
العدوة ، وذهب معه ابن عباد يوما وليلة ، فعزم عليه يوسف في الرجوع
الى منزله ، وكانت جراحاته قد تورمت عليه ، فسير معه ولده عبد الله الى
أن وصل البحر وعبر الى المغرب .

وكان أمير المسلمين عند مجيئه الى بلاد الاندلس وقصده ملاقسة
الأذفونش قد تحرى المسير بالعراء من غير أن يمر بمدينة أو رستاق حتى
(الاستقصا ثاني 4٢)

نزل الزلافة تجاه الازفونش وهناك اجتمع بعساكر الاندلس . قاله ابن
خلكان .

ولما فرغ من الوقعة رجع عوده على بدئه كل ذلك تورع منه وتكرم
وتخيف عن الرعايا رحمه الله ورضى عنه .

ولما رجع ابن عباد الى اشبيلية جلس للناس وهنىء بالفتح ، وقرأت
القرآن وقامت على رأسه الشعراء فأنشدوه . قال عبد الجليل بن وهبون :
« حضرت ذلك اليوم وأعددت قصيدة أنشدها بين يديه ، فقرأ قارىء :
« الا تنصروه فقد نصره الله » نقلت : « بعدا لى ولشعري ! والله ما أبقت
لى هذه الآتية معنى أحضره وأقوم به » . اهـ

ومن هنا اختلفت أقوال المؤرخين فى حال أمير المسلمين فى الجهاد ،
فقال انه لم يرجع الى بلاد الاندلس بعد هذه المرة لكنه ترك قواده فيها ورسم
لهم بالجهاد وشن الغارات على بلاد العدو . وقيل انه عاد اليها ثانيا
وثالثا وعلى هذا القول فاختلّفوا فى زمان ذلك العود وتاريخه . والله
تعالى أعلم .



بقية اخبار امير المسلمين فى الجهاد

وما اتفق له مع ملوك الاندلس وكبيرهم ابن عباد



اعلم أن أقوال المؤرخين اختلفت فى أمر يوسف بن تاشفين بعد
غزوة الزلافة فحكى ابن خلكان وغيره أن أمير المسلمين لما عزم على
النهوض الى بلاد المغرب ترك قائده سير بن أبى بكر اللمتونى بأرض
الاندلس وخلف معه جيشا برسم غزو الفرنج ، فاستراح سير بن أبى بكر
أياما قلائل ثم دخل بلاد الازفونش وشن الغارات فنهب وقتل وسبى وفتح
الحصون المنيعه والمعازل الصعبة وتوغل فى بلاد العدو وحصل على أموال

جليلة وذخائر عظيمة ، ورتب رجالا وفرسانا فى جميع ما استولى عليه . وأرسل الى السلطان يوسف بجميع ما حصله وكتب اليه يعرفه أن الجيوش بالثغور قيمة على مكابدة العدو وملازمة الحرب والقتال فى أضيقت عيش وانكده وملوك الاندلس فى بلادهم وأهلهم فى أرغد عيش وأطيه وسأله مرسومه فكتب اليه « أن يأمرهم بالنقلة والرحيل الى أرض العدو فمن فعل فذاك ومن أبى فحاصره وقاتله ولا تنفس عليه ، ولتبدأ بمن والى الثغور منهم ، ولا تتعرض لابن عباد الا بعد استيلائك على البلاد وكل بلد أخذته فول عليه أميرا من عسكريك » فامتثل سير بن أبى بكر أمره واستزلهم واحدا بعد واحد حتى كان آخرهم ابن عباد فألحقه بهم ونظمه فى سلكهم على ما نذكره .

وقال ابن أبى زرع : « لما كانت سنة احدى وثمانين وأربعمائة جاز أمير المسلمين الى الاندلس الجواز الثانى برسم الجهاد . قال : وسبب جوازه أن الاذفونش لعنه الله لما هزم وجرح وقتل جموعه عمد الى حصن لبيط الموالى لعمل ابن عباد فتمخنه بالخيال والرجال والرماة ، وأمرهم أن يكونوا ينزلون من الحصن المذكور فيغيرون فى أطراف بلاد ابن عباد دون سائر بلاد الاندلس ، اذ كان السبب فى جواز أمير المسلمين الى الاندلس فكانوا ينزلون من الحصن فى الخيل والرجل فيغيرون ويقتلون ويأسرون تد جعلوا ذلك وظيفة عليهم فى كل يوم . فساء ابن عباد ذلك وضاق به ذرعا . ثم عبر البحر الى العدو مستغفرا لامير المسلمين فلقه بالمعمورة من حلق وادى سبو - وهذه المعمورة هى المسماة اليوم بالمهدية ، من أحواز سلا - فشكا اليه حصن لبيط وما يلقاه المسلمون من أهله ، فوعده الجواز اليه ، فرجع المعتمد .

وسار يوسف فى أثره ، فركب البحر من قصر المجاز الى الحضراء ، فتلقاء ابن عباد بها بألف دابة تحمل الميرة والضيافة ، فلما نزل يوسف بالحضراء كتب منها الى أمراء الاندلس يدعوهم الى الجهاد ، وقال لهم :

« الموعد بيننا وبينكم حصن لبيط » ، ثم تحرك يوسف من الحضراء ، وذلك في ربيع الاول من السنة المذكورة ، فنزل على حصن لبيط - وفي القاموس لبطيظ كزنييل بلد بالجزيرة الخضراء الاندلسية ، ولعله هو هذا - فلما نزله أمير المسلمين لم يأتته ممن كتب اليه من أمراء الاندلس غير ابن عبد العزيز صاحب مرسية ، وابن عباد صاحب اشيلية فانزلا معه الحصن وشرعوا في القتال والتضييق عليه .

وكان يوسف رحمه الله يشن الغارات على بلاد الفرنج كل يوم ودام الحصار على الحصن أربعة أشهر لم ينقطع القتال فيها يوما واحدا الى أن دخل فصل الشتاء ووقع بين ابن عبد العزيز وابن عباد نزاع وشنآن ، فشكا المعتمد الى أمير المسلمين ابن عبد العزيز فقبض عليه أمير المسلمين وأسلمه الى ابن عباد فاختل أمر المحلة بسبب ذلك وفر جيش ابن عبد العزيز وقواده عنها وقطعوا الميرة عن المحلة ووقع بها الغلاء .

ولما علم الاذفونش بذلك حشد أمم النصرانية وقصد الى حماية الحصن في أمم لا تحصي ، فلما قرب من الحصن انحرف له يوسف عنه الى ناحية لورقة ، ثم الى المرية ثم جاز الى العدو وقد تغير على أمراء الاندلس لكونه لم يأتهم أحد عندما دعاهم الى الجهاد ومنازلة الحصن .

ولما أفرج أمير المسلمين عن الحصن المذكور ، أقبل الاذفونش حتى نزل عليه فأخلاه مما كان فيه من آلة الحصار ومادته ، وأخرج من كان فيه من بقية النصارى المنفلتين من مخالبا المنية ، وعاد الى طليطلة فاستولى ابن عباد عليه بعد خلائه وفناء جميع حماته بالقتل والجوع سوى ثلاث الصباية المنفلتة .

وكان فيه عندما نازله أمير المسلمين اثنا عشر ألف مقاتل دون العيال والذرية ، فأتى عليهم القتل والجوع حتى لم يبق فيه سوى نحو المائة وهم المنفلتون منه عند اخلائه .

ثم لما كانت سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة جاز أمير المسلمين الى الاندلس الجواز الثالث برسم الجهاد ؛ فسار حتى نزل على طليطلة وحاصر

بها الاذفونش وشن الغارات بأطرافها فاكسحها واتسف ثمارها وزروعها
وخرّب عمرانها وقتل وسبى ولم يأت من ملوك الاندلس أحد ، ولا عرج
عليه منهم معرج فغانه ذلك !

ولما قفل من غزو طليطاة عمد الى غرناطة فنازلها . وكان صاحبها
عبد الله بن بلكين ابن باديس بن حبوس قد صالح الاذفونش وظاهره على
أمير المسلمين ، وبعث اليه بمال واشتغل بتحسين بلده . وفي ذلك يقول
بعض شعراء عصره :

بني على نفسه سفاها كأنه دودة الحرير
دعوه بني ، فسوف يدري اذا أتت قدرة القدير

ولما انتهى أمير المسلمين الى غرناطة تحصن منه صاحبها عبد الله بن
بلكين وأغلق أبوابها دونه فحاصره أمير المسلمين نحو شهرين . ولا اشتد
عليه الحصار أرسل يطلب الامان فأمنه أمير المسلمين وتسلم منه البلاد
فملكها ، وبعث بعبد الله وأخيه تميم بن بلكين صاحب مالقة الى مراکش مع
حريمهما وأولادهما فأقاما بها وأجرى عليهما الاتفاق الى أن ماتا بها .

ولما خلع أمير المسلمين بني باديس وملك غرناطة ومالقة وما أضيف
اليهما خاف منه المعتمد ابن عباد وانقبض عنه . ويقال : أن ابن عباد طمع
في غرناطة وان أمير المسلمين يعطيه اياها فعرض له بذلك فأعرض عنه
أمير المسلمين فخاف ابن عباد منه وعمل على الخروج عليه ، ثم سعى بينهما
الوشاة فتغير عليه أمير المسلمين وعبر الى العدو في رمضان سنة ثلاث
وثمانين المذكورة .

ولما انتهى الى مراکش ولي على الاندلس قائده سير بن أبي بكر
اللمتوني وقوض اليه جميع أمورها كلها ولم يأمره في ابن عباد بشيء
فسار سير بن أبي بكر نحو اشبيلية ، وهو يظن أن ابن عباد اذا سمع به يخرج
اليه ويتلقاه على بعد ويحمل اليه الضيافات على العادة فلم يفعل ، وتحصن
منه ولم يلتفت اليه ! فراسله سير بن أبي بكر أن يسلم اليه البلاد ويدخل

في طاعة أمير المسلمين ، فامتنع ابن عباد فعند ذلك تقدم سير الى حصاره
وقتاله . وبعث بعض قواده الى قرطبة ليحاصرها وبها يومئذ المأمون بن
المعتمد ابن عباد ، فنازلها في عساكر المرابطين حتى فتحها يوم الاربعاء
ثالث صفر سنة أربع وثمانين وأربعمائة . وقتل صاحبها المأمون بن المعتمد
ثم فتح بياسة وأبدة وحصن البلاط والمدور والصخيرة وشقورة ، ولم
ينقض شهر صفر المذكور حتى لم يبق لابن عباد بلد الا وقد ملكه المرابطون
ما عدا قرمونة واشيلية . ثم ارتحل سير ابن أبي بكر الى قرمونة فنازلها
حتى دخلها غنوة زوال يوم السبت السابع عشر من ربيع الاول من السنة
المذكورة . فاستد الامر على ابن عباد وطال عليه الحصار فبعث الى الاذفونش
لعه الله يستغيث به على لمتونة ويعدده باعطاء البلاد وبذل الطارف والتلاد
ان هو كشف عنه ما هو فيه من الحصار ! فبعث اليه الاذفونش قائده
القومس في جيش من عشرين ألف فارس وأربعين ألف راجل .

فلما علم سير بقدوم الفرنج اليه انتخب من جيشه عشرة آلاف فارس
من أهل الشجاعة والنجدة ، وقدم عليهم ابراهيم بن اسحق اللمتوني
وبعثه لقاء الفرنج . فالتقى الجمعان بالقرب من حصن المدور فكانت بينهم
حروب شديدة مات فيها خلق كبير من المرابطين ، ومنحهم الله النصر
فهزموا الفرنج وقتلوهم حتى لم يفلت منهم الا القليل .

ثم شد سير ابن أبي بكر في الحصار والتضييق على اشيلية حتى
افتحمها غنوة وقبض على المعتمد وجماعة من أهل بيته ! فقيدهم وحملهم في
السفن بنهر اشيلية وبعث بهم الى أمير المسلمين بمراكش . فأمر أمير
المسلمين بارسال المعتمد الى مدينة اغمات فسجن بها واستمر في السجن
الى أن مات به لاحدى عشرة ليلة خلت من شوال سنة ثمان وثمانين
وأربعمائة .

وكان دخول سير بن أبي بكر مدينة اشيلية يوم الاحد الثاني والعشرين
من رجب سنة أربع وثمانين وأربعمائة .

ثم ملك المرابطون بعد ذلك ما بقى من بلاد الاندلس الى أن خلصت لهم ولم يبق للملوك الطوائف بها ذكر . وهذه الاخبار نقلناها عن ابن أبى زرع ممزوجة باليسير من كلام غيره واعتمدنا كلامه لانه موضوع بالقصد الاول لاختبار المغرب فيكون أعنى به من غيره .

وفى تاريخ ابن خلدون بعض مخالفة لما مر . قال : « أجاز يوسف بن تاشفين البحر الى الاندلس الجواز الثانى سنة ست وثمانين وأربعمائة وتناقل أمراء الطوائف عن لقائه لما أحسوا من تكبره عليهم لما يسمون به رعاياهم من الظلامات والمكوس وتلاحق المغارم ، فوجد عليهم . وعهد برفع المكوس وتحرى المعدلة » وقال أيضا : « ان الفقهاء بالاندلس طلبوا من يوسف بن تاشفين رفع المكوس والظلامات عنهم ، فتقدم بذلك الى ملوك الطوائف فأجابوه بالامتنال . حتى اذا رجع عن بلادهم رجعوا الى حالهم . فلما أجاز ثانية انقبضوا عنه الا ابن عباد فانه بادر الى لقائه وأغراه بالكثير منهم ! فقبض على ابن رشيق البناء وأمكن ابن عباد منه للعداوة التى بينهما . وبعث جيشا الى المرية ، ففر عنها صاحبها ابن صمادح ونزل بجاية من أرض افريقية . وتوافق ملوك الطوائف على قطع المدد عن عساكر أمير المسلمين ومحلاته . فساء نظره وأفتاه الفقهاء وأهل الشورى من المغرب والاندلس بخلعهم وانتزاع الامر من أيديهم ، وسارت اليه بذلك فتاوى أهل المشرق الاعلام مثل الغزالي والطرطوشى وغيرهما .

فعمد الى غرناطة واستنزل صاحبها عبد الله بن بلكين وأخاه تميميا عن الملقه ، به دأن كان منهما مداخلة للطاغية فى عداوة يوسف بن تاشفين ، وبعث بهما الى المغرب . فخاف ابن عباد عند ذلك منه وانقبض عن لقائه ، وفشت السعايات بينهما . ونهض أمير المسلمين الى سبتة فاستقر بها وعقد للامير سير ابن أبى بكر على الاندلس وأجازه . فانهى اليها ، وقعد ابن عباد عن تلقيه وميرته فأحفظه ذاك وطالبه بالطاعة لامير المسلمين والنزول عن الامر ، ففسد ذات بينهما ثم غلبه على جميع عمله . ثم صمد الى اشبيلية

فحاصره بها واستجد الطاغية . فعمد الى استنقاذه من هذا الحصار فلم يفت عنه شيئا . وكان دفاع لمتونة مما فت في عضده . واقترح المرابطون اشيلية عنوة سنة أربع وثمانين وأربعمائة . وتقبض سير على المعتمد وقاده أسيرا الى مراكش ، فلم يزل في اعتقال يوسف بن تاشفين الى أن هلك في محبسه من اغمات سنة تسعين وأربعمائة .

ثم عمد الى بطليوس وتقبض على صاحبها عمر بن الافطس فقتله وابنيه يوم الاضحى سنة تسع وثمانين وأربعمائة بما صح عنده من مداخلتهم الطاغية وأن يملكوه مدينة بطليوس .

ورثاهم الاديب أبو محمد عبد المجيد بن عبدون بقصيدته المشهورة التي يقول في أولها :

الدهر بفتح بعد العين بالانسر * فما انبكاء على الاشباح والصور
وهي تصيدة غريبة في منوالها وموضوعها ، عدد فيها أهل التكبكات ،
ومن عثر به الزمان بما يكسى منه الجماد ، وتستشرف نسماعه الانجاس
والوهاد .

ثم أجاز يوسف بن تاشفين الجواز الثالث الى الاندلس سنة تسعين وأربعمائة ، وزحف اليه الطاغية . فبعث أمير المسلمين عساكر المرابطين أنظر محمد بن الحاج اللمتوني ، فانهزم النصارى أمامه وكان الظهور للمسلمين

ثم أجاز الامير يحيى بن أبي بكر بن يوسف بن تاشفين سنة ثلاث وتسعين ، وانضم اليه محمد بن الحاج وسير بن أبي بكر ، فأفتحوا عامة الاندلس من أيدي ملوك الطوائف ، ولم يبق منها الا سرقسطة في يد المستعين بن هود معتصما بالنصارى . وأغزى الامير مزدلي صاحب بلنسية الى بلاد برشلونة فأتخن فيها ، وبلغ الى حيث لم يبلغ أحد قبله ورجع .

وانتظمت بلاد الاندلس في ملكة يوسف بن تاشفين وانقرض ملك الطوائف منها أجمع كأن لم يكن . واستولى أمير المسلمين على العدوتين معا واتصلت هزائم المرابطين على الفرنج مرارا والله غالب على أمره . فهذا

كلام ابن خلدون في سياقه هذه الاخبار .

واعلم أنه قد يوجد هنا لبعض المؤرخين حط من رتبة أمير المسلمين وغض عليه اما في كونه كان بربريا من أهل الصحراء بعيدا عن مناحي الملك والادب ورقة الحاشية ، وما في كونه تحامل على ملوك الاندلس حتى فعل بهم ما فعل ، وذلك حيث عاين حسن بلادهم ورفاهية عيشتهم .

واعلم أن هذا الكلام جديد بالرد ، وأصله من بعض أدباء الاندلس الذين كانوا ينادمون ملوكها ويستظلمون بظلمهم ويغدون ويروحون في نعمتهم ، فحين فعل مير المسلمين بسادتهم ورؤسائهم ما فعل أخذهم من ذلك ما يأخذ النفوس البشرية من الذب عن الصديق والمحاماة عن القريب حتى باللسان ، والا فقد كان أمير المسلمين رحمه الله من الدين والورع على ما قد علمت ، ومن ركوب الجادة وتحري طريق الحق على الوصف السذي سمعت !

وهذا ابن خلدون امام الفن ومتحري الصدق ، قد نقل أن ملوك الاندلس كانوا يظلمون رعاياهم بضرب المكوس وغيرها ، ثم وصلوا أيديهم بالطاغية وبذلوا له الاموال في مظاهرتة اياهم على أمير المسلمين ، ثم لم يقدم على قتالهم واستزالهم عن سرير ملكهم حتى تعددت لديه فئاوى الائمة للاعلام من أهل المشرق والمغرب بذلك فافهم هذا واعرفه . والله تعالى يقابل الجميع بالعفو والصفح الجميل بمنه وكرمه .



بقية أخبار أمير المسلمين يوسف بن تاشفين سوى ما تقدم



قال ابن خلكان : « كان أمير المسلمين يوسف بن تاشفين حازما ، سائسا للامور ، ضابطا لمصالح مملكته ، مؤثرا لاهل العلم والدين ، كثير المشورة لهم » قال : « وبلغني أن الامام حجة الاسلام أبا حامد الغزالي رحمه الله لما

سمع ما هو عليه من الاوصاف الحميدة ، وميله الى أهل العلم ، عزم الى التوجه اليه ، فوصل الى الاسكندرية وشرع في تجهيز ما يحتاج اليه ، فجاء اليه الخبر بوفاة ، فرجع عن ذلك العزم ، قال : « وكنت وقفت على هذا الفصل في بعض الكتب وقد ذهب عنى في هذا الوقت من أين وجدته ، وكان أمير المسلمين يوسف معتدل القامة ، أسمر اللون ، نحيف الجسم ، خفيف العارضين ، دقيق الصوت .

وكان يخطب لبني العباس ، وهو أول من تسمى بأمير المسلمين . ولم يزل على حاله وعزه وسلطانه الى أن توفي يوم الاثنين لثلاث خلون من المحرم سنة خمسماية . وعاش تسعين سنة ، ملك منها مدة خمسين سنة رحمه الله .

وقال ابن خلدون : « تسمى يوسف بن تاشفين بأمير المسلمين ، وخاطب الخليفة لعهد بنفداد وهو أبو العباس أحمد المستظهر بالله العباسي - وبعث اليه عبد الله بن محمد بن العربي المعافري الاشبيعي وولده القاضي أبا بكر بن العربي الامام المشهور ، فتلفقا في القول وأحسنا في الابلاغ ، وطلبا من الخليفة أن يعقد لأمير المسلمين بالمغرب والانديلس ، فعقد له ، وتضمن ذلك مكتوب من الخليفة منقول في أيدي الناس . وانقلبا اليه بتقليد الخليفة وعهده على ما الى نظره من الاقطار والاقاليم ، وخاطبه الامام الغزالي والقاضي أبو بكر الطرطوشي يحضانه على العدل والتمسك بالخير ، ثم أجاز يوسف بن تاشفين الجواز الرابع الى الاندلس سنة سبع وتسعين وأربعمائة ، اه كلام ابن خلدون .

وانما احتاج أمير المسلمين الى التقليد من الخليفة المستظهر بالله - مع أنه كان بعيدا عنه وأقوى شوكة منه - لتكون ولايته مستندة الى الشرع . وهذا من ورعه رحمه الله .

وانما تسمى بأمير المسلمين دون أمير المؤمنين أدبا مع الخليفة ، حتى لا يشاركه في لقبه ! لان لقب أمير المؤمنين خاص بالخليفة ، والخليفة من

فريش كما في الحديث فافهم .

ومن أخبار يوسف بن تاشفين أيضا ما نقله غير واحد من الائمة ،
 أن أمير المسلمين طلب من أهل البلاد المغربية والانديسية المعاونة بشيء من
 المال على ما هو بصدده من الجهاد ، وانه كاتب الى قاضي المرية أبي عبد
 الله محمد بن يحيى - عرف بابن البراء - يأمره بفرض معونة المرية ،
 ويرسل بها اليه ، فامتنع محمد بن يحيى من فرضها ، وكتب اليه يخبره
 بأنه لا يجوز له ذلك ، فأجابه أمير المسلمين بأن القضاة عندي والفقهاء قد
 أباحوا فرضها ، وأن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد فرضها في زمانه .
 فراجعه القاضي عن ذلك بكتاب يقول فيه : « الحمد لله الذى اليه ما بنا ،
 وعليه حسابنا . وبعد ، فقد بلغنى ما ذكره أمير المسلمين من اقتضاء المعونة
 وتأخرى عن ذلك ، وان أبا الوليد الباجى وجميع القضاة والفقهاء بالعدوة
 والانديلس أفتوه بأن عمر بن الخطاب رضى الله عنه اقتضاها ، فالقضاة
 والفقهاء الى النار دون زبانية . فان كان عمر اقتضاها فقد كان
 صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ووزيره وضجيعه فى قبره ، ولا
 يشك فى عدله ، وليس أمير المسلمين بصاحب رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ولا بوزيره ولا بضجيعه فى قبره ، ولا ممن لا يشك فى عدله .
 فان كان القضاة والفقهاء أنزلوك منزلة فى العدل فالله تعالى سائلهم
 وحسيبهم عن تقلدهم فيك . وما اقتضاها عمر رضى الله عنه حتى دخل
 مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحضر من كان معه من الصحابة
 رضى الله عنهم ، وحلف ان ليس عنده فى بيت مال المسلمين درهم واحد
 ينفقه عليهم . فليدخل أمير المسلمين المسجد الجامع بحضرة من هناك ممن
 أهل العلم ، وليحلف أن ليس عنده فى بيت مال المسلمين درهم ينفقه
 عليهم ، وحينئذ تجب معوته ، والله تعالى على ذلك كله والسلام عليك
 ورحمة الله تعالى وبركاته . » فلما بلغ كتابه الى أمير المسلمين وعظه الله
 بقوله ، ولم يعد عليه فى ذلك قولا ، والاعمال بالنيات .
 وكان أمير المسلمين حين ورد عليه التقليد من الخليفة ضرب السكة

باسمه ، ونقش على الدينار : « لاله الا الله محمد رسول الله » وتحت ذلك : « أمير المسلمين يوسف بن تاشفين » وكتب على الدائرة : « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه » وهو في الآخرة من الخاسرين » وكتب على الصفحة الاخرى : « عبد الله أحمد أمير المؤمنين العباسي » وعلى الدائرة تاريخ ضربه وموضع سكوته .

وكان ملكه قد انتهى الى مدينة افراغة من قاصية شرق الاندلس ، والى مدينة أشبونة على البحر المحيط من بحر الاندلس ، وذلك مسيرة ثلاثة وثلاثين يوما طولا . وفي العرض ما يقرب من ذلك . وملك بعدوة المغرب من جزائر بنى مزغنة الى طنجة ، الى آخر السوس الاقصى الى جبال الذهب من بلاد السودان .

ولم ير في بلد من بلاده ولا عمل من أعماله على طول أيامه رسم مكس ولا خراج ، لا في حاضرة ولا في بادية الا ما أمر الله به ، وأوجه حكم الكتاب والسنة من الزكوات والاعشار ، وجزيات أهل الذمة ، وأخماس الغنائم .

وقد جبي في ذلك من الاموال على وجهها ما لم يجبيه أحد قبله . يقال أنه وجد في بيت ماله بعد وفاته ثلاثة عشر ألف ربح من السورق ، وخمسة آلاف وأربعون ربحا من مطبوع الذهب .

وكان رحمه الله زاهدا في زينة الدنيا وزهرتها ، ورعا متقشفا ، لباسه الصوف ، لم يلبس قط غيره . ومأكله الشعير ولحوم الابل وألبانها ، مقتصرا على ذلك ، لم ينقل عنه مدة عمره على ما منحه الله من سعة الملك وخوله من نعمة الدنيا . وقد رد أحكام البلاد الى القضاة ، وأسقط ما دون الاحكام الشرعية . وكان يسير في أعماله بنفسه ، فيتفقد أحوال الرعية في كل سنة . وكان مجبا للفقهاء وأهل العلم والفضل . مكرما لهم ، صادرا عن رأيهم ، يجري عليهم أرزاقهم من بيت المال . وكان مع ذلك حسن الاخلاق متواضعا ، كثير الحياء جامعا لحصول الخير . رحمه الله تعالى ورضى عنه

الحبر عن دولة أمير المسلمين أبي الحسن علي بن يوسف ابن تاشفين اللمتوني

لما توفي أمير المسلمين يوسف بن تاشفين في التاريخ المتقدم ، بايع الناس ابنه علي بن يوسف المذكور بمراكش بعهد من أبيه إليه ، وتسمى بأمر المسلمين .

وكان سنة يوم بويح ثلاثا وعشرين سنة . وملك من البلاد ما لم يملكه أبوه ، لأنه صادف البلاد ساكنة ، والاموال وافرة ، والرعايا آمنة بانقطاع الثوار واجتماع الكلمة ، وسلك طريقة أبيه في جميع أموره واهتدى بهديه .

خروج يحيى بن أبي بكر بن يوسف بن تاشفين على عمه أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين

لما توفي أمير المسلمين يوسف بن تاشفين سجاه ابنه علي بن يوسف بشوبه ، وخرج الى المرابطين - وبده في يد أخيه أبي الطاهر تميم بن يوسف فبايعه . ثم قال للمرابطين : « قوموا فبايعوا أمير المسلمين » . فبايعه جميع من حضر من لمتونة وسائر قبائل صنهاجة ، وبايعه الفقهاء وأشباه القبائل ، فتمت له البيعة بمراكش .

ثم كتب الى سائر بلاد المغرب والاندلس وبلاد القبلة يعلمهم بوفاة أبيه واستخلافه من بعده ، ويأمرهم بالبيعة ، فأنته البيعة من جميع البلاد ، وأقبلت نحوه الوفود للتعزية والتهنئة الا أهل مدينة فاس . فان ابن أخيه

يحيى بن أبي بكر بن يوسف كان أميراً عليها من قبل جده يوسف . فلما انتهى إليه الخبر بموت جده وولاية عمه عظم عليه ذلك وأنف من مبايعة عمه ، فخرج عليه وواقفه على ذلك جماعة من قواد لمتونة ، فزحف إليه على بن يوسف من مراکش ، حتى إذا دنا من فاس خاف يحيى بن أبي بكر على نفسه ، وعلم أنه لا طاقة له بحرب عمه . فأسلم فاساً لعمه . وخرج منها خائفاً يترقب . فدخلها على بن يوسف يوم الأربعاء الثامن من ربيع الآخر سنة خمس مائة . واستقام له الأمر .

وقيل إن على بن يوسف لما دنا من فاس نزل بمدينة مغيلة من أحوازها ثم كتب إلى ابن أخيه يعاتبه على ما ارتكبه من الخلاف ، ويدعوه إلى الدخول في الطاعة كما دخل الناس . وكتب كتاباً آخر إلى أشياخ البلد يدعوهم فيه إلى بيعته ، ويتهددهم ويتوعددهم ، فلما وصل الكتاب إلى يحيى وقرأه ، جمع أهل البلد واستشارهم في المقاتلة والحصار ، فلم يوافقوه . فلما يسئ منهم خرج فآرا إلى مزدلي بن تيلكان - وكان عاملاً على تلمسان - فلقبه مزدلي بوادي ملوية مقبلاً برسوم البيعة لعلي بن يوسف . فأعلمه يحيى بما كان من شأنه ، فضمن له مزدلي عن عمه العفو والصفح ، فرجع معه حتى إذا وصلا إلى فاس ، دخل مزدلي على أمير المسلمين علي بن يوسف ، ونزل يحيى مستخفياً بحومة وادي شردوع .

ولما اجتمع مزدلي بأمر المسلمين وسلم عليه ورأى منه إكراماً وقبولاً أعلمه بخبر يحيى ، وما ضمن له من العفو ، فأجابه إلى ذلك وعفا عنه وأمنه ! ثم جاء يحيى فبايعه ، وخيره أمير المسلمين بين أن يسكن بجزيرة مبروقة بشرق الأندلس أو ينصرف إلى بلاد الصحراء . فاختار الصحراء ، فانصرف إليها ، ثم سافر منها إلى الحجاز فحج البيت ورجع إلى عمه فاستأذنه أن يكون في جملته ، ويكون سكناه معه بحضرة مراکش ، فأذن له في ذلك فسكنها مدة ، ثم اتهمه عمه بالتشغيب عليه فقطفه ، وبعث به إلى الجزيرة الخضراء فاستمر بها إلى أن مات .

اخبار الولاية بالمغرب والاندلس

لما بويغ أمير المسلمين على بن يوسف عزل عن قرطبة الامير ابا عبد الله محمد بن الحاج اللمتوني ، وولى مكانه القائد ابا عبد الله محمد بن ابي زلفى ، فغزا طليطلة ، وأوقع بالنصارى قتلهم قتلا ذريعا بباب القنطرة أخذهم على غرة .

وفى سنة احدى وخمسمائة عزل أمير المسلمين أخاه تميم بن يوسف بن تاشفين عن بلاد المغرب ، وولى مكانه ابا عبد الله بن الحاج ، فأقام واليا على فاس وسائر أعمال المغرب نحو ستة أشهر ، ثم عزله وولاه بنسبية وأعمالها من بلاد شرق الاندلس .

ولما عزل أمير المسلمين أخاه تميم بن يوسف عن بلاد المغرب ولاء غرناطة وأعمالها من بلاد الاندلس ، فكانت له على النصارى وقعة أفليج ، وذلك أنه خرج غازيا بلاد الفرنج سنة اثنتين وخمسمائة فنزل حصن أفليج - وبه جمع عظيم من الفرنج - فحاصروهم حتى اقتحم عليهم الحصن ، فأرذ النصارى الى القسبة فتحصنوا بها ، وانهى خبرهم الى الفش فاستعد للخروج لاغاثتهم ، فأشارت عليه زوجته أن يبعث ولده عوضا منه ، لان تميم بن يوسف ابن ملك المسلمين ، وسانحة ابن ملك النصارى ، فامتثل اشارتها ، وبعث ولده سانحة فى جيش كئيف من زعماء الفرنج وأنجادهم . فسار حتى اذا دنا من أفليج أخبر تميم بن يوسف بمقدمه ، فعزم على الافراج عن الحصن وأن لا يلقى الفرنج . فأشار عليه قواد لمتونة منهم عبد الله بن محمد بن فاطمة ومحمد بن عائشة وغيرهم بالمقام . وشجعوه وهونوا عليه أمرهم . فقالوا : « انما قدموا فى ثلاثة آلاف فارس ، وبيننا وبينهم مسافة » . فرجع الى رأيهم ، فلم يكن الا عشى ذلك اليوم حتى وافتهم جيوش الفرنج فى ألوف كثيرة ، فهم تميم بالفرار فلم يجد له سبيلا

ثم صمم قواد لتونة على مناجزة العدو ، وصمدوا اليه فكانت بينهم حرب عظيمة بعد العهد بمثلها ، فهزم الله تعالى العدو ونصر المسلمين ، وقتل ولد الفنش ، وقتل معه من الروم ثلاثة وعشرون ألفا ونيف . ودخل المسلمون افليج بالسيف عنوة ، واستشهد في هذه الواقعة جماعة من المسلمين رحمهم الله . واتصل الخبر بالفنش فاعتم لقل ولده وأخذ بلده وهلاك جنده ، فمرض ومات أسفا لعشرين يوما من الواقعة . وكتب تميم ابن يوسف الى أمير المسلمين بالفتح .

واعلم أنه يقال في ملوك الجلالة الذين نسميهم اليوم الاصبنيول الاذفونش ، ويقال الفنش . فقال ابن خلكان : « الاذفونش بضم الهمزة وسكون الذال المعجمة وضم الفاء وسكون الواو بعدها نون ثم شين معجمة هو اسم لاكبر ملوك الافرنج وهو صاحب طليطلة » . وقال ابن خلدون : « بنو اذفونش هم ولد اذفونش بن بطرة أول ملوك الجلالة » اه . وأما فولهم الفنش فهو اسم لعلم لبعض ملوكهم ، وليس لقباً لجميعهم .

وكان محمد بن الحاج رحمه الله مدة مقامه ببلنسية قد ضيق على النصارى تضيقاً فاحشاً بالغارات والنهب ، فخرج في غزاة له ذات مرة فأخذ على طريق البرية فغنم وسبى ، وكان معه جماعة من قواد لتونة ، فبعث بالمغنم على الطريق الكبير ، وأخذ هو على برية تقرب من بلاد المسلمين . وكان أكثر الناس مع المغنم . وكان طريق البرية الذي أخذ عليه محمد بن الحاج لا يسلك الا على سرب واحد لصعوبته وشدة وعورته . فلما توسطه محمد بن الحاج وأخذته الاوعار والمضايق من بين يديه ومن خلفه وجد النصارى قد كمنوا له في جهة من تلك الجهات . فقاتلهم قتال من أيقن بالموت واغتم الشهادة ، اذ لم يجد منفذا يخلص منه . فاستشهد رحمه الله واستشهد معه جماعة من المتطوعة ، وتخلص منهم القائد محمد بن عائشة في نفر يسير بحيلة أعملها .

واتصل خبر الواقعة بأمر المسلمين فأسفه موت أبي عبد الله بن الحاج

وولى مكانه أبا بكر بن إبراهيم بن تافلوت ، وهو ممدوح ابن خفاجة ومخدوم أبي بكر بن باجة الحكيم المعروف بابن الصائغ - وكان عاملا على مرسية - فوصل إليه العهد بالولاية على بلنسية وطرطوشة وما والاها ، وهو بمرسية . ثم خرج بجيش مرسية الى بلنسية ، فاجتمع إليه من كان بها من الجند . ثم زحف بهم الى برشلونة فنازلها ، وأقام عليها عشرين يوما ، فاتسفت ما حولها وقطع ثمارها وخرب قراها ، فأناه ابن رذمير من فرابة الاذفونش في جيوش كثيرة من حشود بسيط برشلونة وبلاد أربونة فكانت بينهم حرب عظيمة مات فيها خلق كثير من الفرنج ، واستشهد فيها من المسلمين نحو السبعماية رحمهم الله تعالى .



أخبار أمير المسلمين علي بن يوسف في الجهاد وجوزلا الاول إلى بلاد الاندلس



لما دخلت سنة ثلاث وخمسمائة جاز أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين الى الاندلس برسم الجهاد ، فعبر البحر من سبتة منتصف المحرم من السنة المذكورة في جيوش عظيمة تزيد على مائة ألف فارس ، فأنهى الى قرطبة فأقام بها شهرا ، ثم خرج منها غازيا الى مدينة طلابوت ، ففتحها عنوة بالسيف . وفتح من أعمال طليطلة سبعة وعشرين حصنا ، وفتح مجريط (١) ووادي الحجارة ، وانتهى الى طليطلة فحاصرها شهرا واتسفت ما حولها ، وبالغ فسي النكاية ، ثم قفل الى قرطبة بعد أن دوخ البلاد . وفي سنة أربع وخمسمائة فتح الامير سير بن أبي بكر شترين ، وبطليوس ، وبابورة ، وبرتقال ، وأشبونة ؛ وغير ذلك من بلاد غرب

(١) هي المسماة اليوم مادريد دار ملك الاصبنيول مؤلف

(الاستقصا ثاني ٥٢)

الاندلس . وكان ذلك فى شهر ذى القعدة من السنة المذكورة ، وكتب بالفتح الى أمير المسلمين .

وفى سنة سبع وخمسمائة توفى الامير سير بن أبى بكر باشيلية ودفن بها ، وولى اشيلية عوضا منه أبو عبد الله محمد بن فاطمة ، فلم يزل عليها الى أن توفى سنة عشر وخمسمائة .

وفى سنة سبع المذكورة غزا الامير مزدلى طليطلة وأعمالها ، فدوخها وفتح حصن أرجنة غنوة ، فقتل المقاتلة وسبى النساء والذرية . واتصل الحبر بالبرهانس - كبير الفرنج - فأقبل لنصرتهم واستنقاذهم ، فصمد القائد مزدلى للقائه ، ففر أمامه ليلا ، وعاد مزدلى الى قرطبة ظافرا غانما .

ثم كانت له فى الفرنج وقائع أخرى ، الى أن توفى رحمه الله غانزيا ببلاد الفرنج سنة ثمان وخمسمائة . فولى أمير المسلمين مكانه على قرطبة ابنه محمد بن مزدلى ، فأقام واليا عليها ثلاثة أشهر ، ثم توفى شهيدا فى بعض غزواته أيضا .



استيلاء العدو على سرقسطة



كانت سرقسطة وأعمالها من شرق الاندلس بيد بنى هود الجذامين ، تغلبوا عليها فى صدر المائة الحامسة أيام الطوائف ، وتوارثوها الى أن كن منهم أحمد بن يوسف الملقب بالمستعين بالله ، فزحف اليه ابن رذمير سنة ثلاث وخمسمائة ، فخرج اليه المستعين فالتقوا بظاهر سرقسطة ، فأنهزم المسلمون واستشهد منهم جماعة منهم المستعين بن هود .

ثم لما كانت سنة ثنتى عشرة - وصاحب سرقسطة يومئذ عبد الملك بن المستعين بن هود الملقب بعماد الدولة - زحف ابن رذمير اليها وزحف الفتنس أيضا فى أمم من النصرانية الى لاردة من بلاد الجوف فنازلها . واتصل

الخبر بأمر المسلمين ، فكتب الى أمراء غرب الاندلس يأمرهم بالمسير الى أخيه تميم بن يوسف - وكان يومئذ واليا على شرق الاندلس - فيسيرون معه لاستقذا سرقسطة ولاردة ، فقدم على تميم عبد الله ابن مزدلي وأبو يحيى بن تاشفين - صاحب قرطبة - بعساكرهما ، فخرج تميم بن يوسف من بلنسية مع أمراء الاندلس ، فصد نحو لاردة ، وكان بينه وبين الفتح قتال عظيم أزعجه عن لاردة خاسئا صاغرا ، بعد أن بذل جهده في حصارها ، وأفقد من جيوشه عليها ما يزيد على العشرة آلاف فارس ، ورجع تميم الى بلنسية .

ولما رأى ابن رذمير ذلك بعث الى طوائف الافرنج يستصرخهم على سرقسطة ، فأتوا في أمم كالنمل حتى نازلها معه وشرعوا في القتال ، وصنعوا أبراجا من خشب تجرى على بركات وقربوها منها ، ونصبوا فيها الرعادات ، ونصبوا عليها عشرين منجنيقا ، وقوى طمعهم فيها ، فاستد الحصار واستمر حتى فئت الأقوات وهلك أكثر الناس جوعا ، فراسل المسلمون الذين بها ابن رذمير على أن يرفع عنهم القتال الى أجل ، فان نسم بأنهم من ينصرهم أدخلوا له البلد وأسلموه اليه ، فعاهدهم على ذلك ، فتم الاجل ولم يأتهم أحد ، فدفعوا اليه المدينة وخرجوا الى مرسية وبلنسية ، وذلك سنة اثنتي عشرة وخمسمائة . وبعد استيلاء النصارى عليها وصل من بر العدو جيش فيه عشرة آلاف فارس بعثه أمير المسلمين لاستقذاها فوجدوها قد فرغ منها ونفذ حكم الله فيها .

وفي سنة ثلاث عشرة وخمسمائة ، تغلب ابن رذمير على بلاد شرق الاندلس ، وملك قلعة أيوب التي ليس في بلاد شرق الاندلس أمنع منها ، وألح بالفارات على بلاد الجوف ، فاتصلت هذه الاخبار بأمر المسلمين وهو مراكش ، فجاز الى الاندلس برسم الجهاد وضبط الثغور ، وهو جوازه الثاني فجاز معه خلق كثير من المرابطين والمتطوعة ممن العرب وزناتة والمصامدة وسائر قبائل البربر ، فوصل بجيوشه الى قرطبة ، ونزل خارجها

وأنته وفود الاندلس للسلام عليه ، فسألهم عن أحوال بلادهم وثنورهم
بلدا بلدا ، فعرفوه بما كان .

وعزل القاضي أبا الوليد بن رشد عن قضاء قرطبة ، وولى مكانه أبنا
القاسم بن حمدين ويقال انما عزل ابن رشد لانه استغفاه ، وكان قد اشتغل
بتأليف البيان والتحصيل .

ثم سار أمير المسلمين حتى نزل على مدينة شتمرية ففتحها عنوة ،
وسار فى بلاد الفرنج يقاتل ويسبى ويقطع الثمار ، ويخرب القرى والدبار
حتى دوخ بلاد غرب الاندلس ، وفر أمامه الفرنج وتحصنوا بالمعاقل
المنيعه .

وفى سنة خمس عشرة وخمسمائة عاد أمير المسلمين الى بلاد العدو ،
بعد أن ولى اخاه تميم بن يوسف على جميع بلاد الاندلس ، فلم يسزل عليها
الى أن توفى سنة عشرين وخمسمائة .



ولايته الامير تاشفين بن علي بن يوسف على بلاد الاندلس وأخباره فى الجهاد



لما توفى الامير تميم بن يوسف فى التاريخ المتقدم ولى أمير المسلمين
على بلاد الاندلس ابنه تاشفين بن علي بن يوسف ، ما عدا الجزائر الشرقية
فانه قد عقد عليها لمحمد بن علي السوفى المعروف بابن غانية ، فعبر الامير
تاشفين البحر الى الاندلس فى خمسة آلاف من الجند ، وبعث الى أجناد
البلاد فأتوه فخرج بهم غازيا طليطلة ، ففتح بعض حصونها بالسيف واتسف
ما حولها .

وفى السنة المذكورة ، أعنى سنة عشرين وخمسمائة هزم الامير
تاشفين النصارى بفحص الصباب وقتلهم قتلا ذريعا ، وفتح ثلاثين حصنا

من حصون غرب الاندلس ، وكسب بالفتح الى أبيه .
وفي سنة ثلاثين وخمسمائة هزم الامير تاشفين جموع الفرنج بفحص
عطية ، وأفنى منهم خلقا كثيرا بالسيف .

وفي سنة احدى وثلاثين بعدها دخل الامير تاشفين مدينة كركي
بالسيف ، فلم يبق بها بشرا .

وفي سنة اثنتين وثلاثين بعدها جاز الامير تاشفين من الاندلس الى
المغرب ، بعد ان غزا مدينة أشكونية ففتحها عنوة ، وحمل معه من سبيها
الى العدو ستة آلاف سبية ، فاتته الى مراکش ، وخرج أمير المسلمين
لقائه في زى عظيم وسرور كبير .

وفي سنة ثلاث وثلاثين بعدها أخذ أمير المسلمين البيعة لولده تاشفين .

وفي سنة سبع وثلاثين وخمسمائة كانت وفات أمير المسلمين علي بن
يوسف بن تاشفين اللمتوني رحمه الله . وذلك لسبع خلون من رجب من
السنة المذكورة . قال ابن خلكان : « كان أبو الحسن علي بن يوسف بن
تاشفين رجلا حلما ، وقورا ، صالحا ، عادلا ؛ منقادا الى الحق والعلماء ؛
تجبي اليه الاموال من البلاد ، ولم يزغزعه عن سريره قط حادث ولا طاف
به مكروه . »

قلت قد طاف به في آخر دولته أعظم مكروه . وذلك محمد بن تومرت
النابع تحت ابطه بجبال المصامدة كما يأتي خبره ان شاء الله .



الحبر عن دولة أبي المعز تاشفين بن علي بن يوسف

ابن تاشفين اللمتوني



لما توفي أمير المسلمين علي بن يوسف بن تاشفين في التاريخ المتقدم ولى بعده ابنه أبو المعز تاشفين بن علي بعهد من أبيه إليه ، وأخذ بطاعته وبيعه أهل العدوتين معا كما كانوا في عهد أبيه .

وكان أمر عبد المؤمن بن علي يومئذ قد استفحل بتينمل وسائر بلاد المصامدة أهل جبل درن . قال ابن الخطيب : « كان تاشفين بن علي قد استخلفه أبوه علي بلاد الاندلس ، ثم استقدمه لمداينة أصحاب محمد بن تومرت مهدي الموحدين ، فلم ينجح أمره ، بخلاف ما عوده الله في بلاد الاندلس من النصر ، لما قضاه الله من الادبار على دولتهم » .

ولما خرج عبد المؤمن بن علي من تينمل يريد فتح بلاد المغرب - وكان مسيره على طريق الجبال - سير أمير المسلمين علي بن يوسف ابنه تاشفين المذكور معارضا له على طريق السهل ، وأقاموا على ذلك مدة توفي أمير المسلمين علي بن يوسف في أثناءها ، وأفضى الامر الى ابنه تاشفين وهو في الحرب .

وقدم أهل مراکش اسحق بن علي بن تاشفين نائبا عن أخيه تاشفين يمرآكش وأعمالها ، ومضى تاشفين بعد البيعة له متبعا لعبد المؤمن حتى انتهى تلمسان ، فنزل عبد المؤمن بكهف الضحاك بين الصخرتين من جبل تيطرى المطل عليها ، ونزل تاشفين بالبسيط مما يلي الصفصاف ، ووصله هناك مدد صنهاجة ، من قبل يحيى بن العزيز صاحب بجاية ، مع تائده طاهر بن كباب ، لعصية الصنهاجية . وفي يوم وصوله أشرف على عسكر الموحدين ، وكان يدل باقدام وشجاعة . فقال لجيش لمتونة : « انما جيشكم لاخلصكم من صاحبكم عبد المؤمن هذا وأرجع الى قومي ! » فامتعض تاشفين لكلمته وأذن له في المناجزة ، فحمل على القوم فركبوا وصمموا للقائه ،

فكان آخر العهد به وبعسكره . وكان الموحدون قد قتلوا قبل ذلك الروبرتيير قائد تاشفين على الروم ، وقتلوا عسكره في بعض الغارات ، ثم فتكوا بعسكر ثالث من عساكر تاشفين ، ونالوا منه أعظم النيل .

وفي القرطاس : « زحف المرابطون لقتال الموحدين فنهاهم تاشفين فلم ينتهوا ، وتعلقوا في الجبل لقتالهم ، فهبط عليهم الموحدون فهزموهم هزيمة شنعاء » .

ولما توالى هذه الوقائع على تاشفين أجمع الرحلة الى وهران . فبعث ابنه ابراهيم ولى عهده الى مراكش في جماعة من لتونة ، وبعث كاتباً معه أحمد بن عطية ، ورحل هو الى وهران سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ، فأقام عليها شهراً ينتظر قائد أسطوله محمد بن ميمون ، الى أن وصل اليه من المرية بعشرة أساطيل ، فأرسي قريبا من معسكره ، وزحف عبد المؤمن من تلمسان ، وبعث في مقدمته الشيخ أبا حفص عمر بن يحيى ، فقدموا وهران ، وفضوا جموع المرابطين الذين بها ، ولجأ تاشفين الى رابية هناك ، فأحرقوا بها وأضرموا النيران حولها ، حتى اذا غشيهم الليل خرج تاشفين من الحصن راكباً على فرسه ، فتردى من بعض حافات الجبل ، وهلك لسبع وعشرين من رمضان سنة تسع وثلاثين وخمسمائة . ونجا فل العسكر الى وهران ، فأنحصروا مع أهلها ، حتى جهدهم العطش ، ونزلوا جميعاً على حكم عبد المؤمن يوم عيد الفطر من السنة المذكورة ، فأتى عليهم القتل رحمهم الله !

وقال في القرطاس : « ان تاشفين بن علي خرج ذات ليلة - وهو بوهران - ليضرب في محلة الموحدين ، فتكاثرت عليه الحيل والرجل ، ففر أمامهم ، وكان بجبل عال مشرف على البحر ، فظن أن الارض متصلة به ، فأهوى من شامق بازاء رابطة وهران ، فمات رحمه الله . وكان ذلك في ليلة مظلمة ممطرة وهي ليلة السابع والعشرين من رمضان من السنة المذكورة آنفاً . فوجد من الغد بازاء البحر ميتاً ، فاحتز رأسه وحمل الى

تتمل ، فعلق على شجرة هناك . وذلك بعد ملازمة الحرب مع الموحدين في
البيداء ، لم يأو الى ظل قط من يوم بويج الى أن مات . وكانت مدة ولايته
سنتين وشهرا ونصف شهر .

وقال ابن خلكان : « لما تيقن تاشفين بن علي أن دولتهم ستزول أتى
مدينة وهران - وهي على البحر - وقصد أن يجعلها مقرا ، فان غلب على
الامر ركب منها الى الاندلس . وكان في ظاهر وهران ربوة على البحر
تسمى صلب الكلب ، وباعلاها رباط يأوي اليه المتعدون . وفي ليلة السابع
والعشرين من شهر رمضان سنة تسع وثلاثين وخمسمائة سعد تاشفين الى
ذلك الرباط ليحضر الحتم في جماعة يسيرة من خواصه ، وكان عبد المؤمن
بجمعه في تآكرارت وهي وطنه . واتفق أنه أرسل مسرا من الجبل الى
وهران ، فوصلوها في اليوم السادس والعشرين من رمضان ومقدمهم الشيخ
أبو حفص عمر بن يحيى - صاحب المهدي - فكنوا عشية ، وأعلموا
بافراد تاشفين في ذلك الرباط ، فقصدوف وأحاطوا به وأحرقوا بابه
فأيقن الذين فيه بالهلاك ، فخرج راكبا فرسه وشد الركض عليه نيب
الفرس النار وينجو ، فترامى الفرس نازيا لروعة ولم يملكه اللجام حتى
تردى من جرف هنالك الى جهة البحر على حجارة في محل وعر ، فنكسر
الفرس وهلك تاشفين في الوقت وقتل الخواص الذين كانوا معه وكان
عسكره في ناحية أخرى لا علم لهم بما جرى في ذلك الليل . وجاء الخبر
بذلك الى عبد المؤمن فوصل الى وهران . وسمى ذلك الموضع الذي فيه
الرباط صلب الفتنح . ومن ذلك الوقت نزل عبد المؤمن من الجبل الى
السهل . ثم توجه الى تلمسان ، وهي مدينتان قديمة وحادثة بينهما شوط
فارس . ثم توجه الى فاس فحاصرها واستولى عليها سنة أربعين وخمسمائة .
ثم قصد مراکش سنة احدى وأربعين بعدها فحاصرها أحد عشر شهرا وفيها
اسحق بن علي بن يوسف بن تاشفين وجماعة من مشايخ دولتهم . فقدموه
بعد موت أبيه على بن يوسف نائبا عن أخيه تاشفين ، فاستولى عليها وقد

بلغ القحط من أهلها كل مبلغ ، وأخرج إليه اسحق بن علي ومعه سير ابن الحاج - وكان من الشجعان ومن خواص دولتهم - وكانا مكتوفين ، واسحق دون بلوغ ، فعزم عبد المؤمن أن يعفو عن اسحق لصغر سنه ، فلم يوافق خواصه وكان لا يخالفهم ، فحلى بينهم وبينهما فقتلوهما . ثم نزل عبد المؤمن القصر وذلك سنة اثنين وأربعين وخمسمائة .

وقال ابن خلدون : « أقام الموحدون على مراکش تسعة أشهر ، وأمير الملمين يومئذ اسحق بن علي بن يوسف ، بايعوه صبيا صغيرا عند بلوغ خبر أخيه ، ولما طال عليهم الحصار وجهدهم الجوع برزوا الى مدافعة الموحدين فانهزموا وتبعهم الموحدون بالقتل واقحموا عليهم المدينة في أخريات شوال سنة احدى وأربعين وخمسمائة . وقتل عامة الملمين ، ونجا اسحق في جملته وأعيان قومه الى القصبه حتى نزلوا على حكم الموحدين وأحضر اسحق بين يدي عبد المؤمن فقتله الموحدون بأيديهم ، وتولى كبر ذلك أبو حفص عمر بن واكك منهم وانمحي أثر الملمين ، واستولى الموحدون على البلاد والله غالب على أمره . »

قال ابن جنون : « كانت لمتونة أهل ديانة وصدق ونية خالصة وصحة مذهب ، ملكوا بالاندلس من بلاد الافرنج الى البحر الغربي المحيط ، ومن بلاد العدو من مدينة بجاية الى جبل الذهب من بلاد السودان ، وخطب لهم على أزيد من ألفي منبر بالثنية ، وكأنت أيامهم أيام دعة ورفاهية ورخاء متصل وعافية وأمن ، تناها القمح في أيامهم الى أن بيع أربعة أوسق بنصف مثقال ، وبيعت الثمار ثمانية أوسق بنصف مثقال . والقطناني لا تباع ولا تشتري ، وكان ذلك مصحوبا بطول أيامهم ، ولم يكن في عمل من أعمالهم خراج ولا معونة ولا تسقيط ، ولا وظيف من الوظائف المخزنية حاشا الزكاة والعشر . وكثرت الحيرات في دولتهم وعمرت البلاد ووقعت الغبطة ، ولم يكن في أيامهم نفاق ولا قطاع طريق ، ولا من يقوم عليهم ، وأحبهم الناس الى أن خرج عليهم محمد بن تومرت مهدي الموحدين سنة

خمس عشرة وخمسمائة .

وأما الاحداث الواقعة فى أيامهم ففى شهر ذى الحجة من سنة سبع
وستين وأربعمائة ظهر النجم المعكف بالمغرب .

وفى سنة احدى وسبعين وأربعمائة كسفت الشمس الكسوف الكلى
الذى لم يعهد قبله مثله ، وكان ذلك يوم الاثنين عند الزوال فى اليوم الثامن
والعشرين من الشهر .

وفى سنة اثنين وسبعين بعدها كانت الزلزلة العظيمة التى لم ير الناس مثلها
بالمغرب ، انهزمت منها الابنية ، ووقعت الصوامع والمنارات ، ومات فيها خلق
كثير تحت الهدم ، ولم تزل الزلزلة تتعاقب فى كل يوم وليلة من أول يوم
ربيع الاول الى آخر يوم من جمادى الآخرة من السنة المذكورة

وفى سنة أربع وسبعين وأربعمائة ولد الفقيه القاضى أبو عبد الله محمد
ابن أصبغ المعروف بابن المناصف صاحب الارجوزة
وفى سنة سبع وتسعين وأربعمائة توفى الفقيه الحافظ أبو عبد الله محمد
ابن الطلاع .

وفى سنة ثلاث عشرة وخمسمائة توفى أبو الفضل يوسف بن محمد
ابن يوسف المعروف بابن النحوى بقلعة حماد ، صحب أبا الحسن اللخسى
وغيره من المشايخ ، وكان أبو الفضل من أهل العلم والدين على هدى
السلف الصالح وكان مجاب الدعوة . ولما أفتى فقهاء المغرب باحراق كتب
الشيخ أبى حامد الغزالى رضى الله عنه ، وأمر أمير المسلمين على بن يوسف
بحرقها اتصرت أبو الفضل هذا لابسى حامد رحمه الله ، وكتب الى أمير
المسلمين فى ذلك . وحدث صاحب التشوف - وهو أبو يعقوب يوسف بن
يحيى التادلى المراكشى الدار عرف بابن الزيات - بسنده عن أبى الحسن
على بن حرزهم قال : لما وصل الى فاس كتاب أمير المسلمين على بن يوسف
بالتحريج على كتاب الاحياء ، وأن يحلف الناس بالايمان المغلظة أن كتاب
الاحياء ليس عندهم ذهبت الى أبى الفضل أستفتيه فى تلك الايمان فأفتى

بأنها لا تلزم ! وكانت الى جنبه أسفار ، فقال لي : « هذه الاسفار من كتاب الاحياء ، وودت أني لم أنظر في عمري سواها ! » وكان أبو الفضل ق. انسخ كتاب الاحياء في ثلاثين جزءا فإذا دخل شهر رمضان قرأ في كل يوم جزءا . ومناقبه كثيرة رحمه الله

قلت : لم يقع في دولة المرابطين أشنع من هذه النازلة وهي احراق كتاب الاحياء فإنه لما وصلت نسخته الى بلاد المغرب تصفحها جماعة من فقهاء منهم القاضي أبو القاسم بن حمدين ، فانتقدوا فيها أشياء على الشيخ أبي حامد رضی الله عنه ، وأعلموا السلطان بأمرها ، وأفتوه بأنها يجب احراقها ، ولا تجوز قراءتها بحال

وكان علي بن يوسف واقفا - كآبيه - عند اشارة الفقهاء وأهل العلم قد رد جميع الاحكام اليهم ، فلما أفتوه باحراق كتاب الاحياء كتب الى أهل مملكته في سائر الامصار والاقطار بان يبحث عن نسخ الاحياء بحثاً أكيدا ، ويحرق ما عثر عليه منها ، فجمع من نسخها عدد كبير ببلاد الاندلس ، ووضعت بصحن جامع قرطبة صب عليها الزيت ثم أوقد عليها بالنار ! وكذا فعل بما ألقى من نسخها بمراكش ، وتوالى الاحراق عليها في سائر بلاد المغرب ! ويقال ان ذلك كان في حياة الشيخ أبي حامد رحمه الله وأنه دعا بسبب ذلك على المرابطين أن يمزق ملكهم ، فاستجيب له فيهم ! فان كان كذلك فتاريخ الاحراق يكون فيما بين الخمسمائة (١) والخمس بعدها ، لان بيعة علي بن يوسف كانت على رأس الخمسمائة ، ووفاة الشيخ أبي حامد الغزالي رضی الله عنه كانت يوم الاثنين رابع عشر جمادى الآخرة سنة خمس وخمسمائة

وفي سنة ست وثلاثين وخمسمائة توفي الشيخ الفقيه أبو العباس أحمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله الضهاجي المعروف بابن العريف كان متاهيا في الفضل والدين والزهد في الدنيا ، منقطعا الى الخير ، يقصده

(١) وهو كذلك كما في المعيار ذكر أنه في سنة اثنتين أو ثلاث مؤلف

الناس ويألفونه فيحمدون صحبته ، وسعى به الى أمير المسلمين على بن يوسف فأمر باشخاذه الى حضرة مراکش ، فوصلها وتوفي بها ليلة الجمعة الثالث والعشرين من صفر من السنة المذكورة ، واحتفل الناس بجنائزته ، وندم أمير المسلمين على ما كان منه له في حياته ، وظهرت له كرامات رحمه الله ، ودفن بقرب الجامع القديم الذي بوسط مراکش نسي روضة القاضي موسى بن أحمد الصهاجي .

قلت : وقبره الان مشهور بسوق العطارين من مراکش عليه بناء

حفيل .

وفي هذه السنة أيضا أعني سنة ست وثلاثين وخمسمائة توفي أبو الحكم بن برجان ، قال ابن خلكان : «هو أبو الحكم عبد السلام بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن اللخمي عرف بابن برجان بفتح الباء الموحدة وتشديد الراء وبعدها جيم وبعد الالف نون ، وكان عبدا صالحا وله تفسير القرآن الكريم . وأكثر كلامه فيه على طريق أرباب الاحوال والمقامات . » اهـ

وقال في التشوف : «لما أشخص أبو الحكم بن برجان (١) من قرطبة الى حضرة مراکش وكان فقهاء العصر انتقدوا عليه مسائل قال أبو الحكم : «والله لاعتشت ولا عاشر الذي أشخصني بعد موتي !» يعني أمير المسلمين على بن يوسف ، فمات أبو الحكم فأمر أمير المسلمين أن يطرح على المزبلة ولا يصلى عليه ، وقلد فيه من تكلم فيه من الفقهاء

وكان أبو الحسن على بن حرزهم يومئذ بمراكش ، فدخل عليه رجل أسود كان يخدمه ويحضر مجلسه ، فأخبره بما أمر به السلطان في شأن أبي الحكم ، فقال له أبو الحسن : «ان كنت تبع نفسك من الله فافعل ما

(١) أنظر السبب في تغريب هذين الزاهدين من المريّة إلى مراکش في كتاب اعمال الاعلام لابن الخطيب صفحة ٢٨٥ ، وفي المعجب للمراكشي صفحة ١٣٦ ، وفي لسان الميزان لابن حجر صفحة ٢٤٧ الجزء الاول .

أفوله لك « فقال له : «مرنى بما شئت أفعله !» فقال له : تنادى فى طرق
مراكش وأسواقها : يقول لكم ابن حرزهم أحضروا جنازة الشيخ الفقيه
الصالح الزاهد أبى الحكم بن برجان ، ومن قدر على حضورها ولم يحضر
فعلية لعنة الله» ففعل ما أمره ، فبلغ ذلك أمير المسلمين ، فقال «من عرف
فضاه ولم يحضر جنازته فعليه لعنة الله !»

قال ابن عبد الملك فى كتاب الذيل والتكملة : «أبو الحكم بن برجان
مدفون بمراكش برجة الخنطة منها» قال : «وهو الذى تقول له العامة
سيدي أبو الرجال»

وكان الشيخ أبو ينور المشتراي موجودا فى هذه المدة ، الا أنسى
لم آف على تاريخ وفاته . قال فى التشوف : «هو أبو ينور عبد الله بن
واكريس الدكالى من مشتراية من أشياخ أبى شعيب أيوب السارية ، كبير
الشان من أهل الزهد والورع . حدثوا عنه أنه مات أخوه فتزوج امرأته
فقدمت اليه طعاما يأكله فوق فى نفسه أن فيه نصيب الايتام الذين هم أولاد
أخيه فأمسك عنه وبات طاويا . وجاءه رجل من أشياخ مشتراية فقال له :
«ان عامل على بن يوسف تهددنى بالقتل والصلب وقد خرج من مراكش
متوجها الى دكالة» فقال له أبو ينور : «رده الله عنك» فسار الى أن بقى
بينه وبين قرية يليسكاون - وهى امى تسميها العامة بوسكاون - نصف يوم
فأصاب العامل وجع قصى عليه من حينه»

وفى سنة تسع وثلاثين وخمسمائة نار القاضى أبو القاسم بن حمد بن
بقرطبة مع العامة على المرابطين فقتلهم ، والله وارث الارض ومن عليها ،
وهو خير الوارثين



الدولة الموحدية

الخبر عن دولة الموحدين من المصامدة
وقيامها على يد محمد بن تومرت المعروف بالمهدى

قال ابن خلدون : « كان للمصامدة في صدر الاسلام بجبال درن عدد وقوة وطاعة للدين ومخالفة لآخوانهم بورغواطة فسي نحلة كفرهم ، وكان منهم قبل الاسلام ملوك وأمراء ولهم مع لمتونة ملوك المغرب حروب وفتن أيامهم حتى كان اجتماعهم على المهدي وقيامهم بدعوته . فكانت لهم دولة عظيمة أدالت من لمتونة بالعدوتين ، ومن ضهاجة بافريقية ، حسبما هو مشهور ويأتي ذكره ان شاء الله تعالى . قال : « وأصل المهدي من هرغة من بطون المصامدة يسمى أبوه عبد الله وتومرت ، وكان يلقب في صغره أيضا أمغار ، وزعم كثير من المؤرخين أن نسه في أهل البيت ، فبعضهم ينسبه سليمان بن عبد الله الكامل بن حسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب ، والله أعلم بحقيقة الامر »

وكان أهل بيته أهل نساك ورباط ، وكانت ولادته على ما عند ابن خلكان يوم عاشوراء سنة خمس وثمانين وأربعمائة ، وشب المهدي قارنا محبا للعلم . ثم ارتحل في طلبه الى المشرق على رأس المائة الخامسة ، ومر بالاندلس ودخل قرطبة وهي يومئذ دار علم ، ثم لحق بالاسكندرية وحج ودخل العراق ولقى به جملة من العلماء وفحول النظار وأفاد علما واسعا . وكان يحدث نفسه بالدولة لقومه على يده . ولقى أبا حامد الغزالي

وفأوضه بذات صدره في ذلك فأراده عليه .

قال ابن خلكان : « اجتمع محمد بن تومرت بأبي حامد الغزالي ، والكنيا الهراسي ، والطرطوشي وغيرهم ، وحج وأقام بمكة مدة مديدة ، وحصل قدرا صالحا من علم الشريعة والحديث النبوي وأصول الفقه والدين وكان ورعا ناسكا ، متقشفا مخشوشنا مخلوقا ، كثير الاطراق ، بساما في وجوه الناس ، مقبلا على العبادة ، لا يصحبه من متاع الدنيا الا عصا وركوة . وكان شجاعا فصيحاً في لسان العرب والبربر ، شديد الانكار على الناس فيما يخالف الشرع ، لا يقنع في أمر الله بغير اظهاره ، وكان مطبوعا على الالذاذ بذلك ، متحملا لنادي من الناس بسببه . وناله بمكة - شرفها الله - شيء من المكروه من أجل ذلك ، فخرج منها الى مصر ، وبالغ في الانكار فزادوا في آذاه وطرده الولة . وكان اذا خاف من البطش وايقاع الفعل به خلط في كلامه ، فينسب الى الجنون ، فخرج من مصر الى الاسكندرية وركب البحر متوجها الى بلاده .

وكان قد رأى في منامه وهو في بلاد المشرق كأنه شرب ماء البحر جميعه كرتين ، فلما ركب السفينة شرع في تغير المنكر على أهل السفينة وألزمهم إقامة الصلوات وقراءة أحزاب من القرآن العظيم ، ولم يزل على ذلك حتى انتهى الى المهديّة من أرض افريقية ، وكان ملكها يومئذ يحيى بن تميم بن المعز بن باديس الصنهاجي وذلك في سنة خمس وخمسمائة . هكذا ذكره ابن أخيه أبو محمد عبد العزيز بن شداد بن تميم الصنهاجي في كتاب الجمع والبيان في أخبار القيروان . وقيل ان ارتحال محمد بن تومرت عن بلاد المشرق كان سنة عشر وخمسمائة . واجتيازه بمصر كان سنة احدى عشرة بعدها والله أعلم بالصواب .

ولما انتهى الى المهديّة نزل بمسجد مغلق وهو على الطريق ، وجلس في طاق شارع الى المحجة ينظر الى المارة ، فلا يرى منكرا من آلة الملاهى أو أواني الخمر الا نزل اليها وكسرها ، فتسامع الناس به في البلد فجاؤوا اليه وقرأوا عليه كتباً من أصول الدين ، فبلغ خبره

الامير يحيى ، فاستدعاه مع جماعة من الفقهاء . فلما رأى سمته وسمع كلامه أكرمه وأجله وسأله الدعاء ، فقال له : « أصلحك الله لرعيك » . ولم يبق بعد ذلك بالمهدية الا أياما يسيرة ، ثم انتقل الى بجاية فأقام بها مدة وهو على حاله فى الانكار فأخرج منها الى بعض قرأها واسمها ملالة فوجد بها عبد المؤمن بن على القيسى الكومى .

وقال ابن خلدون : « انطوى المهدي راجعا الى المغرب بحرا متفجرا من العلم وثنهايا وإريا من الدين ، وكان قد فنى بالمشرق أئمة الاشعرية من أهل السنة وأخذ عنهم ، واستحسن طريقهم فى الانتصار للعقائد السلفية والذب عنها بالحجج العقلية الدافعة فى صدر أهل البدعة ، وذهب فى رأيهم الى تأويل المثابه من الآى والاحاديث بعد أن كان أهل المغرب يعزل عن اتباعهم فى التأويل والاخذ برأيهم فيه اقتداء بالسلف فى ترك التأويل وافرار المثابهات كما جاءت . فبصر المهدي أهل المغرب فى ذلك ، وحملهم على القول بالتأويل والاخذ بمذاهب الاشعرية فى كافة العقائد وأعلن بامامتهم ووجوب تقليدهم ، وألف العقائد على رأيهم مثل المرشدة فى التوحيد .

وكان من رأيهم القول بعصمة الامام على على رأى الامامية من الشيعة ، ولم تحفظ عنه فاته فى البدعة سواها ! واحتل بطرابلس الغرب معيا بمذهبه ذلك مظهرا للنكير على علماء المغرب فى عدولهم عنه . آخذا نفسه بتدريس العلم والامر بالمعروف والنهى عن المنكر ما استطاع ، حتى لقى بسبب ذلك اذيات فى نفسه احتسبها من صالح عمله .

ولما دخل بجاية وبها يومئذ العزيز بن المنصور بن الناصر بن علناس بن حماد من أمراء صنهاجة وكان من المقترفين ، فأغلظ له ولائعه بالنكير ، وتعرض يوما لتغيير بعض المنكرات فى الطرق ، فوقعت بسببها هبة نكرها السلطان والحاصه واثمروا به ، فخرج منها خائفا يترقب ولحق بملاية على فرسخ منها ، وبها يومئذ بنو ورياكل من قبائل صنهاجة

وكان لهم اعتزاز ومنعة فأووّه وأجاروهم ، وطلبهم السلطان صاحب
بجاية باسلامه اليه فأبوا واسخطوه ، وأقام بينهم يدرس العلم أياما وكان
يجلس اذا فرغ على صخرة بقارعة الطريق قريبا من ديار ملالة ، وهناك
لقيه كبير أصحابه عبد المؤمن بن علي حاجا مع عمه ، فأعجب بعلمه وصرف
عزمه اليه فاخص به وشمر للاخذ عنه .

وفي كتاب المغرب عن سيرة ملوك المغرب : ان المهدي كان قد
أطلع على كتاب يسمى الجفر من علوم أهل البيت - يقال أنه عثر عليه
عند الشيخ أبي حامد الغزالي رضى الله عنه - وانه رأى فيه صفة رجل
يظهر بالمغرب الأقصى بمكان يسمى السوس ، وهو من ذرية رسول الله
صلى الله وسلم ، يدعو الى الله ، يكون مقامه ومدفنه بموضع من المغرب
يسمى باسم هجاء حروفه تى ن م ل ل ، ورأى فيه أيضا : أن استقامة ذلك
الامر واستيلائه وتمكنه يكون على يد رجل من أصحابه هجاء اسمه
عبد دموم (١) ويجاوز وقته المائة الخامسة للهجرة ، فأوقع الله سبحانه
في نفسه أنه القائم بهذا الامر وأن أوانه قد أزف ، فما كان محمد يمر
بموضع الا ويسأل عنه ، ولا يرى أحدا الا أخذ اسمه وتفقد حليته .

وكانت حلية عبد المؤمن معه ، فبينما هو في الطريق رأى شابا قد
بلغ أشده على الصفة التي معه فقال له محمد بن تومرت - وقد تجاوزه -
: « ما اسمك يا شاب ؟ » فقال : « عبد المؤمن » فرجع اليه وقال له : « الله
أكبر ! أنت بغيتي » ! ونظر في حليته فوافقت ما عنده ، فقال له : « من
أين أقبلت ؟ » قال : « من كومية » قال : « أين مقصدك ؟ »
فقال : « المشرق » قال : « ما تبغى ؟ » قال : « علما وشرفا »
قال : « قد وجدت علما وشرفا وذكررا ! أصحبنى تله ! » فوافقه على

[١] راجع في كتاب اخبار المهدي وابتداء دولة الموحدين لابي بكر الصنعاجي
المطبوع بباريس على يد الاستاذ ليثي بروفانسال طبع كوتبير سنة ١٩٢٨ م ، كيفية
اتصال عبد المؤمن بالمهدي فقد بسط الكلام في ذلك ، صفحة ٥٥ من النص العربي وما بعدها
(الاستقصا ثاني م 6)

ذلك ، فألقى إليه محمد بأمره وأودعه سره .

قال ابن خلدون : « وارتحل المهدي الى المغرب - وعبد المؤمن في جملة - ولحق بوانشريس . فصحبه منها ابو محمد عبد الله الوانشرسي المعروف بالبشير » .

وقال ابن خلكان : « وكان جميلا فصيحاً في لغتي العرب والبربر ، ففاوضه المهدي فيما عزم عليه من القيام ، فوافقه على ذلك اتم موافقه . وكان البشير ممن تهذب وقرأ فقهاً ، تذاكرا يوماً في كيفية الوصول الى المطلوب ، فقال المهدي للبشير : « ارى ان تستر ما انت عليه من العلم والفصاحة عن الناس ، وتظهر من العجز واللكن والحصر والتعري عن الفضائل ما تشتهر به عند الناس ، لتتخذ الخروج عن ذلك واكساب العلم والفصاحة دفعة واحدة سيلا الى المطلوب ! ويقوم لنا ذلك مقام المعجزة عند حاجتنا اليه فنصدق فيما نقول » ففعل البشير ذلك .

ثم لحق المهدي بتلمسان وقد تسامع الناس بخبره فأحضره القاضي بها - وهو ابن صاحب الصلاة - ووبخه على منتحله ذلك وعلى خلافه لاهل قطره ، وظن القاضي أن من العدل نزعه عن ذلك ، فصم عن قوله واستمر على طريقه الى فاس ، فنزل بمسجد طريانة وأقام بها يدرس العلم الى سنة أربع عشرة وخمسمائة . ثم انتقل الى مكاسة فنهى بها عن بعض المنكرات ، فثار اليه الغوغاء وأوجعوه ضرباً . ثم لحق بمراكش وأقام بها أخذاً في شأنه ، ولقى بها أمير المسلمين علي بن يوسف بالمسجد الجامع عند صلاة الجمعة فوعظه وأغلظ له في القول . ولقى ذات يوم أخت أمير المسلمين حاسرة قناعها على عادة قومها المثلثين في زي نسائهم فوبخها ودخلت على أخيها باكياً لما نالها من تقريره ، ففاوض أمير المسلمين الفقهاء في شأنه بما وصل اليه من سيرته ، وكانوا قد ملئوا منه حسداً وحفيظةً إلا كان يتحلل من مذهب الأشعرية في تأويل المشابه ، وينكر عليهم جمودهم على مذهب السلف في إقراره كما جاء ، ويرى

أن الجمهور لقنوه تجسيما ، ويذهب الى تكفيرهم بذلك على أحد قولي
الاشعرية في التكفير ، فأغروا الامير به فأحضره للمناظرة معهم ، فكان له
الفلج والظهور عليهم .

وقال ابن خلكان : « كان محمد المهدي قد استدنى أشخاصا من
أهل المغرب جلادا في القوى الجسمانية أغمارا . وكان أميل الى الاغمار
من أولى الفطن والاستبصار فأجتمع له منهم ستة نفر سوى أبي محمد
البشير . ثم أنه رحل الى أقصى المغرب ، وتوجه في أصحابه الى مراکش
- وملكها يومئذ أبو الحسن علي بن يوسف بن تاشفين - وكان ملكا عظيما
حليما ورعا عادلا متواضعا ، وكان بحضرته رجل يقال له مالك بن وهيب
(١) الاندلسي وكان عالما صالحا - زاد ابن خلدون عارفا بالنجوم - فشرع
محمد المهدي في الانكار على جري عاداته حتى أنكر على ابنة الملك ،
فبلغ خبره الملك ، وأنه يتحدث في تغيير الدولة ، فتحدث مع مالك بن
وهيب في أمره . فقال مالك بن وهيب : « نخاف من فتح باب يعسر علينا
سده ، والرأى أن تحضر هذا الشخص وأصحابه لنسمع كلامهم بحضور
جماعة من علماء البلاد » . فأجاب الملك الى ذلك .

وكان المهدي وأصحابه مقيمين في مسجد خراب خارج البلد ،
فطلبوهم فلما ضمهم المجلس قال الملك لعلماء بلده : « سلوا هذا الرجل
ما ينبغي منا » فأتدب له قاضي المرية - واسمه محمد بن أسود - فقال :
« ما هذا الذي يذكر عنك من الأقوال في حق الملك العادل الحليم المنقاد
الى الحق الموثر طاعة الله تعالى على هواه ؟ » فقال له المهدي : « أما
نقل عنى فقد قلته ولى من ورائه أقوال ! وأما قولك أنه يوثر طاعة
الله على هواه وينقاد الى الحق فقد حضر اعتبار صحة هذا القول عنه

[١] راجع ما قاله المقرئ فيه في نفع الطيب ج ٢ ص ٩٢٥ . وما ذكره أبو بكر
الصنهاجي البيدني في كتابه اخبار المهدي وابتداء دولة الموحدين المطبوع بباريس سنة
١٩٢٨ م صفحات ٦٨ وما بعدها من النص العربي .

ليعلم بتعريفه عن هذه الصفة انه مغرور بما يقولون له وتضرونه به مع علمكم أن الحجة متوجهة عليه . فهل بلغك يا قاضي أن الحمر تباع جهارا ! وتمسى الحنازير بين المسلمين ! وتؤخذ أموال اليتامى ؟ ، وعدد من ذلك شيئا كثيرا . فلما سمع الملك كلامه ذرفت عيناه وأطرق حياء ، ففهم الحاضرون من فحوى كلامه أنه طامع في المملكة لنفسه .

ولما رأوا سكوت الملك وانخداعه لقوله لم يتكلم أحد منهم . فقال مالك بن وهيب - وكان كثير الاجترار على الملك - : « أيها الملك عندي لنصيحة ان قبلتها حمدت عاقبتها وان تركتها لم تأمن عائلتها » فقال الملك : « ما هي ؟ » فقال : « اني أخاف عليك من هذا الرجل وأرى أن تعقله وأصحابه وتفق عليهم كل يوم دينارا لتكفي شره ! وان لم تفعل فلتنقن عليه خزائنك كلها ، ثم لا ينفعك ذلك ! » فوافقه الملك على رأيه ، فقال له وزيره : « يقبح بك أن تبكى من موعظة رجل ثم تسيء اليه في مجلس واحد! وان يظهر منك الخوف منه على عظم ملكك وهو رجل فقير لا يملك سد جوعه ! » فلما سمع الملك كلامه أخذته عزة النفس واستهون أمره فصرفه وسأله الدعاء .

وقال ابن خلدون : « كان مالك بن وهيب حزاء ينظر في النجوم وكان الكهنة يتحدثون بأن ملكا كائنا بالمغرب في أمة من البربر ، ويتغير فيه شكل السمكة لقران بين الكوكبين العلويين من السيارة يقتضى ذلك ، فقال مالك بن وهيب : « احتفظوا بالدولة من الرجل فانه صاحب القران والدرهم المربع » . فطلبه على بن يوسف فنقده ، وسرح الخيالة فسي طلبه فقاتهم .

وحكى صاحب المغرب : « ان المهدي لما خرج من عند أمير المسلمين لم يزل وجهه تلقاء وجهه الى أن فارقه فليل له نراك قد تأدبت مع الملك اذ لم توله ظهرك ! فقال : « أردت أن لا يفارق وجهي الباطل حتى أغيره ما استطعت » اه كلامه .

فلما خرج المهدي وأصحابه من عند الملك قال لهم : « لا مقام لكم هنا بمراكش مع وجود مالك بن وهيب فما نأمن أن يعاود الملك في أمرنا فينالنا منه مكروه ، وان لنا بمدينة أغمات أخا في الله فنقصد المرور به فلن نعدم منه رأيا ودعاء صالحا » واسم هذا الشخص عبد الحق بن ابراهيم وهو من فقهاء المصامدة . فخرجوا اليه ونزلوا عليه وأخبره محمد بن تومرت خبرهم وأطلعه على مقصدهم وما جرى لهم مع الملك . فقال عبد الحق : « هذا الموضع لا يحميكم ، وان أحسن المواضع المجاورة لهذا البلد ينممل وبيننا وبينها مسافة يوم في هذا الجبل ، فانقطعوا فيه برهة ريثما يتسنى ذكركم » فلما سمع المهدي بهذا الاسم تجدد له ذكر اسم الموضع الذي رآه في كتاب الجفر فقصده مع اصحابه .

وقال ابن خلدون : « لما لحق المهدي بأغمات غير المنكرات على عادته فأغرى به أهل أغمات على بن يوسف وطيروا اليه بخبره . فخرج منها هو وتلامذته الذين كانوا معه في صحبته ، فلحق أولا بمسفيوة ثم بهنتاتة ، ولقيه بها الشيخ أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاتي - جد الملوك الحفصيين أصحاب تونس وافريقية - . ثم ارتحل المهدي عنهم الى هرغة فنزل على قومه ، وذلك سنة خمس عشر وخمسمائة وبني رابطة للعباد ، فاجتمع عليه الطلبة من القبائل ، وأخذ يعلمهم المرشدة له في التوحيد باللسان البربري وشاع أمره .

ثم داخل عامل لتونة على السوس أناسا من هرغة في قتله ، ونذر بهم اخوانهم ، فنقلوا المهدي الى معقل من أشياعهم ، وقتلوا من داخل في أمره ، ودعوا المصامدة الى مبايعته على التوحيد ، وقتل المجسمة دونه ، سنة خمس عشرة وخمسمائة . فتقدم اليها رجالانهم من العشرة وغيرهم وكان فيهم من هنتاتة أبو حفص عمر بن يحيى ، وأبو يحيى بن يكيث ، ويوسف بن وانودين ، وابن يغمور ، ومن تينممل أبو حفص عمر بن علي الصناكي ، ومحمد بن سليمان ، وعمر بن تافراكين ، وغيرهم . وأوعبت قبيلة هرغة فدخلوا في أمره كلهم ، ثم دخل معهم كدميوة

وكفيسة .

ولما كملت بيعته لقبوه بالمهدى ، وكان قبلها يلقب بالامام ، وكان يسمى أصحابه الطلبة ، وأهل دعوته الموحدين تعريضا بلمتونة في أخذهم بالعدول على التأويل وميلهم الى التجسيم .

ولما تم له من أصحابه خمسون سماهم آيت الحسين . ثم زحف اليهم عامل لمتونة على السوس - وهم بمكانهم من هرغة - فاستجاشوا اخوانهم من هنتاة وتينمل ، فاجتمعوا اليهم وأوقعوا بعسكر لمتونة ، فكانت تلك باكورة الفتح ، وكان المهدي يعدمهم بذلك فاستبصروا في أمره ، وتسابقت كافتهم الى الدخول في دعوته ، وترددت اليهم عساكر لمتونة مرة بعد أخرى ففضوهم ، وانتقل لثلاث سنين من بيعته الى جبل تينمال فأوطنه وبنى داره ومسجده بينهم وحوالى منبع وادى نفيس ، وقاتل من تخلف عن بيعته من المصامدة حتى استقاموا له . هذا كلام ابن خلدون في سياقه هذا الخبر جئنا به مختصرا .

واقضى كلام ابن خلكان أن ظهور المهدي ومبايعته لم تكن الا بتينمل ، فإنه قد عقب ما سبق له من ان الفقيه عبد الحق بن ابراهيم المصمودى أشار على المهدي بالمسير الى تينمل ، وان المهدي لما سمع هذا الاسم تجدد له ذكر فيه فقصده مع أصحابه ، فلما أتوه رأهم أهل على تلك الصورة فعلموا أنهم طلاب علم ، فقاموا اليهم وأكرمهم ، وتلقوهم بالترحاب ، وأنزلوهم في أكرم منازلهم . وسأل أمير المسلمين عنهم بعد خروجهم من مجلسه ، فقيل له : انهم سافروا ، فسره ذلك وقال : « تخلصنا من الاثم بحبسهم ! » . ثم ان أهل الجبل تسامعوا بوصول المهدي اليهم ، وكان قد سار فيهم ذكره فجاءوه من كل فج عميق ، وتبركوا بزيارته . وكان كل من أتاه استدناه وعرض عليه ما فى نفسه من الخروج على السلطان ، فان أجابه أضافه الى خواصه ، وان خالفه أعرض عنه . وكان يستميل الاحداث وذوى الغرة ! وكان ذوو

الحكمة والعقل والحلم من أهاليهم ينهونهم ويحذرونهم من اتباعه ، ويخوفونهم سطوة السلطان ، فكان لا يتم له مع ذلك أمر . وطالت المدة وخاف المهدي من مفاجأة الاجل قبل بلوغ الامل ، وخشى أن يطرق على أهل الجبل من جهة الملك ما يحوجهم الى استسلامه اليه والتخلي عنه ، فشرع نسي اعمال الحيلة فيما يشاركونه فيه ليعصوا على الملك بسببه ، فرأى بعض اولاد القوم شقرا زرقا وألوان آبائهم السمرة والكحل ! فسألهم عن سبب ذلك ، فلم يجيبوه ، فألزمهم الاجابة ، فقالوا : « نحن من رعية هذا الملك وله علينا خراج ، وفي كل سنة تصعد مماليكه الينا وينزلون في بيوتنا ويخرجوننا عنها ، ويختلون بمن فيها من النساء ، فتأتي اولادنا على هذه الصفة ! ومالنا قدرة على دفع ذلك عنا » فقال المهدي : « والله ان الموت خير من هذه الحياة ، وكيف رضيتم بهذا وأنتم أضرب خلق الله بالسيف وأطعنهم بالرمح ؟ » فقالوا : « بالرغم لا بالرضى » فقال : « رأيتم لو أن ناصرا نصركم على أعدائكم ما كنتم تصنعون ؟ » قالوا : « كنا نقدم أنفسنا بين يديه للموت » ثم قالوا : « ومن هو؟ » قال : « هو ضيفكم ! » يعنى نفسه . فقالوا : « السمع والطاعة » وكانوا يغالون في تعظيمه ، فأخذ عليهم العهود والمواثيق ، واطمأن قلبه ، ثم قال لهم : « استعدوا لحضور هؤلاء بالسلاح ، فاذا جاءوكم فأجروهم على عاداتهم ، وخلوا بينهم وبين النساء ، وميلوا عليهم بالخمور ، فاذا سكروا فأذنوني بهم ! »

فلما حضر المماليك وفعل بهم أهل الجبل ما أشار به المهدي - وكان ذلك ليلا - أعلموه بذلك ، فأمر بقتلهم كلهم ، فلم يمض من الليل ساعة حتى أتوا على آخرهم . ولم يفلت منهم سوى مملوك واحد - كان لخارج المنازل حاجة له - فسمع التكبير عليهم والايقاع بهم ، فهرب على غير الطريق حتى خلص من الجبل . ولحق بمراكش فأخبر الملك بما جرى فقدم على فوات محمد بن تومرت من يده ، وعلم أن الحزم كان مع مالك بن وهيب فهما أشار به ، فجهز من وقته خيلا بمقدار ما يسع وادي

تيسملى ، فانه ضيق المسلك .

وعلم المهدي أنه لا بد من عسكر يصل اليهم ، فأمر أهل الجبل
بالقعود على أنقاب الوادى ومراصده ، واستنجد لهم بعض المجاورين ، فلما
وصلت الحيل اليهم أقبلت عليهم الحجارة من جانبي الوادى مثل المطر ،
وكان ذلك من أول النهار الى آخره ، وحال بينهم الليل ، فرجع العسكر
الى الملك وأخبروه بما تم لهم ، فعلم أنه لا طاقة له بأهل الجبل لتحصنهم ،
فأعرض عنهم .

وتحقق المهدي ذلك منه وصفت له مودة أهل الجبل ، فعند ذلك
استدعى أبا محمد البشير وقال له : « هذا أوان اظهار فضائلك دفعة
واحدة ليقوم لك مقام المعجزة ! لنستميل بذلك قلوب من لم يدخل فى
الطاعة » . ثم اتفقا على أنه يصلى الصبح ويقول بلسان فصيح - بعد
استعمال العجمة واللكنة فى تلك المدة - : « انى رأيت البارحة فى
منامى أنه نزل الى ملكان من السماء وشقا فؤادى وغسلاه وحشواه علما
وحكمة وقرآنا ! » فلما أصبح فعل ذلك - وهو نصل يطول شرحه -
فانقاد له كل صعب القياد ، وعجبوا من حاله وحفظه القرآن فى النوم ،
فقال له محمد بن تومرت : « فعجل لنا بالبشرى فى أنفسنا ، وعرفنا
أسعداء نحن أم أشقياء » فقال له : « أما أنت فانك المهدي القائم بأمر
الله ومن تبعك سعد ومن خالفك هلك » ثم قال : « اعرض أصحابك على
حتى أميز أهل الجنة من أهل النار » وعمل فى ذلك حيلة قتل بها كل
من خالف أمر محمد بن تومرت ، وأبقى من أطاعه . وشرح ذلك
يطول .

وكان غرضه أن لا يبقى فى الجبل مخالفا لهم ، فلما قتل من قتل
علم محمد بن تومرت أن فى الباقين من له أهل وعشيرة قتلوا وأنهم لا
تطيب نفوسهم بذلك ، فجمعهم وبشرهم بانتقال ملك مراكنس اليهم واغتنام
أموالهم ، فسرحهم ذلك وسلاهم عن أهلهم . وبالجملة فان تفصيل هذه

الوافة طويل ولسنا بصدد ذلك .

وخلاصة الامر : أن محمد بن تومرت لم يزل حتى جهز جيشا عدد رجاله عشرة آلاف بين فارس وراجل ، وفيهم عبد المؤمن بن علي ، وأبو محمد البشير وأصحابه كلهم وأقام هو بالجل فنزّل القوم لحصار مراكنس وأقاموا عليها شهرا ، ثم كسروا كسرة شنيعة وهرب من سلم منهم من القتل .

وكان فيمن سلم عبد المؤمن ، وقتل البشير وبلغ الخبر المهدي - وهو بالجل - وقد حضرته الوفاة قبل عود أصحابه اليه ، فأوصى من حضر أن يبلغ الغائبين : « ان النصر لهم ، وان العاقبة حميدة ، فلا يضجروا وليعاودوا القتال ، فان الله سبحانه وتعالى سيفتح على أيديهم ، وان الحرب سجال ، وانكم ستقوون ويضعفون ، ويقلون وتكثرون ، وأنتم في مبادا أمر وهم في آخره » وأشبه هذه الوصايا وهي وصية طويلة اه كلام ابن خلكان .

وقال ابن خلدون : « لما كان شأن أبي محمد البشير وميز الموحد من المنافق اعترم المهدي على غزو لمتونة ، فجمع كافة أهل دعوته من المصامدة اليهم فلقوه بكبكب ، وهزمهم الموحدون واتبعوهم الى أغمات فلقيتهم هنالك زحوف لمتونة مع أبي بكر بن علي بن يوسف و ابراهيم بن تاعماشت ، فهزمهم الموحدون وقل ابراهيم وجنده ، واتبعوهم الى مراكنس فنزلوا البحيرة في زهاء أربعين ألفا كلهم راجل الا أربعمائة فارس . واحتفل على بن يوسف في الاحتشاد وبرز اليهم لاربعين من نزولهم : خرج عليهم من باب آيلان فهزمهم وأثنخ فيهم قتلا وسييا . وفقد البشير واستحر القتل في هيلانة ، وأبلى عبد المؤمن في ذلك اليوم أحسن البلاء . وقيل للمهدي : « ان الموحدين قد هلكوا » فقال لهم : « ما فعل عبد المؤمن ؟ » قالوا : « هو على جواده الادم قد أحسن البلاء » فقال : « ما بقي عبد المؤمن فلم يهلك أحد ! »

وقال ابن الخطيب في رقم الحلل : « كانت وقعة البحيرة بأحواز
مراكش قد استأصلت معظم أصحاب المهدي وكادت تأتي عليهم ، ومع
ذلك فلم تضع منه ولا وهنت صبره . وكان يقول : « مثل هذا الامر
كالنجر يتقدمه الفجر الكاذب وبعده ينبج الصبح ويستعلى الضوء ،
ويأمرهم باتخاذ مرابط الخيل التي ينالون من فيء عدوهم بعدها وانه يعطى
الرجل على قدر ما أعد من الرباط الى غير ذلك .

فهذا خبر المهدي مختصرا من ابن خلدون ممزوجا بما نقله ابن
حلکان من ذلك . وقد ساق ابن أبي زرع في القرطاس خبر المهدي
هذا وفيه بعض مخالفة لما تقدم . فلنأت به وان أدى الى بعض التكرار
زيادة في الامتاع ، وتحلية للاسماع ، فقول :

قال ابن أبي زرع ما ملخصه : « ان المهدي رحل الى المشرق في
طلب العلم ولقى مشايخ وسمع منهم وأخذ عنهم علما كثيرا ، وحفظ جملة
من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ونبغ في علم الاصول
والاعتقادات .

وكان في جملة من لقي من العلماء الشيخ أبو حامد الغزالي رضي
الله عنه ، لازمه ثلاث سنين . وكان الشيخ أبو حامد كثيرا ما يشير الى
المهدي ويقول : « انه لا بد أن يكون له شأن ! » ونمی الخبر بذلك الى
المهدي فلم يزل يتقرب الى الشيخ بأنواع الخدمة حتى أطلعه على ما عنده
من العلم في ذلك . فلما تحققت عنده الحال استخار الله وعزم على الترحال
فخرج قاصدا بلاد المغرب غرة ربيع الاول سنة عشر وخمسمائة ، ولزم
في طريقه درس العلم والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، الى أن اجتمع
به عبد المؤمن بن علي فبايعه على مؤازرته في الشدة والرخاء والعسر
واليسر . ثم قدم بلاد المغرب واستقر بمراكش - وكانت له فصاحة
وعليه مهابة - فأخذ يطعن على المرابطين وينسبهم الى الكفر والتجسيم
ويشيع عند من يثق به ويسكن اليه أنه المهدي المنتظر الذي يملأ الارض

عدلا كما ملئت جورا . وجرى منه بمراكش من تغيير المنكر ونحوه ما تقدم ذكره ، فاتصل خبره يعلى بن يوسف اللمتوني فأحضره وقال له : « ما هذا الذي بلغنا عنك ؟ » فقال « إنما أنا رجل فقير أطلب الآخرة وأمر بالمعروف وأنهى عن المنكر . وأنت أيها الملك أولى من يفعل ذلك فانك المسئول عنه . وقد ظهرت بمملكتك المنكرات ، وفشت البدع ، وقد وجب الله عليك احياء السنة وامانة البدعة . وقد عاب الله تعالى أمة تركوا النهى عن المنكر ، فقال : « كانوا لا يتأهون عن منكر فعلوه ، لبس ما كانوا يفعلون » . فلما سمع أمير المسلمين كلامه تأثر له وأخذه وأطرق مفكرا . ثم أمر باحضار الفقهاء فحضر منهم ما أغص المجلس ، ثم قال أمير المسلمين : « اختبروا الرجل فان كان عالما أتبعناه والا أدبناه » وكان المهدي فصيحاً لسنا ذا معرفة بالاصول والجدل ، وكان الفقهاء الذين حضروا أصحاب حديث وفروع ، فدارت بينهم محاوره ومذاكرة أسكتهم فيها وبان عجزهم عنه ، فعدلوا عن المذاكرة الى الممالأة ، وأغروا به أمير المسلمين ، وقالوا : « هذا رجل خارجي ، وان بقى بالمدينة أفسد عقائد أهلها ! » فأمره أمير المسلمين بالخروج من البلد ، فخرج الى الجبانة وضرب بها خيمة جلس فيها ، وصار الطلبة يترددون اليه لاخذ العلم عنه ، فكثر جمعه وأحبته العامة وعظموه .

وانتهى خبره الى أمير المسلمين ثانيا ، ونقل اليه أنه يطعن على الدولة فأحضره مرة أخرى وقال له : « أيها الرجل اتق الله في نفسك ! ألم أنك عن عقد الجموع والمحازب وأمرتك بالخروج من البلد ؟ » . فقال : « أيها الملك قد امتثلت أمرك وخرجت من المدينة الى الجبانة واشتغلت بما يعينني ، فلا تسمع لاقوال المبطلين ! » فتوعده أمير المسلمين وهم بالقبض عليه ، ثم عصمه الله منه ليقضى الله أمرا كان مفعولا . ولما انفصل المهدي عن المجلس أغرى الحاضرون أمير المسلمين به ، وشرحوا له جليلة أمره وما يدعوه اليه . فاستدرك أمير المسلمين فيه رأيه ،

وبعث اليه من يأتيه برأسه ، فسمع بذلك بعض بطانته فمر مسرعا ،
حتى اذا قرب من الحيمة قرأ قوله تعالى : « ياموسى ان الملا يا تمرون
بك ليقتلوك » الآية . فسمعها المهدي و فطن لها فأنسل من حينه و خرج
حتى أتى تينملل فأقام بها ، وذلك فى شوال سنة أربع عشرة وخمسمائة
ثم لحق به أصحابه العشرة السابقون الى دعوته والمصدقون بامامته ،
وهم : « عبد المؤمن بن على الكومى ، وأبو محمد البشير الوائشريسى ،
وأبو حفص عمر بن يحيى الهنتاتى ، وأبو يحيى بن يكيث الهنتاتى :
وأبو حفص عمر بن على آصناك ، و ابراهيم بن اسمعيل الحزرجى ،
وأبو محمد عبد الواحد الحضرمى ، وأبو عمران موسى بن تمار ،
وسليمان بن خلوف ، وعاشر ، فأقاموا بتينمال الى رمضان من سنة خمس
عشرة وخمسمائة فعظم صيته بجبل درن وكثرت أتباعه . فلما رأى ذلك
أظهر دعوته ودعا الناس الى بيعته ، فبايعه العشرة البيعة الخاصة عقب
صلاة الجمعة خامس عشر رمضان من السنة .

ولما كان الغد - وهو يوم السبت - خرج المهدي فى أصحابه العشرة
مقلدين السيوف ، وتقدم الى الجامع فصعد المنبر وخطب الناس وأعلمهم
أنه المهدي المنتظر ، ودعاهم الى بيعته ، فبايعوه البيعة العامة ، ثم بث
دعائه فى بلاد المصامدة يدعون الناس الى بيعته ويزرعون محبته فى قلوبهم
بالتناء عليه ووصفه بالزهد وتحرى الحق واظهار الكرامات ، فآثال الناس
عليه من كل جهة ، وسمى أتباعه الموحدين ، ولقنهم عقائد التوحيد باللسان
البربرى ، وجعل لهم فيه الاعشار والاحزاب والسور ! وقال : « من لم
يحفظ هذا التوحيد فليس بموحد ، لا تجوز امامته ولا تؤكل ذبيحته ! »
فاستولت محبته على قلوبهم ، وعظموه ظاهرا وباطنا ، حتى كانوا يستغيثون
به فى شدائدهم ، وينوون باسمه على منابريهم ، ولم تزل الوفود تترادف
عليه حتى اجتمع عليه جم غفير ، فلما علم أن ناموسه قد رسخ وسلطانه
قد تمكن قام فيهم خطيبا ، وندبهم الى جهاد المرابطين وأباح لهم دماءهم

وأموالهم ، فانتدب الناس لذلك وبايعوه على الموت ، فانتخب منهم عشرة آلاف من أجناد الموحدين ، وقدم عليهم ابا محمد البشير وعقد له راية بيضاء ودعا لهم وانصرفوا ، فصدوا الى مدينة أغمات

وانتهى الخبر الى أمير المسلمين ، فجهز لقتالهم جيشا من الحشم والاجناد ، فلما التقوا انتصر عليهم الموحدون وهزموهم وأتبعوهم حتى أدخلوهم مراکش وحاصروها أياما ، ثم أفرجوا عنها حين تكاثرت عليهم جيوش لتونة ، وكان ذلك ثالث شعبان سنة ست عشرة وخمسة ، وقسم المهدي الغنائم التي غنموها من عسكر المرابطين ، وتلا عليهم قوله تعالى : « وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها فعجل لكم هذه ، الآية . وانتشر ذكر المهدي بجميع أقطار المغرب والاندلس . وأركب جل جيشه من خيل المرابطين التي غنموها . ثم غزا مراکش بنفسه فعبا جيشه وسار حتى نزل بجبل كيليز بقرب المدينة ، فأقام محاصرا لها ثلاث سنين يباكرها بالقتال ويراوحها من سنة ست عشرة الى سنة تسع عشرة

ولما ضجر من مقامه هناك نهض الى وادي نفيس ، وانحدر مع مسيله يدعو الناس لطاعته ويقايل من أبي منهم فانقاد له أهل السهل والجبل . وبايعته كدميوه ، ثم غزا بلاد ركراكة ، فأخذهم بالدعاء الى توحيد الله وشرائع دينه ، وسار في بلاد المصامدة يقايل من أبي ويسالم من أجاب ففتح بلادا كثيرة ، ودخل في دعوته عالم كثير من المصامدة ، ورجع الى تينمك فأقام بها شهرين ريثما استراح الناس ، ثم غزا مدينة أغمات وبلاد هزرجة في ثلاثين ألفا من الموحدين ، فأجتمع على حربته أهل أغمات وهزرجة وخلق كثير من الحشم ولتونة وغيرهم فانتصر عليهم الموحدون ، فهزموهم وقتلوا منهم خلقا كثيرا وقسم المهدي أنفالهم بين الموحدين . ثم غزا أهل درن ففتح قلاعه وحصونه ، وطاع له جميع من فيه من قبائل من قبائل هرغة وهنتانة وكفيسة وغيرهم

ثم عاد الى تينمك فأقام بها ريثما استراح الناس . ثم ندبهم الى غزو

مراكش وجهاد المرابطين ، وقدم عليهم عبد المومن بن علي وأبا محمد
البشير ، وخص عبد المومن بامامة الصلاة ، فساروا حتى انتهوا الى أغمات ،
فلقبهم بها أبو بكر بن علي بن يوسف في جيش كثيف من لتونة وقبائل
ضهاجة ، فافتلوا ودامت الحرب بينهم ثمانية أيام ثم انتصر عليهم الموحدون
فهزموا أبا بكر وجيشه الى مراكش وقتلوه في كل طريق ، وحصروا
مراكش أياما ، ثم رجعوا الى تملل فخرج المهدي للقائهم فرحب بهم
وعرفهم بما يكون لهم من النصر والفتح وما يملكونه من البلاد . ثم كانت
وفاته عقب ذلك على ما نذكره ان شاء الله ، فهذا سياق ابن أبي زرع لهذه
الاخبار والله أعلم بالصواب



بقية أخبار المهدي وبعض سيرته إلى وفاته



كان المهدي رجلا ربة ، أسمر ، عظيم الهمة ، غائر العينين . حديد
النظر ، خفيف العارضين ، له شامة سوداء على كتفه الايمن ، ذا سياسة
ودهاء وناموس عظيم . وكان مع ذلك عالما فقيها ، راويا للحديث ، عارفا
بالاصول والجدل ، فصيح اللسان ، مقداما على الامور العظام ، غير متوقف ،
في سفك الدماء ، يهون عليه اتلاف عالم في بلوغ غرضه ، وكان حصورا
لا يأتي النساء ، وكان متيقظا في احواله ضابطا لما ولي من سلطانه ، أنشد
صاحب كتاب المغرب في حقه :

آثاره تنبيك عن أخباره * حتى كأنك بالعين تراه

ثم قال :

وله قدم في الثرى وهمة في الثريا ، ونفس ترى اراقه ماء الحياة دون
اراقه ماء المحيا ، أغفل المرابطون عقله وربطه ، حتى دب اليهم ديب القلق
في الغسق ، وترك في الدنيا دويا . أنشأ دولة لو شاهدها أبو مسلم لكان

لعزيمه
بقليل
اصحا
واحر
رأى
وجه
والا

لغزمه فيها غير مسلم ، وكان قوته مسن غزل أخت له فى كل يوم رغيفا
بقليل سمن أو زيت ! ولم ينتقل عن هذا حين كرت عليه الدنيا ! ورأى
اصحابه يوما وقد مالت نفوسهم الى ككرة ما غنموه ، فأمر بضم ذلك جميعه
واحرافه ! وقال : « من كان يتبعنى لاجل الدنيا فليس له عندى الا ما
رأى ! ومن تبعنى للآخرة فجزاؤه عند الله ! » وكان على خمول زيه وبسط
وجهه مهيبا منبع الحجاب الا عند مظلمة ، وله رجل مختص بخدمته
والاذن عليه . وكان له شعر فمن ذلك قوله :

أخذت بأعضادهم اذ ناوا * وخلفك القوم اذ ودعو
فكم أنت تهى ولا تنتهى * وتسمع وعظما ولا تسمع
فياحجر السن حتى متى * تسن الحديد ولا تقطع
وكان كثيرا ما يشد :

تجرد من الدنيا فانك انما * خرجت الى الدنيا وأنت مجرد
وكان يتمثل أيضا بقول أبى الطيب المنبى :

اذا غامرت فى شرف مروم * فلا تقنع بما دون النجوم
فطعم الموت فى أمر حقير * كطعم الموت فى أمر عظيم
ويقوله أيضا :

ومن عرف الايام معرفتى بها * وبالناس روى رمحه غير راحم
فليس بمرحوم اذا ظفروا به * ولا فى الردى الجارى عليهم بأنم
ويقوله أيضا :

وما أنا منهم بالعيش فيهم * ولكن معدن الذهب الرغام
وقال ابن الخطيب فى رقم الحلل : « قالوا كان محمد بن تومرت يزعم
أنه مأمور بنوع من الوحي والالهام ، وينكر كتب الرأى والتقليد ، وله
باع فى علم الكلام ، وغلبت عليه نزغة خارجية ، وكان ينتحل القضايا
الاستقبالية ، ويشير الى الكوائن الآتية ، ورتب قومه ترتيبا غريبا . فمنهم
أهل الدار ، وأهل الجماعة ، وأهل الساقفة ، وأهل خمسين . وأهل

سبعين ، والطلبة ، والحفاظ ، وأهل القبائل . فأهل الدار للامتحان والخدمة .
وأهل الجماعة للتفاوض والمشورة ، وأهل الساقفة للمباهاة ، وأهل سبعين
وخمسين والحفاظ والطلبة لحمل العلم والتلقي ، وسائر القبائل لمداغمة
العدو . وكان يعلمهم أوجه العبادات في العادات .

قلت : من ذلك أن طائفة من المصامدة عسر عليهم حفظ الفاتحة لشدة
عجمتهم ، فعدد كلمات أم القرآن ولقب بكل كلمة منها رجلا ، فصفهم صفا
وقال لأولهم : « اسمك الحمد لله » وللثاني : « رب العالمين » وهكذا
حتى تمت كلمات الفاتحة . ثم قال لهم : « لا يقبل الله منكم صلاة حتى
تجمعوا هذه الاسماء على نسقها في كل ركعة ! » فسهل عليهم الامر وحفظوا
أم القرآن . ذكره صاحب المعرب

قالوا : وهو أول من أحدث « أصبح ولله الحمد » في أذان الصبح .

ومن جراته واقداه وتهالكه على تحصيل مرامه ما حكاه صاحب
القرطاس قال : « كانت بين الموحدين والمرابطين حرب قتل من الموحدين
خلق كثير فعظم ذلك على عشائريهم ، فاحتال المهدي بأن انتخب قوما من
أتباعه ودفنهم أحياء بموضع المعركة وجعل لكل واحد منهم متنفسا في قبره !
وقال لهم : « اذا سلتم عن حالكم فقولوا قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا ،
وأن ما دعا اليه الامام المهدي هو الحق ! فجدوا في جهاد عدوكم » وقال
لهم : « اذا فعلتم ذلك أخرجتكم وكانت لكم عندي المنزلة العالية » وقصد
بذلك أن يشبههم على التمسك بدعوته ، ويهون عليهم ما لاقوا من القتال
والجراحات بسببه . ثم جمع أصحابه عند السحر وقال لهم : « أنتم يامعشر
الموحدين حزب الله وأنصار دينه وأعوان الحق ، فجدوا في قتال عدوكم
فإنكم على بصيرة من أمركم ، وإن كنتم ترتابون فيما أقوله لكم فأتوا موضع
المعركة وسلوا من استشهد اليوم من اخوانكم يخبروكم بما لقوا من
الثواب عند الله ! » ثم أتى بهم الى موضع المعركة ونادى « يامعشر الشهداء
ما ذا لقيتم من الله عز وجل ؟ » فقالوا : « قد أعطانا من الثواب ما لا عين

إرأت ، ولا اذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ! فافتن الناس وظنوا
أن الموتى قد كلموهم ! وحكوا ذلك لبقية اخوانهم ، فازدادوا بصيرة ففى
أمره وثباتا على رأيه . والله أعلم بحقيقة الحال



وفاة المهدي رحمه الله



كانت وفاة المهدي عقب وقعة البحيرة . قال ابن خلدون : «لاربعة
أشهر بعدها» وقال ابن الحطيب وغيره : كانت وفاته يوم الاربعاء لثلاث
عشرة ليلة خلت من رمضان سنة أربع وعشرين وخمسمائة . وقيل غير ذلك .
وقال فى القرطاس : «لما رجع الموحدون من غزو مراکش الى
تينملل خرج اليهم المهدي فسلم عليهم ورحب بهم ، وأعلمهم بما يكون
لهم من النصر والفتح وما يملكونه من البلاد وبمدة ملكهم ، وأعلمهم أنه
يموت فى تلك السنة . فبكوا وأسفوا ثم مرض مرضه الذى مات منه ، وقدم
عبد المومن للصلاة أيام مرضه ، ثم توفى فى التاريخ المتقدم »
وذكر بعض المؤرخين : «أن المهدي رأى فى منامه قبل وفاته كأن
آتيا أتاه فأشده أبيانا نعى له فيه نفسه ، وأعلمه باليوم الذى يموت فيه
فكان كذلك » أنظر القرطاس .

وقد مر فى هذه الاخبار ذكر « كتاب الجفر » وربما تشوف
النفس لمعرفة حقيقته ، فقد قال ابن خلدون فى كتاب طبيعة العمران :
«واعلم أن كتاب الجفر كان أصله أن هرون بن سعيد العجلي - وهو رأس
الزيدية - كان له كتاب يرويه عن جعفر الصادق رضى الله عنه ، وفيه علم
ما سيقع لاهل البيت على العموم ، ولبعض الاشخاص منهم على الخصوص
وقع ذلك لجعفر ونظائره من رجالانهم على طريق الكرامة والكشف الذى
يقع لملهم من الاولياء ، وكان مكتوبا عند جعفر الصادق فى جلد نور صغير ،
(الاستقصا ناي ٧٢)

فرواه عنه هرون العجلي ، وكتبه وسماه «الجفر» باسم الجلد الذي كتب فيه
(لان الجفر فى اللغة هو الصغير) فصار هذا الاسم علما على هذا الكتاب
عندهم . وكان فيه تفسير القرآن الكريم وما فى باطنه من غرائب المعانى
مروية عن جعفر الصادق رضى الله عنه»

وذكره ابن قتيبة فى أوائل كتاب اختلاف الحديث فقال بعد كلام
طويل : «واعجب من هذا التفسير تفسير الروافض للقرآن الكريم ، وما
يدعونه من علم باطنه بما وقع اليهم من الجفر الذى ذكره العجلي » ثم
قال ابن قتيبة :

ألم تر أن الرافضين تفرقوا * فكلهم فى جعفر قال منكرا
فطائفة قالوا امام ومنهم * طوائف سمته النبي المطهرا
ومن عجب لم أقضه جلد جفرهم * برئت الى الرحمن ممن تجفرا
فى أبيات غير هذه ، ثم قال ابن قتيبة : «وهو جلد جفر ادعوا أنه
كتب لهم فيه الامام جعفر الصادق كل ما يحتاجون اليه ، وكل ما يكون الى
يوم القيامة » اه وهذا تزيف من ابن قتيبة لكتاب الجفر ، وخالف هذا
المذهب أبو العلاء المعرى فقال :

لقد عجبا لاهل البيت لما * أتاهم علمهم فى مسك جفر
ومرأة المنجم - وهى صغرى - * أرته كسل عامرة وقفر
والمسك بفتح الميم الجلد ، والجفر بفتح الجيم ما بلغ أربعة أشهر من
أولاد المعز وكانت عادتهم فى ذلك الزمان أنهم يكتبون فى الجلود وما
ساكلها لقله الاوراق يومئذ .

وقال ابن خلدون : كتاب الجفر لم تتصل روايته عن جعفر الصادق
رضى الله عنه ولا عرف عينه ، وانما يظهر منه شواذ من الكلمات لا يصحبها
دليل . ولو صح السنة الى جعفر الصادق لكان فيه نعم المستند من نفسه أو
من رجال قومه . فهم أهل الكرامات رضى الله عنهم



الحبر عن دولتا أبي محمد عبد المؤمن بن علي الكومي واوليتها

اعلم ان بنى عبد المؤمن ليسوا من المصامدة ، وانما هم من كومية ،
ثم من بنى عابد منهم وكومية ، ويعرفون قديما بصطفورة بطن من بنى
فأتان بن تامصيت بن ضرى بن زجيك بن مادغيس الابتر ، فهم بنو عم
زنانة يجتمعون فى ضرى بن زجيك . هذا هو الصحيح . وبعض المؤرخين
يرفعون نسب عبد المؤمن الى قيس عيلان بن مضر ، وهو ضعيف

قال ابن خلدون : « كان عبد المؤمن بن بنى عابد أحد بيوتات
كومية وأشرفهم » قال : « وموطنهم بتكرارت وهو حصن فى الجبل المطل
على هنين من ناحية الشرق »

وقال ابن خلكان : « كان والد عبد المؤمن وسيطا فى قومه ، وكان
صانعا فى عمل الطين يعمل منه الآنية فيبيعها ، وكان عاقلا من الرجال وقورا ،
ويحكى ان عبد المؤمن فى صباه كان نائما تجاه أبيه وأبوه مشتغل
بعمله فى الطين ، فسمع أبوه دويا فى السماء ، فرفع رأسه فرأى سحابة
سوداء من النحل قد هوت مطبقة على الدار ، فنزلت كلها مجتمعة على عبد
المؤمن ، وهو نائم فغطته ، ولم يظهر من تحتها ولا استيقظ لها ، فرآته
أمه على تلك الحال ، فصاحت خوفا على ولدها فسكتها أبوه ، فقالت : « اخاف
عليه » فقال : « لا بأس عليه ، بل انسى متعجب مما يدل عليه ذلك » ثم انه
غسل يديه من الطين ولبس ثيابه ووقف ينتظر ما يكون من أمر النحل ،
فطار عنه بأجمعه ، فاستيقظ الصبى ، وما به من ألم ! فنقدت أمه جسده
فلم تر به أثرا ! ولم يشك ألما !

وكان بالقرب منهم رجل معروف بالزجر ، فمضى أبوه اليه فأخبره
بما رآه من النحل مع ولده ، فقال الزاجر : « يوشك أن يكون له شأن
يجتمع على طاعته أهل المغرب » فكان من أمره ما اشتهر
وقد تقدم لنا أن المهدي كان عنده كتاب الجفر ، وكان فيه أن أمره

لا يتم الا على يد رجل اسمه كذا ، وحليته كذا ، وهو عبد المؤمن بن علي .
فأقام المهدي يتطلبه مدة الى أن لقيه بملاحة ، وعبد المؤمن اذذاك شاب حدث
طالب علم ، فلأزم المهدي واستمسك بفرره الى أن كان من أمره ما كان .

وكان المهدي يتفرس فيه النجابة وينشد اذا أبصره :

تكاملت فيك أوصاف خصصت بها فكلنا بك مسرور ومغتبط
السن ضاحكة ، والكف مانحة ، والنفس واسعة ، والوجه منبسط

والبيتان لابي الشيص الخزاعي . وكان يقول لاصحابه : صاحبكم
غلاب الدول ! وكان يقول : عبد المؤمن من صديقي هذه الدائرة !

وقال ابن خلدون : « آثر المهدي عبد المؤمن بمزيد الخصوصيّة
والقرب بما خصه الله به من الفهم والوعي للتعليم ، حتى كان خالصة
المهدي وكنز صحابته ، وكان مؤمله لخلافته لما أظهره عليه من الشواهد
المؤذنة بذلك . وفي ذلك يقول ابن الخطيب :

وخلف الامر لعبد المؤمن فانقادت الدنيا له في رسن
جباه بين القوم بالامارة اذ وضحت له فيه الامارة

ولما اجتاز المهدي في طريقه الى المغرب بالتعالبة - عرب الجزائر -
أهدوا اليه حمارا فارها يركبه لانه كان ساعيا على رجله ، فكان يوتر
به عبد المؤمن ويقول لاصحابه : « أركبوه الحمار يركبكم الحيل المسومة ! »
وزعم بنو عبد المؤمن أن المهدي كان استخلفه من بعده . وقال ابن خلكان :
« لم يصح أنه استخلفه وانما راعى أصحابه في تقديمه اشارته فتم له
الامر . » والله أعلم .



بيعة عبد المؤمن بن علي والسبب فيها

لما توفي المهدي في التاريخ المتقدم تولى عبد المؤمن تجهيزه والصلاة عليه ، ثم دفنه بمسجده الملاصق لداره من تينمل .

ولما فرغ الموحدون من أمره تشوف كل واحد من العشرة الى الخلافة بعده ، وكانوا من قبائل شتى ، وأحبت كل قبيلة أن يكون الخليفة منها ، وأن لا يتولى عليها من هو من غيرها ، فتنافسوا في ذلك ، فاجتمع العشرة والخمسون وتآمروا فيما بينهم وخافوا على أنفسهم النفاق ، وأن تفسد نياتهم وتفترق جماعتهم ، فاتفقوا على خلافة عبد المؤمن لكونه كان غريبا بين أظهرهم ، ليس من المصامدة لان المصامدة من البرانس ، وكومية قبيلة عبد المؤمن من البتر ، فقدموه لذلك مع ما كانوا يرون من ميل المهدي اليه وايناره على غيره فتم له الامر .

وقال ابن خلدون : « لما مات المهدي خشي أصحابه من افسراق الكلمة وما يتوقع من سخط المصامدة لولاية عبد المؤمن . لكونه من غير جلدتهم ، فأرجأوا الامر الى أن تخالط بشاشة الدعوة قلوبهم ، وكنمو موته ثلاث سنين يموهون فيها بمرضه ، ويقيمون سنته في الصلاة والحزب الراتب ، ويدخل أصحابه الى بيته كأنه اختصهم بعبادته ، فيجلسون حوالى قبره ، ويتفاوضون في شؤونهم ، ثم يخرجون لانفاذ ما أبرموه ، ويتولى ذلك عبد المؤمن . حتى اذا استحکم أمرهم وتمكنت الدعوة من كافتهم كشفوا القناع عن حالهم ، وتمالاً من بقي من العشرة على تقديم عبد المؤمن ، وتولى كبر ذلك الشيخ أبو حفص عمر بن يحيى الهنتاني جد الملوك الحفصيين أصحاب تونس . فأظهروا للناس موت المهدي وعهده لصاحبه ، وانقاد بقية أصحابه لذلك ، وروى لهم يحيى بن يغمور أنه كان يقول في دعائه اثر صلواته : « اللهم بارك في صاحب الافضل ، فرضى الكافة وانقادوا له واجمعوا على بيعته .

وزعموا (١) أن عبد المؤمن استعمل في ذلك حيلة تم له بها ما أراد وذلك أنه عمد الى طائر وأسد فضراهما حتى أنسابه ، وعلم الطائر أن يقول عند علامة نصبها له : « النصر والتمكين لعبد المؤمن أمير المؤمنين ! » وعلم الاسد أن يبصص اه ويتمسح به كلما رآه ! ثم جمع عبد المؤمن الموحدين وخطبهم وحضهم على الالفه واجتماع الكلمة ، وحذرهم عاقبة البغي والخلاف ، وبينما هو في ذلك اذ أرسل سائس الاسد أسده ، وحفر صاحب الطائر لطائره ، فبصص هذا ! وأعلن بالنصر هذا ! فعجب الحاضرون من ذلك ورأوا أنها كرامة لعبد المؤمن فازدادوا بها بصيرة في أمره وثباتا على بيعته ، مع ما كان من تقديم المهدي له في الصلاة أيام مرضه ، وفي ذلك يقول بعضهم :

أنس الشبل ابتهاجا بالاسد ورأى شبه أبيه فقصد
ودعا الطائر بالنصر لكم فقضى حقكم حين وفد
والله أعلم .

وكانت بيعة عبد المؤمن العامة بعد صلاة الجمعة لعشرين يوما من ربيع الاول سنة ست وعشرين وخمسمائة بجامع تينملل . وأول من بايعه العشرة أصحاب المهدي ، ثم الخمسون من أشياخ الموحدين ثم كافة الموحدين ؛ لم يتخلف عن بيعته منهم أحد ، فاستوسق له الامر واستولى على المغرب بأسره وفتح بلاد افريقية الى برقة ، وبلاد الاندلس بأسرها ، وخطب له على منابر هذه الاقاليم كلها على ما سيأتي تفصيله ان شاء الله .
ولما تمت بيعته غزا من حينه بلاد تادلا فقتل بها وسبي ، ثم غزا بلاد

[١] قد نقل الملامة المقرئ عن تاج الدين بن حمويه السرخسي في رحلته إلى المغرب الاقصى أن هذه القصة وقعت ليعقوب المنصور الموحدى وذلك أن قوما من الغرباء قصدوا معهم حيوانات معلمة منها أسد وغراب فربض الاسد بين يدي المنصور ودعا الغراب له بالنصر فقال بعضهم الايات المذكورة وهذا هو الصحيح لان السرخسي يحدث عن مشاهدة لوجوده من زمن المنصور انظر نفح الطيب ج ٢ ص ٧٣٩ .

درعة فاستولى عليها ، ثم غزا بلاد غمارة فافتح البعض منها وقتل واليها ،
ثم تسابق الناس الى دعوته أفواجا ، وانتقضت البربر على المرابطين فسي
سائر أقطار المغرب . وكان ما نذكره :



غزوة عبد المؤمن الطويلة التي استولى فيها على المغربين

ثم صرف عبد المؤمن عزمه لفتح بلاد المغرب فغزا غزوته الطويلة
التي مكث فيها سبع سنين ، وأجلت عن فتح المغربين معا الأقصى
والاوسط . خرج لها من تينملل في صفر سنة أربع وثلاثين وخمسمائة .
فلم يزل يتقرى بلاد المغرب ويفتح معاقلها ويستنزل حماتها ويذل صعابها الى
سنة احدى وأربعين وخمسمائة .

وكان خروجه من تينملل على طريق الجبل ، وخرج تاشفين بن علي
في اتباعه من مراکش على طريق السهل الى أن وصلا الى تلمسان حسبما
قدمناه في أخبار المرابطين .

قال ابن خلدون : خرج عبد المؤمن في هذه الغزوة من تينملل يعني
على طريق الجبل كما قلنا ، وخرج تاشفين بن علي - يعني في حياة والده
بعساكره يحاذيه في البسيط - والناس يفرون منه الى عبد المؤمن ، وهو
يتنقل في الجبال في سعة من الفواكه للاكل والحطب للدفع ، الى أن وصل
الى جبال غمارة ، واشتعلت نار الفتنة والغلاء بالمغرب ، وأفضت الرعايا
عن البلاد ، وألح الطاغية على المسلمين بالعدوة الاندلسية ، وهلك خلال
ذلك أمير المسلمين علي بن يوسف سنة سبع وثلاثين وخمسمائة ، وولى
بعده ابنه تاشفين بن علي المذكور وهو في غزاته هذه .

وفي القرطاس : « ارتحل عبد المؤمن الى جبال غمارة ، وارتحل
تاشفين بن علي في أثره ، فنزل بازاء عين القديم وذلك في فصل الشتاء .

فأقام بذلك المنزل شهرين حتى أحرق أهل محلته أوتاد أخيتهم
ورماحهم ، وهدموا بيوتهم وخيامهم ، انتهى .

ونشأت فتنة بين لتونة ومسوفة فزرع جماعة من أمراء مسوفة -
منهم عامل تلمسان يحيى بن اسحق المعروف بآتكمار - ولحقوا بعبد المؤمن
ودخلوا في دعوته ، فبذ اليهم المرابطون العهد والى سائر مسوفة . واستمر
عبد المؤمن على حاله ، فنازل سبئة فامتنت عليه . وتولى كبر دفاعه عنها
القاضي أبو الفضل عياض بن موسى الشهرير الذكر ، وكان رئيسها يومئذ
بأبوتة ومنصبه وعلمه ودينه .

قال ابن خلدون : « ولذلك سخطته الدولة - يعنى دولة الموحدين -
آخر الايام حتى مات مغربا عن سبئة مستعملا فى خيلة القضاء بالبادية من
تادلا رحمه الله . وتمادى عبد المؤمن فى غزاته الى جبال غيائة وبطوية
فافتحها ثم نازل ملوية فافتتح حصونها ثم تخطى الى بلاد زناتة فأطاعته قبائل
مديونة ، وكان قد بعث اليهم جيشا من الموحدين الى نظر يوسف
بن وانودين ، فخرج اليهم محمد بن يحيى بن فانوا عامل تلمسان من
قبل المرابطين فيمن معه من جيوش لتونة وزناتة ، فهزمهم الموحدون ،
وقتل ابن فانوا وانفض جمع زناتة ورجعوا الى بلادهم . وولى تاشفين بن
على على تلمسان أبا بكر بن مزدلى ، وقدم على عبد المؤمن - وهو بمكانه
من الريف - أبو بكر بن ماخوخ ويوسف بن بدر - من أمراء بنى ومانوا
من زناتة - فبعث معهم يحيى بن يغمور ويوسف بن وانودين فى عسكر ،
فأخضوا فى بلاد بنى عبد الواد وبنى يلومى من زناتة سبيا وأسرا ، ولحق
صريخهم بتاشفين بن على ، فأمدهم بعساكر لتونة - ومعهم الروبرتير
قائد الروم - ونزلوا منداس ، وانضمت اليهم قبائل زناتة من بنى يلومى ،
وبنى عبد الواد مع شيخهم حمامة بن مطهر واخوانهم بنى توجين وغيرهم ،
فأوقعوا بنى ومانوا وقتلوا أبا بكر بن ماخوخ فى ستمائة من قومه ،
واستقذوا غنائمهم ، وتحصن الموحدون وقل بنى ومانوا بجبل سيرات .

ولحق تاشفين بن ماخوخ صريخا بعد المؤمن ومستجيشا به على امتونة وزناته . فارتحل معه عبد المؤمن الى تلمسان ثم أجاز الى سيرات .

وقصد محلة لمتونة وزناته فأوقع بهم ، ورجع الى تلمسان فنزل ما بين الصخرتين من جبل تيطرى ، ونزل تاشفين بن علي بالسهل مما يسلي الصفصاف ، ثم وصل مدد صنهاجة من قبل يحيى بن العزيز صاحب بجاية لظفر قائده طاهر بن كباب ، أمدوا به تاشفين بن علي وقومه لعصيبة الصنهاجية ، وفي يوم وصوله أشرف على معسكر الموحدين ، وكان يدل بأقدام . فعرض بلمتونة وأميرهم تاشفين بن علي لعودهم عن المناجزة الموحدين ، وقال : « انما جئكم لاخلصكم من صاحبكم عبد المؤمن هذا ! وأرجع الى قومي ، فامتعض تاشفين بن علي من كلمته وأذن له نفي المناجزة ، فحمل على القوم ، فركبوا وسموا المقائه فكان آخر العهد به وانفض عسكره . وكان تاشفين بعث من قبل ذلك قائده على الروم وهو الروبرير في عسكر ضخم ، فأغار على قوم من زناته كانوا في بسط لهم فأكسحهم ورجع بالغنائم ، فاعترضه الموحدون من عسكر عبد المؤمن فقتلوهم وقتلوا الروبرير في جملتهم .

ثم بعث تاشفين بن علي بعثا آخر الى جهة أخرى ، فلقبهم تاشفين بن ماخوخ ومن كان معه من الموحدين . واعترضوا عسكر بجاية عند رجوعهم فنالوا منهم أعظم النيل .

وتوالت هذه الوقائع على تاشفين بن علي اللمتوني فأجمع الرحلة الى وهران ، وبعث ابنه - ولي عهده - ابراهيم بن تاشفين الى مراكش في جماعة من لمتونة ، وبعث كاتبها معه أحمد بن عطية ، ورحل هو الى وهران سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ، فأقام عليها شهرا ينتظر قائد أسطوله محمد بن ميمون الى أن وصله من المربة بعشرة أساطيل ، فأرسي قريبا من معسكره ، وزحف عبد المؤمن من تلمسان ، وبعث في مقدمته الشيخ أبا حفص عمر بن يحيى الهنتاتي ، ومعه بنو ومانوا من زناته فتقدموا الى

بلاد زناتة ونزلوا منداس وسط بلادهم ، وجمع له بنو يادين كلهم وبنو
يلومي وبنو مرين ومغراوة ، فأئخن فيهم الموحدون حتى أذعنوا للطاعة
ودخلوا في دعوتهم . ووفد على عبد المؤمن جماعة من رؤسائهم ، وكان
منهم سيد الناس ابن أمير الناس شيخ بنى يلومي ، وحمامة بن مطهر شيخ
بني عبد الواد وغيرهم ، فلقاهم بالقبول وسار بهم في جموع الموحدين إلى
وهران ، فبيتوا لتونة بمعسكرهم ففضوهم ، ولجأ تاشفين إلى رابية هناك
فأحدقوا بها وأضرموا النيران حولها حتى إذا غشيهم الليل خرج تاشفين
من الحصن راكبا فرسه فتردى به من بعض حافات الجبل ، وهلك لسبع
وعشرين من رمضان سنة تسع وثلاثين وخمسمائة ، وبعث برأسه إلى تينمل
ونجا فل العسكر إلى وهران ، فأنحصروا بها مع أهلها حتى جهدهم
العطش فنزلوا على حكم عبد المؤمن يوم عيد الفطر من السنة المذكورة
فأستأصلهم القتل رحمهم الله . وبلغ خبر مقتل تاشفين بن علي إلى تلمسان
مع فل لتونة الذين نجو من وقعة وهران وفيهم سير بن الحاج في آخرين
من أعيانهم ، ففر معهم من كان بها من لتونة .

ولما وصل عبد المؤمن إلى تلمسان استباح أهل تاكرارت لما كان
أكثرهم من الحشم بعد أن كان بعشوا ستين من وجوههم فلقبهم يصلين
من مشيخة بنى عبد الواد فقتلهم أجمعين . وافتح عبد المؤمن تلمسان وعفا
عن أهلها ورحل عنها لسبعة أشهر من فتحها بعد أن ولي عليها سليمان بن
محمد بن وانودين وقيل يوسف بن وانودين .



فتح مدينة فاس

نقل بعض المؤرخين أن عبد المؤمن لم يزل محاصرا لتلمسان والفتوح ترد عليه وهناك وصلته بيعة أهل سجلماسة ، الى أن اعتزم على الرحيل الى المغرب . فترك ابراهيم بن جامع محاصرا لتلمسان ، وقصد مدينة فاس سنة احدى وأربعين وخمسمائة وقد تحصن بها يحيى بن أبي بكر الصحراوي من فل تاشفين بن علي من وهران ، فنازلها عبد المؤمن وبعث عسكريا لحصار مكناسة ، ثم نهض في اتباعه وترك عسكريا من الموحدين على فاس ، وعليهم الشيخ أبو حفص ، وأبو ابراهيم من صحابة المهدي العشرة محاصروها سبعة أشهر . ثم داخلهم ابن الجياتي فسرب البلد وأدخل الموحدين ليلا ، وفر يحيى بن أبي بكر الصحراوي الى طنجة ، ثم أجاز منها الى يحيى بن علي المسوفى المعروف بابن غانية بالاندلس - وكان واليا على قرطبة من قبل المرابطين - فأقام عنده الى أن كان من أمره ما نذكره . وانهى خبر فتح فاس الى عبد المؤمن وهو بمكانه من حصار مكناسة فرجع اليها ودخلها .

وحكى صاحب القرطاس في فتح فاس خلاف هذا الوجه فقال : وفي سنة أربعين وخمسمائة فتح عبد المؤمن فاسا بعد حصار شديد : فوَلع عنها ماء النهر الداخل اليها وسده بالبناء والحشب حتى انجس الماء فوق بسيل الأرض وانتهى الى مراكزه منها ثم خرق السد فأنحدر الماء على المدينة دفعة واحدة وهدم سورها ثم هدم من دورها ما يزيد عن ألفي دار بالثنية وهلك بها خلق كثير وكاد الماء يأتي على أكرها ، ثم دخلها عبد المؤمن وأمن أهلها الا من كان بها من المرابطين فإنه أمر أن لا يمضي لهم أمان ، وقتلهم قتل عاد . ثم أمر بسور المدينة فهدم منه ثلث كبيرة أو سعتها جدا ، وقال : « انا لا نحتاج الى سور وانما أسوارنا سيوفنا وعدلنا ، فلم تزل وس لا سور لها الى أن تداركها حافده يعقوب المنصور فابتدأ ببناءه ، ومات

ولما فتح عبد المؤمن فاسا ولى عليها ابراهيم بن جامع الذي خلفه على تلمسان ، فانه لما فتحها ارتحل الى عبد المؤمن فاتصل به وهو محاصر لافس ، ففتحها عبد المؤمن وولاه عليها ، وكان قد اعترضه في طريقه المخضب بن عسكر شيخ بنى مرين ونالوا منه ومن رفقته ، وكانت معه أموال لتونة وذخيرتهم التي استولى عليها عبد المؤمن بوهران ، وكان ابن جامع ذاهبا بها الى تينملل فاعترضه بنو مرين واتزعوها منه ، وانهى الخبر فاتمه ابنه الناصر سنة ست مائة .

بذلك الى عبد المؤمن فكتب الى عامله على تلمسان يوسف بن وانودين يأمره أن يجهز العساكر الى بنى مرين ، فبعثها صحبة عبد الحق بن منغفاد شيخ سى عبد الواد ، فأوقعوا بنى مرين وقتل المخضب شيخهم .



فتح مراکش واستئصال بقية اللمتونيين

ثم ارتحل عبد المؤمن من فاس عامدا الى مراکش فوافقه في طريقه بيعة أهل سبتة ، فولى عليهم يوسف بن مخلوف من مشيخة هتاتة ، ومر على مدينة سلا فافتحها بعد مواجهة قليلة وثلم سورها كفاس ، ونزل منها بدار ابن عشرة ، وكانت هذه الدار قصرا بديعا بمدينة سلا ، بناه الفقيه أبو العباس بن القاسم من بنى عشرة ، نشيده وأتقنه ، ولما فرغ منه وصفته الشعراء وهنته به ودعت له ، وكان بالحضرة يومئذ الاديب ابن الحمارة ولم يكن أعمد شيئا ففكر قليلا ثم قال :

يا أوجد الناس قد شيدت واحدة فحل فيها حلول الشمس في الحمل
فما كدارك في الدنيا لذي أمل ولا كدارك في الاخرى لذي عمل
وهذا القصر لم يبق له اليوم اسم ولا رسم . ثم تمادى عبد المؤمن الى مراکش وسرح الشيخ أبا حفص لغزو برغواطة ، فأئخن فيهم ورجع

فدقيه في طريقه وانتهوا جميعا الى مراكش ، وقد انضم اليها جموع لظلة ، فادفع بهم الموحدون وأنضوا فيهم قتلا ، واكسحوا أموالهم وطمعائهم ، وأقاموا على مراكش تسعة أشهر ، وأميرهم يومئذ اسحق بن علي بن يوسف ابن تاشفين ، وكانوا قد بايعوا أولا ابراهيم بن تاشفين بن علي فألقوه مضغفا عاجزا ، فخلعوه وبايعوا عمه اسحق بن علي المذكور ، وهو صبي صغير ؛ ولما طال عليهم الحصار وجهدهم الجوع برزوا الى مدافعة الموحدين فانهمزموا وتبعهم الموحدون بالقتل ، فافتحموا عليهم المدينة في أخريات شوال سنة احدى وأربعين وخمسمائة ، وقتل عامة الملتزمين ، ونجا اسحق في جملته وأعيان قومه الى القصبه حتى نزلوا على حكم الموحدين ، وأحضر اسحق بين يدي عبد المؤمن فقتله الموحدون بأيديهم ، وتولى كبر ذلك أبو حفص ابن واجاج منهم .

وانمحي أثر الملتزمين ، واستولى الموحدون على جميع البلاد . وقد قيل في ترتيب هذه الاخبار غير هذا الوجه .

قال ابن مطروح القيسي : لما بويع عبد المؤمن بتينمل ارتحل بجيوش الموحدين نحو مراكش فحاصرها أياما وذلك في شوال سنة ست وعشرين وخمسمائة ، ثم ارتحل عنها الى تادلا ، ثم الى سلا ، فتلقات أهلها سامعين مطيعين . فدخلها يوم السبت الرابع والعشرين من ذي الحجة من السنة المذكورة وخطب له بها .

وفي سنة سبع وعشرين بعدها فتح عبد المؤمن بلاد تازا .

وفي سنة ثمان وعشرين بعدها تسمى عبد المؤمن بأمير المؤمنين . (١) واعلم أن اللقب كان في صدر الاسلام خاصا بالخليفة بالمشرق من بني أمية أو من بني العباس بعدهم . ولما قام عبيد الله المهدي أول ملوك العبيديين

[١] وعبد المؤمن هذا هو أول من تسور على اللقب بأمير المؤمنين من غير جنس العرب ، ولم يتجرأ أحد من العجم قبله على هذه الدعوى ، وكانت سبب انتفاض المغرب عليه . أنظر تحقيق القول في هذا المبحث في مقدمة تاريخنا المغربي .

بأفريقية تسمى بأمر المؤمنين لانه كان يرى أنه أحق بالخلافة من بنى
العباس المعاصرين له بالمشرق ، فهو أول من زاحم الخليفة فى هذا اللقب ،
ثم تبعه على ذلك عبد الرحمن الناصر الاموى صاحب الاندلس ، ورأى
أن له فى الخلافة حقا اقتداء بسلفه الذين كانوا خلفاء بالمشرق وكلاهما -
أعنى العبيدى والاموى - قرشى من عبد مناف ، ثم لم يتجاسر أحد لا من
ملوك العجم بالمشرق ولا من ملوك البربر من المغرب على اللقب بأمر
المؤمنين لانه لقب الخليفة الاعظم القرشى كما علمت ، الى أن جاءت دولة
المرابطين وكان منهم يوسف بن تاشفين واستولى على المغربين والاندلس ،
وعظم سلطانه واتسعت مملكته ، وخاطب الخليفة العباسى بالمشرق فولاه على
ما بيده ، وتسمى بأمر المسلمين أدبا مع الخليفة حسبما أشرنا اليه سالفنا .
ولما جاء عبد المؤمن هذا لم يبال بذلك كله واتسم بالخليفة وتلقب بأمر
المؤمنين وتبعه على ذلك بنوه من بعده ولسان الحال ينشد :

لقد هزلت حتى بدا من هزالها كلاها ، وحتى سامها كل مفلس

وفى سنة تسع وعشرين وخمسمائة أمر عبد المؤمن ببناء رباط
مدينة تازا ، فبنيت وحصن سورها ، ثم كانت محاربه لتاشفين بن على على
نحو ما أسلفناه . والله تعالى أعلم .

ثورة محمد بن هود السلاوى المعروف بالماسى

كان محمد بن هود بن عبد الله السلاوى رجلا من سوقة أهل سلا
وكان أبوه سمسارا بها يبيع الكتابيش ، وكان هو قصارا بها مدة ، ثم لحق
بعبد المؤمن عندما ظهر وبايعه وشهد معه فتح مراكش ، ثم فارقه وظهر
برباط ماسة من ناحية السوس ، ودعا لنفسه وتسمى بالهادى ، وتمكن
ناموسه من قلوب العامة وكثير من الخاصة ، فأقبل اليه الشراد من كل

جانب ، وانصرفت اليه وجوه الاغمار من أهل الاتفاق ، وأخذ بدعوته
أهل سجلماسة ودرعة وقبائل دكالة ورجراجة وقبائل تامسنا وهوارة ،
وفشت ضلالتة فى جميع المغرب .

قال فى القرطاس : بايعه جميع القبائل حتى لم يبق تحت طاعة عبد
المؤمن الا مراکش ، فسرح اليه عبد المؤمن عسكريا من الموحدين لنظر
يحيى بن اسحق أنكار النازع اليه من ايلة تاشفين بن على حسبما تقدم ،
فالتقى بالماسى وقاتله فاتتصر الماسى عليه وعاد مهزوماً الى عبد المؤمن ،
فسرح اليه عبد المؤمن ثانيا الشيخ أبا حفص الهنتاتى فى جيش عظيم من
أشياخ الموحدين وغيرهم ، واحتفل عبد المؤمن فى الاستعداد . ونهض
الشيخ أبو حفص من مراکش فاتح ذى القعدة سنة اثنتين وأربعين
وخمسمائة ، وشيعة عبد المؤمن الى وادى تانسيفت ، ثم دعا له وودعه
وانصرف الشيخ أبو حفص فى جيوش الموحدين حتى انتهوا الى رابطة
ماسة فبرز اليهم محمد بن هود فى نحو ستين ألفا من الرجال وسبعمائة
من الفرسان ، فكانت بينهم حرب شديدة ثم انتصر عليهم الموحدون
فهزموهم ، وقتل محمد بن هود فى المعركة مع كثير من أتباعه وفضت
جموعه ، وكان ذلك فى ذى الحجة من السنة المذكورة ، وكان الذى
بأمر قتل ابن هود هو الشيخ أبو حفص رئيس الجيش ، فلقبه الموحدون
بسيف الله تشبيها له بخالد بن الوليد رضى الله عنه .

وكتب الشيخ أبو حفص الى عبد المؤمن برسالة الفتح من انشاء
أفقيه أبى جعفر بن عطية القضاعى الكاتب المشهور يقول فيها : « كتابنا
هذا من وادى ماسة بعد ما تجدد من أمر الله الكريم ، ونصره تعالى المعبود
التقديم ، وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم ، فتح بهر الانوار
اشراقا ؟ وأحدق بنفوس المؤمنين احداقا ، ونبه للامانى النائمة جفونا
وأحدقا ، واستغرق غاية الشكر استغراقا ، فلا تطبيق اللسن لكنه وصفه
ادراكا ولا لحاقا ؟ جمع أشنات الطلب والأرب ، وتقلب فى النعم أكرم

منقلب ، وملاء دلاء الامل الى عقد الكرب .

فتح تفتح أبواب السماء له وتبرز الارض في أثوابها القشب
وتقدمت بشارتنا به جملة ، حين لم تعط الحلال بشرحه مهلة ، كن
أولئك الضالون قد بطروا عدوانا وظلما ، واقتطعوا الكفر معنى واسما ،
وأملى الله تعالى لهم ليزدادوا اثما ، وكان مقدمهم الشقى قد استمال
النفوس بخزعبلاته ، واستهوى القلوب بمهولاته ، ونصب له الشيطان من
جبلاته ؛ فآتته المخاطبات من بعد وكتب ، وانسلت اليه الرسل من كل
حذب ، واعتقدته الخواطر أعجب عجب ، وكان الذى قادهم الى ذلك ؛
وأوردهم تلك المهالك ؛ وصول من كان بتلك السواحل ، ممن ارتسم
برسم الانقطاع عن الناس ، فيما سلف من الاعوام ، واشتغل على زعمه
بالقيام والصيام ؛ آناء الليالى والايام ، لبسوا الناموس أثوابا ، وتدرعوا
الرياء جلبابا ، فلم يفتح الله تعالى لهم للتوفيق بابا .

ومنها فى ذكر صاحبهم الماسى المدعى للهداية : « فصرع بحمد الله
تعالى لحينه ، وبادرت اليه بوادر منونه ، وأتته وافدات الخطايا عن يساره
ويمينه ؛ وقد كان يدعى أنه بشر بأن المنية فى هذه الاعوام لا تصيبه ؛
والنائب لا تنوبه ! ويقول فى سواه قولا كثيرا ، ويخترق على الله تعالى
افكا وزورا ! فلما رأوا هيئة اضطجاعه ، وما خطته الاسنة فى أعضائه
وامضاعه ، ونفذ فيه من أمر الله تعالى ما لم يقدروا على استرجاعه ؛ هزم من
كان لهم من الاحزاب ؛ وتساقطوا على وجوههم تساقط الذباب ، وأعدلوا
على بكرة أبيهم صفحات الرقاب ، ولم تقطر كلومهم الا على الاعقاب ،
نامتلات تلك الجهات بأجسامهم ، وأذنت الآجال بانقراض آمادهم ،
وأخذهم الله تعالى بكفرهم وفسادهم ، فلم يعاين منهم الا من خر صريعا ،
وسقى الارض نجيعا ؛ ولقى من أمر الهنديات فظيما ، ودعت الضرورة
بأقيهم الى الترامى فى الوادى ، فمن كان يؤمل الفرار ويرتجيه ، ويسبح
طامعا فى الخروج الى ما ينجيه ؛ اختطفته الاسنة اختطافا ، وأذاقته موتا

ذعافا ، ومن لجج في الترامي على لججه ؛ ورام البقاء في ثبجه ، قضى عليه شرفه ، وألوى بذقنه غرقه ؛ ودخل الموحدون الى البقية الكائنة فيه ، يتاولون قتلهم طعنا وضربا ، ويلقونهم بأمر الله تعالى هولا عظيما وكربا ، حتى انبسطت مراقيت الدماء ، على صفحات الماء ، وحكت حمرتها على زرقة ؛ حمرة الشفق على زرقة السماء ، وجزت العبرة للمعتبر ، في جرى ذلك الدم جرى الابحر !

وبالجملته فهي رسالة بليغة ، وهي التي أورت منشئها الرتبة العلية ، والنزلة السنية ، فان عبد المؤمن لما وقف عليها استحسنتها ووقعت منه موقعا كبيرا ، فاستكبه أولا ؛ ثم استوزره ثانيا ، ثم نكبه وقتله ثالثا كما سيأتي . ولما انصرف الشيخ أبو حفص من غزوة ماسة أراح بمراكش أياما ثم خرج غازيا بلاد القائمين بدعوة محمد بن هود بجبال درن فأوقع بأهل نفيس وهيلانة ، وأئخن فيهم بالقتل والسبي حتى أذعنوا للطاعة ورجع ثم خرج الى هسكورة فأوقع بهم وافتتح معاقلمهم وحصونهم . ثم نهض الى سجلماسة فاستولى عليها ورجع الى مراكش . ثم خرج ثالثة الى برغواطة فحاربوه مدة ، ثم هزموه ، واضطربت نار الفتنة بالمغرب وكان ما تذكره .



انتقاض أهل سبتة على الموحدين وخبر القاضي عياض رحمه الله معهم

قد تقدم لنا أن عبد المؤمن كان غزا سبتة في غزوته الطويلة ، واز القاضي عياضا رحمه الله دافعه عنها ، وانه لما قتل تاشفين بن علي وفتحت تلمسان وفلس واستفحل أمر عبد المؤمن بايع أهل سبتة في جملة من بايع من أمصار المغرب .

قالوا : « وبادر القاضي عياض الى لقاء عبد المؤمن فاجتمع به بمدينة (الاستقصا ناي م 8)

سلا حين كان ذاهبا لفتح مراكش فأجزل صلته ، وولى على سبته يوسف بن مخلوف التينملى وماكن الموحدون أهل سبته فى ديارهم واطمانوا اليهم .

فلما انتقض المغرب على عبد المؤمن بسبب قيام محمد بن هود وما نشأ عن ذلك من الفتن انتقض أهل سبته أيضا ، وكان انتقاضهم كما فى القرطاس - برأى القاضى عياض رحمه الله فقتلوا عامل الموحدين ومن كان معه من أصحابه وحاميته وحرقوهم بالنار .

وركب القاضى عياض البحر الى يحيى بن على المسوفى المعروف بابن غانية ؛ وكان معتصما بقرطبة متمسكا بدعوة المرابطين ، فلقبه وأدى اليه البيعة ؛ وطلب منه واليا على سبته فبعث معه يحيى بن أبى بكر الصحراوى الذى كان معتصما بفاس أيام حصار عبد المؤمن لها ، ففر ولحق بأبن غانية كما قلنا ، وبقي فى جملته الى أن بعثه مع القاضى عياض فى هذه المرة فدخل يحيى سبته وقام بأمرها .

ولما اتصلت بعبد المؤمن هذه الاخبار مع ما تقدم من هزيمة برغواطة للشيخ أبى حفص خرج من مراكش قاصدا بلاد برغواطة أولا ، ثم من بعدهم ثانيا ، فتسامعت برغواطة بخروج عبد المؤمن اليهم ، فكتبوا الى يحيى بن أبى بكر بمكانه من سبته يستنصرونه عليهم ، فاتاهم وبايعوه واجتمعوا عليه وقتلوا عبد المؤمن فهزموه ، ثم كانت له الكرة عليهم فهزمهم وحكم السيف فيهم واستأصل شأفتهم حتى انقادوا المطاعة ؛ وتبرأوا من يحيى الصحراوى ولتونة ، وفر الصحراوى الى منجاته ، ثم طلب الامان من عبد المؤمن وتشفع اليه بأشياخ القبائل فأمنه ووفد عليه فبايعه وحسنت طاعته لديه ، وكان ذلك سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة .

ولما رأى أهل سبته ذلك كله سقط فى أيديهم وندموا على صنيعهم وكتبوا بيعتهم الى عبد المؤمن وقدم بها أشياخ سبته وطلبها تائبين ، فعفا عنهم وعن القاضى عياض ، وأمره بسكنى مراكش ، والصحيح أنه ولاء

القضاء بتادلا ثم دخل مراکش ، قيل دخلها مريضا مرض موته ، وقيل مات بالطريق وحمل اليها ؛ وأمر عبد المؤمن مع ذلك بهدم سور سبتة فهدم وكذلك فعل بفاس وسلا .

واعلم أن ما صدر من القاضي عياض رحمه الله في جانب الموحدين دليل على أنه كان يرى أن لا حق لهم في الامر والامامة وانماهم متغلبون وهذا أمر لا خفاء به كما هو واضح . ولما كانت شوكة عبد المؤمن لا زالت ضعيفة وتاشفين بن علي أمير الوقت لا زال قائم العين امتنع القاضي عياض رحمه الله من مبايعة عبد المؤمن ، ودافعه عن سبتة اذ لا موجب لذلك لان بيعة تاشفين في أعناقهم وهو لا زال حيا ، فلا يعدل عن بيعته الى غيره بلا موجب .

وأما ما غالط به المهدي رحمه الله من أن المرابطين مجسمة ، وأن جهادهم أوجب من جهاد الكفار ، فضلا عن أن تكون طاعتهم واجبة ، فسفسطة منه عفا الله عنا وعنه !

ولما قتل تاشفين وفتحت تلمسان وفاس وقويت شوكة عبد المؤمن بايعة القاضي عياض حينئذ وقبل صلته ، لان من قويت شوكته وجبت طاعته .

ثم لما ضعف أمره ثانيا بسبب قيام الماسي عليه واجماع قبائل المغرب على التمسك بدعوته رجع القاضي بأهل سبتة عن بيعته الى طاعة المرابطين الذين لهم الحق في الامامة بطريق الاصاله ، ولم يأخذ بدعوة الماسي لانه نائر أيضا ، هذا مع ما كان يتقل عن المهدي من أنه غلبت نزعة خارجية عليه ، وانه يقول بعصمة الامام وذلك بدعة كما لا يخفى ، فتكون امامته وامامة أتباعه مقدوحا فيها من هذه الحيثية ، لكن حيث حصل التغلب والاستيلاء وجبت الطاعة . فالحاصل أن ما فعله القاضي عياض أولا وثانيا وثالثا كله صواب موافق للحكم الشرعي ، فهكذا ينبغي أن تفهم أحوال أئمة الدين ، وأعلام المسلمين رضى الله عنهم ونفعنا بعلومهم .

وأما القتل والتحريق الذي صدر من أهل سبته فالظن بالقاضي عياض رحمه الله أنه لا يوفق على ذلك ولا يرضاه ، لكن العامة تسرع الى مجاوزة الحدود ، لاسيما أيام الفتن ، وذلك معروف من حالهم والله الموفق .

ولما دخلت سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة فتح الموحدون مدينة مكناسة القديمة بعد حصارهم اياها سبع سنين : أفتحوها عنوة يوم الاربعاء ثالث جمدى الاولى من السنة المذكورة فخرت وقل أكثر رجالها وسبى حريمهم وخمست أموالهم ، ثم بنيت مكناسة تكررارت المدينة الموجودة الان .



اخبار الاندلس وفتوحها

كان عبد المؤمن لما فتح تلمسان وفاسا بعث الى الاندلس جيشا من عشرة آلاف فارس من أنجاد الموحدين .

وقال ابن خلدون : بعث عبد المؤمن بعد فتح مراکش جيشا من الموحدين لنظر بدران بن محمد المسوفى النازع الى عبد المؤمن من جملة تاشفين بن على ، وعقد له على حرب الاندلس ومن بها من لتونة والثوار ، وأمدته بعسكر آخر لنظر موسى بن سعيد ، وبعده بعسكر آخر لنظر عمر بن صالح الصنهاجى .

ولما أجازوا الى الاندلس نزلوا بأبى الغمر بن عزرون ، صاحب شريش ، فكان أول بلد فتحوا من الاندلس بلد شريش . خرج اليهم صاحبها أبو الغمر فيمن معه من المرابطين وبايعهم لعبد المؤمن ودخل فى طاعته ، فكان الموحدون يسمون أهل شريش بالسائقين الاولين . وحررت أملاكهم ، فلم تزل محررة سائر أيامهم ، فلم يكن فى أملاكهم رباعة

وجميع بلاد الاندلس مربعة . وكان ملوك الموحدين اذا قدم عليهم وفود الاندلس كان اول من ينادى منهم أهل شريش ، فكان يقال : أين السابقون ؟ فيدخلون للسلام ، فاذا سلموا وقضيت حاجاتهم انصرفوا فدخل غيرهم حينئذ ، وكان فتح شريش فاتح ذى الحجّة سنة تسع وثلاثين وخمسمائة .

ثم زحف الموحدون الى لبلبة ، وكان بها من الثوار يوسف بن أحمد البطروجي ، فبذل لهم الطاعة ، ثم زحفوا الى شلب ففتحوها ، ثم نهضوا الى باجة ، وبطليوس ، ففتحوهما أيضا ، ثم زحفوا الى اشيلية فحاصروها برا وبحرا الى أن فتحوها في شعبان سنة احدى وأربعين وخمسمائة ؛ وفر من كان بها من المرابطين الى قرمونة ، وقتل من أدركه القتل منهم ، وقتل في جملتهم عبد الله ولد القاضي أبي بكر محمد بن عبد الله بن العربي المعافري الحافظ المشهور : وأصيب في هبة تلك الدخلة من غير قصد .

وكتب الموحدون بالفتح الى عبد المؤمن ، ثم قدم عليه وفدهم بمراكش مباعين له سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة ، ورئيس الوفد يومئذ القاضي أبو بكر بن العربي المذكور ، فألفوا عبد المؤمن منغولا بحرب محمد بن هود الماسي ، فأقاموا بمراكش سنة ونصفا ، لم يلقوه فيها حتى كان يوم عيد الاضحى من سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة ، فلقوه بالمصلى فسلموا عليه سلام الجماعة ، ثم بعد ذلك دخلوا عليه فسلموا عليه السلام الخاص ، وقبلت بيعتهم .

وسأل عبد المؤمن القاضي أبا بكر بن العربي عن المهدي هل كان ائمه عند الامام أبي حامد الغزالي ، فقال : « ما لقيته ، ولكن سمعت به » فقال له : فما كان أبو حامد يقول فيه ؟ قال : « كان يقول : « ان هذا البربري لا بد أن سيظهر ! » ثم صرف عبد المؤمن أهل اشيلية بعد أن أجازهم ، وكتب لهم منشورا بتحرير أملاكهم ، فانصرفوا عنه في جمادى الاخرة سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة ، فلما قربوا من مدينة فاس توفى

الامام أبو بكر بن العربي رحمه الله ، فحمل ودفن خارج باب المحروق منها ، بتربة القائد مظفر ، وقبره مزاردة الى الان ، وعليه قبة حسنة .
وفي هذه السنة ملك الموحدون قرطبة ؛ وكان بها يحيى بن علي المسوفى - المعروف بابن غانية - مقيما لدعوة المرابطين ، فلما دخل الموحدون الاندلس واشتعلت نار الفتنة بحرب المرابطين انتهز الطاغية الفرصة في بلاد الاسلام ، وضايق ابن غانية بقرطبة ، وألح على جهاته ؛ حتى نزل له عن ياسة وأبدة ؛ وتغلب على اشبونة ، وطرطوشة ، والمرية ؛ وماردة ، وأفراغة ، وشترين ، وشتمرية ؛ وغيرها من حصون الاندلس وطالب ابن غانية بالزيادة على ما بذل له أو الافراج عن قرطبة ، فأرسل ابن غانية الى بدران بن محمد أمير الموحدين ، واجتمعا باستجة ، وضمن له بدران أمان الخليفة عبد المؤمن على أن يتخلى له عن قرطبة وقرمونة ففعل ثم لحق بغرناطة ، وبها ميمون بن بدر اللمتوني في جماعة من المرابطين ، وأراد أن يكلمه في الدخول في طاعة الموحدين وأن يمكنهم من غرناطة كما فعل هو بقرطبة ، فتوفي بغرناطة يوم الجمعة الرابع والعشرين من شعبان سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة ، ودفن في القصة بازاء قبر باديس ابن حبوس الضهاجي ، وانتهد الطاغية الفرصة في قرطبة فزحف اليها وحاصرها ، فجهز اليه الموحدون الذين كانوا باشيلية أبا الغمر بن عزرون لحمايتها ، ووصل اليه مدد يوسف البطروجي من لبله ، وبلغ الخبر عبد المؤمن فبعث اليها عسكريا من الموحدين لنظر يحيى بن يغمور ، ولما دخلها أفرج عنها الطاغية لايام من مدخله ، وبادر ثوار الاندلس الى يحيى بن يغمور في طلب الامان من عبد المؤمن ، ثم تلاحقوا به بمراكش فنقبلهم ، وصفح لهم عما سلف .



قدوم عبد المؤمن إلى سلا ووفادة أهل الأندلس عليه بها

لما كانت سنة خمس وأربعين وخمسمائة قدم عبد المؤمن من مراكش إلى سلا ، فنظر في أمرها وأجرى إليها ماء عين نبولة ، حتى وصل إلى رباطها ؛ ولم تكن رباط الفتح يومئذ قد بنيت ، لأن بنائها حافده يعقوب المنصور كما سيأتي إن شاء الله ، وإنما كان يقال رباط سلا .

ثم أذن عبد المؤمن لأهل الأندلس في الوفادة عليه بسلا ، فقدموا عليه في نحو خمسمائة فارس من الفقهاء والقضاة والخطباء والأشياخ والقواد ، فلقاهم الشيخ أبو حفص الهنتاتي ، والوزير الكاتب أبو جعفر ابن عطية ؛ وأشياخ الموحدين على نحو ميلين من المدينة ، فأمر عبد المؤمن بانزالهم ، وأفاض عليهم سجال الأكرام ، وأنواع الضيافات والانعام ؛ وبقوا على ذلك ثلاثة أيام ، ثم أذن لهم في الدخول فدخلوا عليه أول يوم من المحرم فاتح سنة ست وأربعين وخمسمائة ؛ فسلموا عليه .

وأشار الوزير ابن عطية لأهل قرطبة بالتقدم ، فتقدم قاضيهم أبو القاسم بن الحاج فأراد أن يتكلم فدهش ، ثم وصف حال قرطبة ؛ فقال : « يا أمير المؤمنين ، إن الفتن لعنه الله قد أضعفها » فتلافاه أبو بكر بن الجند بالخطبة البليغة ، فجلى في ذلك المجلس ، واستحسن عبد المؤمن خطبته ، ووصل الجميع كلا على قدره ، وقضى مطالبهم ؛ وأوصاهم بما اقتضاه الحال ، وأمرهم بالانصراف إلى بلادهم ، فانصرفوا فرحين مغتبطين .

وقال ابن خلدون : « استدعى عبد المؤمن أهل الأندلس - وهو بسلا - فوفدوا عليه وبايعوه جميعا ، وبايعه الرؤساء من الثوار على الانخلاع من الأمر ؛ مثل سدراتي ابن وزير صاحب باجة ويابرة ، ويوسف البطروجي صاحب لبلة ، وابن عزرون صاحب شريش ورتندة ، ومحمد بن الحجام صاحب بطليوس ، وعامل بن مهيب صاحب طليبة ،

وتخلف ابن القيسى وأهل شلب عن هذا الجمع فكان سببا لقتله من بعد ،
وانصرف أهل الاندلس الى بلادهم ، ورجع عبد المؤمن الى مراكش
واستصحب الثوار فلم يزالوا بحضرته . والله تعالى أعلم .



غزو افريقية وفتح مدينة بجاية

ثم بلغ عبد المؤمن اضطراب بلاد افريقية بسبب تنازع ملوكها من بني
ليرى بن مناد الصنهاجين واستقالة العرب عليهم بها ، فأجمع الرحلة الى
نزوها ، بعد أن شاور الشيخ أبا حفص وأبا ابراهيم وغيرهما من المشيخة
ووافقوه ، فخرج من مراكش أواخر سنة ست وأربعين وخمسمائة ،
واستخلف عليها الشيخ أبا حفص الهنتاتي ؛ وسار حتى وصل الى سلا
فأقام بها شهرين ، ثم نهض منها الى سبتة مظهرا أنه يريد العبور الى
الاندلس بقصد الجهاد .

فلما وصل الى سبتة استدعى فقهاء قرطبة واشييلة وأعيان الاندلس
وقوادها فاستوضح منهم أحوال البلاد ، وأوصاهم بما اليهم منها وودعهم
ورحل عن سبتة مظهرا العود الى مراكش ، سار حتى وصل الى
اقصر الكبير ؛ وهو قصر كامة ، فميز جيوشه وأزاع عليهم وفرق فيهم
الاموال ، وأمرهم بتجديد الازواد ، وخرج يعتسف البلاد على غير طريق
فجعل مدينة فاس عن يمينه ، وجد السير حتى خرج على وادي ملوية ،
ثم سار الى تلمسان فأقام بها يوما واحدا ، ثم خرج منها وولى السير
قاصدا بجاية ؛ فطرق الجزائر على حين غفلة من أهلها ، فدخلها وأمنهم ،
وفر صاحبها القائم بن يحيى بن العزيز الى أبيه يحيى بجاية .

وخرج الى عبد المؤمن الحسن بن علي الصنهاجي صاحب المهديّة ،
وكان الفرنج قد أخرجوه منها ، فقصده ابن عمه يحيى بن العزيز صاحب

بجاية فعدل به الى الجزائر وأنزله بها كالمسجون . فلما طرق عبد المؤمن الجزائر في هذه المرة خرج اليه الحسن بن علي المذكور ، فصحبه ووصل يده بيده ، حتى كان من أمره ما تذكره ان شاء الله .

ثم اعترضت جيوش صنهاجة عبد المؤمن بام العلو فهزمهم وصبح بجاية من الغد فدخلها ، وفر صاحبها يحيى بن العزيز الصنهاجي آخر ملوك بني حماد أصحاب القلعة . فركب البحر في أسطولين كان أعددهما ، لذلك ، واحتمل فيهما ذخيرته وأمواله ، وعزم على المسير الى مصر ؛ ثم عدل الى بونة فنزل على أخيه الحارث ، فأنكر عليه سوء صنيعه وافراجه عن البلد ، فارتحل عنه الى قسنطينة فنزل على أخيه الحسن فتخلى له عن الامر .

وفي خلال ذلك دخل الموحدون قلعة حماد عنوة ، وكان عبد المؤمن وجه جيشا من الموحدين اليها وأمر عليهم ابنه أبا محمد عبد الله فدخلوها وأضرموا النيران في مساكنها وخربوها وقتلوا بها نحو ثمانية عشر ألفا ؛ وامتلات أيدي الموحدين من الغنائم والسبي ، ثم جمع لهم العرب الذين هناك من الاتنج وزغبة ورياح وغيرهم بسطيف ، فأوقعوا بهم واستلحموهم وسبوا نساءهم واكسحوا أموالهم .

وأما يحيى بن العزيز فانه بايع لعبد المؤمن سنة سبع وأربعين وخمسائة . ونزل له عن قسنطينة واشترط لنفسه فوفى له عبد المؤمن ونقله الى مراكش بأهله وخاصته فسكنها وأفاض عليه سجال الاحسان ، وأنزله منزلة رفيعة ، ثم انتقل الى سلا سنة ثمان وخمسين وخمسائة ، فسكن بقصر ابن عشرة منها الى أن مات من سنته رحمه الله .

ووفد على عبد المؤمن بمراكش كبار العرب من أهل افريقية طائعين ، فوصلهم ورجعوا الى قومهم ، معتبطين .



فتوح المريّة وياسة وإبـدة



كانت هذه البلاد قد استولى عليها الفرنج أيام الموحدين، والمرابطين بالاندلس، فلما كانت سنة ست وأربعين وخمسمائة عبر الشيخ أبو حفص إلى الاندلس في جيش كنيف من الموحدين ومعه السيد أبو سعيد ابن أمير المؤمنين برسـم الجهاد - وكان بنو عبد المؤمن يسمون أبناءهم بالسادة - فنزلوا المريّة وضيقوا عليها بالحصار، وبنى السيد أبو سعيد على محلته سورا، واستغاث نصارى المريّة بالفنش فأغاثهم بمحمد بن مردنيس - وكان واحلا يده بيده - ووجه معه السلطين أحد قواد الفرنج في جيش كنيف، فلم يتمكنوا من البلد ولا من محلة الموحدين لكونها محصنة بالسور. فرجع ابن مردنيس والسلطين بخفى حين وافترقا فلم يجتمعا بعد.

ثم عمد السلطين إلى ياسة وأبـدة فأخلاهـما من النصارى الذين كانوا بهما خوفا عليهم؛ ورجع عوده على بدئه. وأما السيد أبو سعيد فإنه شدد الحصار على المريّة حتى نزلوا على الامان بواسطة الوزير ابن عطية. وفي سنة ثمان وأربعين وخمسمائة وجه عبد المؤمن على يصليتين قريب المهدي فأتى به مكبولا من سبته، فأمر بقتله وصلبه بباب مراکش لامر نقمه عليه.

ثم ارتحل عبد المؤمن بعد مقتل يصليتين إلى تينملل بقصد زيارة قبر المهدي، فزار وفرق في أهلها أموالا عظيمة، وأمر ببناء مسجد لها وتوسعتها.



قدوم عبد المؤمن مدينة سلا وتولية ا اولادها على النواحي بها

لما قضى عبد المؤمن أربه من تينملل ارتحل منها الى سلا ، فأقام بها
بمية سنة ثمان وأربعين وخمسمائة .

ثم دخلت سنة تسع وأربعين بعدها ، فباع لابنه السيد أبى عبد الله
محمد بولاية العهد ، وأمر أن يذكر في الخطبة بعده ، وكتب بذلك الى
جميع الآفاق .

ثم عقد لابنه السيد ابى الحسن على على فاس وأعمالها ، واستوزر له
أبا الحجاج يوسف بن سليمان . وعقد لابنه السيد أبى حفص عمر على
تلمسان وأعمالها واستوزر له أبا محمد عبد الحق بن وانودين ، واستكتب
له أبا الحسن عبد الملك بن عياش . وعقد لابنه السيد أبى سعيد عثمان
على سبتة وطنجة ، واستوزر له أبا محمد عبد الله بن سليمان ، وأبا عثمان
سعيد بن ميمون الصنهاجى ، واستكتب له أبا بكر بن طفيل القيسى ، وأبا
بكر بن جيش الباجى . وعقد لابنه السيد أبى محمد عبد الله على بجاية
وأعمالها ، واستوزر له أبا سعيد يخلف بن الحسن . وعقد للشيخ أبى
زيد بن يكيث على قرطبة وأعمالها ، ويقال ان قرطبة كانت فى هذا التاريخ
يد يحيى بن يغمور والله أعلم .

واستقامت الاحوال لعبد المؤمن وبنيه ، وصفا له المغربان والاندرلس
والله غالب على أمره .



إيقاع عبد المؤمن بعبد العزيز وعيسى اخوي المهدي والسبب في ذلك



كان عبد العزيز وعيسى أخو المهدي من مشيخة العسكر ووجوه الجيش باشييلية أيام فتحها ووفادة أهلها على عبد المؤمن بمراكش حسبما تقدم . ثم ساء أثرهما بها ، واستطالت أيديهما على أهلها ، واستباحا الدماء والاموال ؛ ثم اعتزما على الثنك بيوسف البطروجي صاحب لبله ، فلحق ببلده وأخرج الموحدين الذين بها وحول الدعوة عنهم الى المرابطين ، ونشأ عن ذلك فساد كبير بالاندلس ؛ ثم لحق أخوا المهدي بالعدوة فسي خبر طويل :

واستمر حالهما الى أن بايع عبد المؤمن لابنه محمد بولاية العهد ، وعقد لاختوته على العمالات والنواحي ، ففسدت نية عبد العزيز وعيسى بذلك ، مع ما كان صدر من عبد المؤمن من قتل ابن عمهما بصليتين ، وكانا يومئذ بفاس وعبد المؤمن بسلا ، فخرجا من فاس الى مراكش على طريق المعدن مضميرين للغدر .

واتصل خبر خروجهما بعبد المؤمن ، فخرج من سلا في أثرهما متلافيا أمر مراكش ، وقدم أمامه وزيره أبا جعفر ابن عطية ، فسبقاه اليها وداخلا بعض الاوباش بها في شأنهما ، فوثبوا بعاملها أبي حفص عمر بن تافراكين فقتلوه بمكانه من القصبه .

ووصل على اثرهما الوزير ابن عطية ثم عبد المؤمن على أثره ، فأطفأ تلك النائرة ، وتقبض عبد المؤمن على عبد العزيز وعيسى فقتلها وصلبهما ، وتبع المداخلين لهما فالحقهم بهما وانقطع الشغب وزال الفساد .



ايقاع يحيى بن يغمور بأهل لبلتة واسرافه في ذلك

لما كانت سنة تسع وأربعين وخمسمائة فتح الموحدون مدينة لبلتة ، وكان المتولى لفتحها يحيى بن يغمور والى قرطبة واشيلية ، حاصرها مدة لم اقتحمها عنوة ، وقبض على أهلها فخرج بهم الى ظاهر المدينة ، وصفهم فى صعيد واحد ثم عرضهم على السيف أجمعين حتى خلس القتل منهم الى الفقيه المحدث أبى الحكام بن بطال ، والفقيه الصالح أبى عامر ابن الجسد .

وكان عدد من قتل من أهل لبلتة فى ذلك الصعيد ثمانية آلاف وقتل بأحوازها نحو أربعة آلاف ثم بيعت نساؤهم وابناؤهم وأمتعتهم واسلابهم فعلى ذلك افتيانا على عبد المومن ! وبلغه الخبر وهو بمراكش ، فسخطه . وبعث اليه عبد الله بن سليمان فجاء به معتقلا الى الحضرة يوم عيد الفطر ، فالزمه بيته وبقى على ذلك مدة ثم عفا عنه وسرحه مع ابنه السيد ابى حفص الى نلمسان . ولم يصرف الى أهل لبلتة شيئا مما أخذ لهم واستقام أمر الاندلس ونزل ميمون بن بدر اللمتونى عن غرناطة للموحدين فملكوها ، وأجاز اليها السيد ابو سعيد صاحب سبتة ، بعهد أبيه عبد المومن اليه بذلك ولحق المائون بمراكش .



أمر [١] عبد المؤمن بتحريق كتب الفروع ورد الناس إلى الاصول
من الكتاب والسنة

لما كانت سنة خمسين وخمسمائة أمر أمير المؤمنين عبد المؤمن بن علي باصلاح
المساجد وبنائها في جميع مملكه ، وبتغيير المنكرات ما كانت . وأمر مع ذلك
بتحريق كتب الفروع ورد الناس إلى قراءة كتب الحديث واستنباط الاحكام
مها ، وكتب بذلك إلى جميع طلبة العلم من بلاد الاندلس والعدوة فجزاء
الله خيرا .



نقل المصحف العثماني من قرطبة إلى مراکش

وبناء جامع الكتبيين بها

كان بقرطبة ثم بجامعها الاعظم المشهور مصحف أمير المؤمنين عثمان بن
عفان رضي الله عنه ، ذكر ذلك جماعة من المؤرخين منهم ابن بشكوال وغيره
وكان ذلك المصحف الكريم متداولاً عند بني أمية وأهل الاندلس ، واستمر
بقرطبة إلى دولة الموحدين فنقله عبد المؤمن إلى مراکش .

قال ابن بشكوال : « أخرج المصحف العثماني من قرطبة وغرب منها ،
وكان بجامعها الاعظم ليلة السبت الحادي عشر من شوال سنة اثنين وخمسين

[١] الذي في كتاب المعجب لعبد الواحد المراكشي : ان يعقوب المنصور هو الأمر
بذلك ، فانظر هل فعل هذا اقتداءً بجده أم من ذاته لأول الامر ، لكن الظاهر من كلام
المراكشي أن إحراق كتب الفروع ورد الناس إلى الكتاب والسنة كان مقصداً وعزماً
لعبد المؤمن وابنه يوسف ، إلا أنهما لم يظهرالا ، وأظهره يعقوب بعدهما اه . وما ذكره
المؤلف هنا منقولا عن صاحب القرطاس . وكلام صاحب المعجب أولى بالاعتبار
لقربه من الزمن المذكور ومشاهدته لواقع .

وخمسمائة في أيام أبي محمد عبد المؤمن بن علي وبأمره ، وهذا أحد المصاحف الأربعة التي بعث بها عثمان رضي الله عنه الى الامصار : مكة ؛ والبصرة ؛ والكوفة ؛ والشام . وما قيل من أن فيه دم عثمان بعيد وان يكن أحدها فلعله الشامي .

قال ابن عبد الملك قال أبو القاسم التجيبي السبتي : « أما الشامي فهو باق بمقصورة جامع بنى أمية بدمشق ، وعائته هناك سنة سبع وخمسين وستمائة كما عاينت المكي بقبة الشراب » . قال : « فعلة الكوفي أو البصري »

قال الخطيب ابن مرزوق في كتاب المسند الصحيح الحسن : « اختبرت الذي بالمدينة والذي نقل من الاندلس ، فألفت خطهما سواء ؛ وما توهموه أنه خطه يمينه فليس بصحيح فلم يخط عثمان واحدا منها ؛ وانما جمع عليها بعضا من الصحابة كما هو مكتوب على ظهر المدني ، ونص ما على ظهره : هذا ما اجمع عليه جماعة من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، منهم زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير ، وسعيد بن العاص ؛ وذكر العدد الذي جمعه عثمان رضي الله تعالى عنه من الصحابة رضي الله عنهم على كتب المصحف » اهـ

وكان من خبر نقله الى مراکش ما ذكره ابن رشيد في رحلته عن أبي زكريا يحيى بن أحمد بن يحيى بن محمد بن عبد الملك بن طفيل القيسي عن كتاب جده الوزير أبي بكر محمد بن عبد الملك بن طفيل المذكور ، قال : « وصل الى عبد المؤمن ابناه السيدان أبو سعيد ، وأبو يعقوب من الاندلس ؛ وفي صحبتهما مصحف عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو الامام الذي لم يختلف فيه مختلف ، فتلقى وصوله بالاجلال والاعظام وبودر اليه بما يجب من التبجيل والاكرام .

وكان في وصوله ذلك الوقت من عظيم العناية وباهر الكرامة ما هو معتبر لاولى الالباب . وذلك ان أمير المؤمنين عبد المؤمن كان قبل ذلك بأيام قد جرى ذكره في خاطره ، وتروى مع نفسه في كيفية جلبه من مدينة قرطبة محل منواه القديم ، فتوقع أن يتأذى أهل ذلك القطر بفراقه ؛ ويستوحشوا

لفقدان اضاءته واشراقه ، فوقف عن ذلك فأوصله الله اليه تحفة سنية ؛ وهدية هنية ، دون أن يكدرها من البشر اكساب ؛ أو يتقدمها استدعاء أو اجتلاب . بل أوقع الله تعالى في نفوس أهل ذلك القنطرة من الفرح بارساله ، ما أطلع بالمشاهدة على صحة صدقه ، وعضدت محابيل برقه ، سواكب ودقه ؛ واعد ذلك من كرامات أمير المؤمنين عبد المؤمن وسعادته

ثم عزم عبد المؤمن على تعظيم المصحف الكريم وشرع في انتخاب كسوته و اختيار حليته ، فحشر الصناع الثقتين ممن كان بالحضرة وسائر بلاد المغرب والاندرلس ؛ فاجتمع لذلك حذاق كل صناعة من المهندسين والصواغين والنظاميين والحلائين والنقاشيين والمرصعين والنجارين والزواقين والرسميين والمجلدين وعرفاء البنائين ! ولم يبق من يوصف ببراعة ، أو ينسب الى الحذاق في صناعة ، الا أحضر للعمل فيه ؛ والاشتغال بمعنى من معانيه ؛ وبالجملة ، فقد صنعت له اغشية بعضها من السندس ؛ وبعضها من الذهب والفضة ، ورصع ذلك بانواع اليواقيت وأصناف الاحجار الغريبة النوع والاشكال العديمة المثال . واتخذ للغشاء محمل بديع مما يناسب ذلك في غرابة الصنعة وبداعة الصبغة .

واتخذ للمحمل كرسى على شاكلته ، ثم اتخذ للجميع تابوت يسان فيه على ذلك المنوال ! ووصف ذلك يطول .

رني خلال هذه المدة أمر عبد المؤمن ببناء المسجد الجامع بحضرة مراکش حرسها الله ، فبدىء بنيائه وتأسيس قبلته في العشر الاول من شهر ربيع الآخر سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة ، وكمل في منتصف شعبان من السنة المذكورة على أكمل الوجوه وأغرب الصنائع ، وأفسح المساحة ؛ وأحكم البناء والتجارة ، وفيه من شمسيات الزجاج ودرجات المنبر وسياج المقصورة ما لو عمل في السنين العديدة لاستغرب تمامه ؛ فكيف في هذا الامد اليسير الذي لم يتخيل أحد من الصناع أن يتم فيه تقديره وتخطيطه فضلا عن بنائه ! وصلت فيه صلاة الجمعة منتصف شعبان المذكور .

ونهب عبد المؤمن عقب ذلك لزيارة روضة المهدي بمدينة تينمال ، فأقام
 بها بقية شعبان ومعظم رمضان ، وحمل في صحبته المصحف العثماني في التابوت
 المذكور ، ومعه مصحف المهدي ؛ وختم القرآن العزيز في مسجد المهدي
 وعد. ضريحه حتمات كثيرة ، وعاد الى مراکش

ولم يزل الموحدون يعتنون بهذا المصحف الكريم ويحملونه في أسفارهم
 تبركين به كتابوت بني اسرائيل الى أن حمل منهم السعيد وهو علي بن ادريس
 ابن نفوس المنصور الملقب بالمتضد بالله حين توجه الى تلمسان ، آخر سنة
 خمس وأربعين وسبعمائة ، فقتل السعيد قريبا من تلمسان ؛ ووقع النهب في
 الخزانة ، واستولت العرب وغيرهم على معظم العسكر ؛ ونهب المصحف في
 وسبعمائة على يد بعض تجار آزموور ؛ واستمر في خزائنه الى أن سافر أبو
 خزانهم بها الى أن افتتحها السلطان الاعظم أبو الحسن المريني أواخر شهر
 جملة ما نهب منه ، وعثر عليه ملوك بني عبد الواد أصحاب تلمسان ؛ فلم يزل في
 خزائنتهم بها الى أن افتتحها السلطان الاعظم أبو الحسن المريني أواخر شهر
 رمضان سنة سبع وثلاثين وسبعمائة ، وحصل عنده فكان يتبرك به ويحمله في
 أسفاره على العادة الى أن أصيب في وقعة طريف وحصل في بلاد البرتغال ،
 وأعمل أبو الحسن الحيلة في استخلافه حتى وصل الى فاس سنة خمس وأربعين
 وسبعمائة على يد بعض تجار آزموور واستمر في خزائنه الى أن سافر أبو
 الحسن سفرته المعلومة الى افريقية فاستولى عليها .

ولما كانت سنة خمسين وسبعمائة ركب أبو الحسن البحر من تونس فانزلا
 الى المغرب ؛ وذلك في ابان هيجان البحر ؛ ففرقت مراكبه وهاكت نفوس تجل
 عن الحصر ؛ وضاعت نفائس يعز وجود مثلها ؛ ومن جملتها المصحف العثماني
 فكان ذلك آخر العهد به .

وما يناسب ذكره هنا المصحف العقباني ، وهو مصحف تقيبة بن نافع الفهري
 فأتى المغرب ؛ وكان متداولاً عند ملوكه ومبركا به وثاني المصحفين في المنزلة
 عند أهل المغرب .

قال أبو عبد الله اليفرنى فى كتاب النزاهة : « ان السلطان أباً العباس أحمد المنصور بالله المعروف بالذهبى لما جدد ولاية العهد لولده المامون بعث اليه بالفدوم من مدينة فاس ؛ فوافاه بتماسناً ؛ وبأشر المنصور أخذ البيعة له بنفسه وحضر الاعيان وأهل العقد والحل ؛ وأحضر المصحف الكريم الذى هو مصحف عقبة بن نافع الفهرى رضى الله عنه » قال : « وهو من ذخائر الخلفاء . وأحضر الصحيحان للشيخين ؛ وقرىء ظهر البيعة وذلك فى شوال سنة اثنتين وتسعين وتسعمائة . ولم يزل المصحف العقبانى متداولاً بين الملوك السعديين الى أن انقرض دولتهم وجاءت الدولة الشريفة العلوية السجلماسية فانتقل المصحف المذكور اليها . وتداولته ملوكها الى أن جاء السلطان المولى عبد الله ابن اسمعيل بن الشريف رحمه الله ؛ فبعث هدية سنوية مع ركب الحاج للحرم النبوى ؛ وبعث فى جملتها المصحف المذكور . »

قال صاحب البستان : « ولما سافر الركب النبوى يعنى سنة خمس وخمسين ومائة وألف وجه معه السلطان المولى عبد الله ثلاثة وعشرين مصحفاً - بين كبير وصغير - كلها محلاة بالذهب ؛ منبثة بالدر والياقوت ؛ ومن جملتها المصحف الكبير العقبانى الذى كان الملوك يتوارثونه بعد المصحف العثمانى ؛ وهو مصحف عقبة ابن نافع الفهرى نسخه بالقيروان من المصحف العثمانى ؛ فوقع هذا المصحف بيد الاشراف الزيدانيين يتداولونه بينهم الى أن بلغ الى السلطان المولى عبد الله المذنب نور فغربه من المغرب الى المشرق ؛ ورجع الدرالى حذفه والابريز الى معدنه قال الشيخ المسناوى : « وقد وقفت عليه حين أمر السلطان المولى عبد الله بنوجيهه الى الحجرة النبوية ؛ وظهر لى أن تاريخ كتبه بالقيروان فيه نظر لبعده ما بينهما » .

ورجه معه السلطان المذكور ألفى حصة بالثنية وسبعمائة حصة من الياقوت المختلفة الالوان الى الحجرة النبوية على الخيال بها أفضل الصلاة وأزكى السلام . وهذه الاخبار وإن كانت متباعدة التأريخ فهى متناسبة المعنى ؛ جمعاً هنا لتقف الناظر عليها فى محل واحد وتحصل فائدتها متناسقة . والله الموفق .

نكبة الوزير ابن عطية والسبب فيها

كان الوزير أبو جعفر أحمد بن عطية من أهل مراکش وأصله القاييم من
طرطوسة ؛ ثم بعد من دانية .

وكان أبوه أبو أحمد بن عطية كاتباً لأمير المسلمين علي بن يوسف اللمتوني .
ثم لابنه تاشفين من بعده ؛ وتحصل في قبضة الموحدين فعفا عنه عبد المؤمن .
ولما حاصر عبد المؤمن فاساً اعترم أبو أحمد هذا الفرار فقبض عليه في
طريقه ؛ وسيق إلى عبد المؤمن فاعتذر ؛ فلم يقبل عبد المؤمن عذره . وسحب
إلى مصرعه فقتل رحمه الله .

وكان ابنه أبو جعفر صاحب الترجمة كاتباً لاسحاق بن علي اللمتوني بمراكش
ففساه عفو أمير المؤمنين فيمن شمله من ذلك القل .

وخرج في جملة الشيخ أبي حفص الهنتاتي حين نهض لقتال محمد بن هود
الماضي .

فلما كان الفتح وكتب رسالته المتقدمة وقف عليها عبد المؤمن فاستحسبها
واستكبه لذلك . ثم ارتفعت مكانته عنده فاستوزره ؛ فظهر غناؤه وكفايته ؛
رحمته سيرته وإدارته ؛ وقاد العساكر وجمع الأموال وبذلها ؛ وبعد من الدولة
صيته ؛ ونال من الرتبة عند السلطان ما لم يناله أحد في دولته ؛ وتجب إلى الناس
باجتهال السعي والاحسان ؛ فعمت ضائعه وفشا معروفه . وكان محمود السيرة
مبخت المحاولات ؛ ناجح المساعي ؛ سعيد المآخذ ميسر المأرب . وكانت وزارته
زينا الموقت ؛ وكاملاً للدولة رحمه الله .

ثم لما كانت سنة إحدى وخمسين وخمسمائة وفد أشياخ اشبيلية على عبد المؤمن
ورغبوا منه في ولاية بعض أبنائه عليهم ، فعقد لابنه السيد أبي يعقوب عليها ؛
وبعث معه الوزير ابن عطية المذكور لمباشرة الأمور وإصلاح الأحوال ، فأغنى في
ذلك الغناء الجميل .

ولما غاب وجهه عن الحضرة وجد حساده السبيل إلى التدبير عليه وانسعى

به ، حتى أوغروا صدر الخليفة عليه ؛ فاستوزر عبد السلام بن محمد الكومي ؛
وانبرى لمطالبة ابن عطية وجد في التماس عوراته ؛ وتشنيع سقطاته ، وطرح
بمجلس السلطان أبيات منها :

قل للامام أطال الله مده قولا تبيين لذي لب حقائقه
ان الزراجين سوم قد وترتهم وطالب النار لم تؤمن بوائقه
وللوزير الى آرائهم ميل نذاك ما كترت فيهم علائقه
فبادر الخزم نبى اطفاء نارهم فربما عاق عن أمر عوائقه
هم العدو ومن والاهم كههم فاحذر عدوك واحذر من يعاديه
الله يعلم أنى ناصح لكم والحق أبلج لا تخفى طرائقه

قالوا فلما وقف عبد المؤمن على هذه الابيات البليغة في معناها وغر صدره
على وزيره أبى جعفر وأضر له فى نفسه سرا ، فكان ذلك من أقوى أسباب
نكته وقيل أفضى اليه بسر فأفشاء .

واتهى ذلك كله الى أبى جعفر وهو بالاندلس قلق وعجل الانصراف
الى مراکش ، فحجب عنده قومه ؛ ثم قيد الى المسجد فى اليوم بعده حاسر
العمامة واستحضر الناس على طبقاتهم ؛ وقرروا على ما يعلمون من أمره وما
صار اليه منهم ؛ فأجاب كل بما اقتضاه هواه ؛ وأمر بسجنه ولف معه أخوه
أبو عقيل عطية ؛ وتوجه فى أثر ذلك عبد المؤمن الى زيارة تربة المهدي ؛
فاستصحبهما بحال ثقاف .

وصدر عن أبى جعفر فى هذه الحركة من لطائف الآداب نظما ونثرا فى
سبيل التوسل بتربة امامهم المهدي عجائب ؛ فلم نجد شيئا مع نفود الله تعالى
تعالى فيه .

ولما انصرف من وجهته أعادهما معه فأفلا الى مراکش ؛ فلما حاذى
تاكمارت أنفذ الامر بقتلهما بالشعراء المتصلة بالحصن على مقربة من الملاحة
هنا لك ؛ فمضيا لسبيلهما وذلك فى شوال سنة ثلاث وخمسين وخمسمائة .
ومما خاطب به الوزير المذكور عبد المؤمن مستعظما له من رسالة من

رسالة تعالى فيها فغاله المنية ؟ ولم ينل الامنية ؟ وهذه سنة الله تعالى فيمن لا يحترم جناب الالوهية ، ولم يحرس لسانه من الوقوع فيما يخدش في وجه فضل الانبياء على غيرهم ؟ قوله سامحه الله : « بالله لو أحاطت بي كل خطية ، ولم تنفك نفسي عن الحيرات بطية ؟ حتى سخرت بمن في الوجود ؟ وأنفت لآدم من السجود ؟ وقلت ان الله تعالى لم يوحى في الفلك الى نوج وأيرمت لحطب نار الخليل جبلا ؟ وبريت لقدار نمود نبلا ؟ وحططت عن يونس شجرة اليقطين ، وأوقدت مع هامان على الطين ؛ وقبضت قبضة من أنر الرسول فنبذتها ؛ وافترت على العذراء البتول فقذفها ؛ وكبت صحيفة القطيعة بدار الندوة ، وظهرت الاحزاب بالقصوى من العدو ؛ وأبغضت كل قرشى ؛ وأكرمت لاجل وحشى كل حبشى ؛ وقلت ان بيعت السقيفة ، لا توجب امامة الخليفة ؛ وشحذت شفرة غلام المغيرة بن شعبه ، واعتلقت من حصار الدار وقتل أشمطها بشعبة ؛ وقتل تقاتلوا رغبة في الابيض والاصفر ، وسفكوا الدماء على التريد الاعفر ؛ وغادرت الوجج من الهامة خضيا ؛ وناولت من قرع سن الحسين قضيا ، ثم أتيت حضرة المعصوم لائدا ؛ وبقبر الامام المهدي عائدا ، لاذن لمقاتلي أن تسمع ؛ وتغفر لي هذه الخطيئات ، أجمع ، مع أنى مقترف ؛ وبالذنب معترف .

فغفوا أمير المؤمنين فمن لنا * بحمل ذنوب هدها الخفقان
والسلام على المقام الكريم ، ورحمة الله تعالى وبركاته .

وكتب مع ابن له صغير آخرة :

| | |
|------------------------------|------------------------------|
| عظفا علينا أمير المؤمنين فقد | بان الغزاء لفرط البث والحزن |
| قد أغرقتنا ذنوب كلها لجاج | ورحمة منكم أنجى من السفن |
| وصادفنا سهام كلنا غرض | وعطفة منكم أوفى من الجنن |
| هيئات للمخلب أن تسلو حوادته | بمن أجارته رحماكم من المحن |
| من جاء عندكم يسعى على ثقة | بنصره لم يخف بطشا من الزمن |
| فائتوب يطهر عند الغسل من درن | والطرف يرهص بعد الركض في سنن |

أنتم بذلتهم حياة الخلق كلهم من دون من عليهم لا ولا آمن
ونحن من بعض من أحيت مكاركم كلنا الحياتين من نفس ومن بدن
وصيبة كفراخ الورق من صفر لم يألفوا النوح في فرع ولا فنن
قد أوجدتهم أيا. منك سابقه والكل لولاك لم يوجد ولم يكن
فوقع عبد المؤمن على هذه القصيدة : الآن وقد عصيت قبل وكنت من
المفسدين !

ومما كتب به من السجن :
أنوح على نفسي أم أنتظر الصفحا؟ فقد آن أن تنسى الذنوب وأن تحي
فها أنا في ليل من السخط حائر ولا اهتدى حتى أرى للرضا صباحا!
وامتحن عبد المؤمن الشعراء بهجو ابن عطية ، فلما أسمعوه ما قالوا أعرض
عنهم وقال : « ذهب ابن عطية وذهب الأدب معه » .

وكان لابي جعفر أخ اسمه عطية قتل معه كما قلنا ؛ ولعطية هذا ابن أديب
كاتب ، وهو أبو طالب عقيل بن عطية ؛ ومن نظمه في رجل تعشق فينة كانت
ورثت مالا من مولاها فكانت تنفق عليه منه ؛ فلما فرغ المال ملها . فقال
أبو طالب :

لا تلحه ان مل من جها فلم يكن ذلك عن ود
لما رآها قد صفا ما لها قال صفا الوجد مع الوجد !
ويروى ان الوزير ابن عطية رحمه الله مر مع الخليفة عبد المؤمن ببعض
طرق مراکش فأطلت جارية بارعة الجمال من شبك فقال عبد المؤمن :
قدت فسوادي من الشباك اذ نظرت
فقال الوزير مجيزا له :

حوراء ترنو الى العشاق بالمقل

فقال عبد المؤمن :

كأنما لحظها في تلب عاشقها

فقال الوزير : سيف المؤيد عبد المؤمن بن علي

ولا خفاء أن هذه طبقة عالية ، رحم الله الجميع بمنه .

غزو افريقية ثانيا وفتح المهديّة وغيرها من الثغور

كانت بلاد افريقية بيد بنى زيرى بن مناد الصنهاجيين من لدن الدولة العبيدية بها . وفى هذا التاريخ كانت دولتهم قد أشرفت على الهرم ، وكثر التنازع بينهم وزاحمتهم الثوار من العرب وغيرهم بتلك الأقطار، فانتهم الفرنج أصحاب صقلية الفرصة فيهم وملكوا منهم عدة ثغور مثل صفاقس وسوسة وغيرهما . ثم ملكوا بعد ذلك المهديّة وهى يومئذ دار ملك الحسن بن على الصنهاجى آخر ملوك بنى زيرى بن مناد ، ففر الحسن عنها الى ابن عمه يحيى بن العزيز صاحب بجاية فأنزله بالجزائر .

ولما طرق عبد المؤمن ثغر الجزائر فى غزوته الاولى الى افريقية خرج اليه الحسن بن على هذا وصحبه وصار فى جملة ، فكان الحسن يغريه بغزو افريقية واستقاذاها من يد العدو .

وكان عبد المؤمن يحب ذلك ويرغب فيه الا أنه كان ينتظر ابان الفرصة . فاتفق أن فرنج صقلية أوقعوا بأهل زويلة - وهى مدينة بينها وبين المهديّة نحو ميدان - وقعة شنيعة ، حتى أنهم قتلوا النساء والاطفال ! ففر جماعة منهم الى عبد المؤمن بن على وهو بمراكش يستغيثونه ويستنصرونه على العدو . فلما وصلوا اليه أكرمهم وأخبروه بما جرى على المسلمين ، وأنه ليس فى ملوك الاسلام من يقصد سواه ، ولا يكشف هذا الكرب غيره ؛ فدمعت عيناه وأطرق ، ثم رفع رأسه وقال : « أبشروا لانصرتكم ولوبعد حين » وأمر بانزالهم وأطلق لهم ألفى دينار .

ثم أمر بعمل الروايا والقرب وما يحتاج اليه العسكر فى السفر ، وكتب الى جميع نوابه فى المغرب - وكان قد ملك العدوتين الانلس والمغرب واتسعت خطه مملكته الى قرب مدينة تونس - فكتب الى من بطريقه من النواب يأمرهم بحفظ جميع ما يتحصل من الغلات وأن يترك الزرع فى سبيله ويخزن فى مواضعه وأن يحفروا الآبار فى الطرق ؛ ففعلوا جميع ما أمرهم به ؛ وجمعوا

غلات الحب ثلاث سنين ؟ ونقلوها الى المنازل التي على الطريق ؟ وطنبوا عليها
فصارت كأنها تلال .

فلما كان صفر من سنة أربع وخمسين وخمسمائة سار عبد المؤمن من مراكش
يؤم بلاد افريقية .

وقال ابن خلدون : « كان عبد المؤمن في هذه السفارة قد عزم على العبور الى
الاندلس لما بلغه من اضطراب أحوالها واستطالة الطاغية بها ، فنهض يريد الجهاد .
واحتل بسلا فبلغه انتفاض افريقية ، وأحمد شأن النصارى بالمنهدية . فلما توافقت
العساكر بسلا استخلف الشيخ أبا حفص الهنتاني على المغرب ، وعقد ليوسف
ابن سليمان على مدينة فاس ، ونهض يفتد السير الى افريقية ؟ واجتمع عليه من
العساكر مائة ألف مقاتل ومن الاتباع والسوقة أمثالهم ، وكان هذا الجند
يمتد أميالا .

وبلغ من حفظه وضبطه أنهم كانوا يمشون بين الزروع فلا تتأذى بهم سنبلة
وإذا نزلوا صلوا بامام واحد بتكبيره واحدة ، لا يتخلف منهم أحد كائنا من كان .
وقدم بين يديه الحسن بن علي الصنهاجي صاحب المهديّة ، وكان قد اتصل به
كما قلنا ، فلم يزل يسير الى أن وصل الى مدينة تونس في الرابع والعشرين
من جمدي الآخرة من السنة ، وبها صاحبها أحمد بن خراسان ؛ وأقبل أسطوله
في البحر في سبعين شينا وطريدة وشلندا .

فلما نازلها راسل أهلها يدعوهم الى الطاعة فأمتنعوا . فقائلهم من الغد أشد
قتال . ولما جن الليل نزل سبعة عشر رجلا من أعيان أهلها الى عبد المؤمن
يسألونه الامان لاهل بلدهم ، فأجابهم عبد المؤمن بأن لهم الامان في أنفسهم
وأهلهم وأموالهم لمبادرتهم الى الطاعة ، وأما من عداهم من سائر أهل البلد
فيؤمنهم في أنفسهم وأهلهم ، ويقاسمهم على أموالهم وأملاكهم نصفين ! وأن
يخرج صاحب البلد هو وأهله . فاستقر الامر على ذلك وتسلم البلد ، وبعث اليهم
من يمنع العساكر من الدخول عليهم ، وبعث أمناءه ليقاسموا الناس على أموالهم
وأملاكهم ؛ وأقام أهل تونس بها على أجرة تؤخذ عن نصف مساكنهم ! وعرض

عبد المؤمن الاسلام على من بها من اليهود والنصارى فمن أسلم سلم ومن أبى قتل وأقام عليها ثلاثة أيام ثم سار الى المهديّة وأسطوله يحاذيه في البحر، فوصل اليها ثامن عشر رجب من السنة المذكورة، وكان بالمهديّة يومئذ خواص الفرنج من أولاد ملوكها وأبطال فرسانها، وقد أخذوا مدينة زويلة المجاورة للمهديّة فدخلها عبد المؤمن، وامتلات بالعساكر والسوقة؛ فصارت مدينة معمورة في ساعة واحدة؛ ومن لم يكن له موضع من العسكر نزل بظاهرها. وانضاف اليه من صنهجة والعرب وأهل افريقية ما يخرج عن الاحصاء، وأقبلوا يقاتلون المهديّة مدة أيام فلا يؤثر فيها لحصاتها وقوة سورها وضيق محال القتال عليها لان البحر دائر بأكثرها فكأنها كف في البحر، وزندها متصل بالبر؛ وكانت المرنج تخرج شجعانها الى أطراف العسكر، فتال منه ويعودون سريعا؛ فأمر عبد المؤمن ببناء سور غربي المدينة يمنعهم من الخروج، وأحاط الاسطول بها في البحر؛ وركب عبد المؤمن شينيا ومعه الحسن بن علي الذي كان صاحبها، وتطوف بها في البحر؛ فهاله ما رأى من حصاتها وعلم أنها لا تفتح بقتال برا ولا بحرا، وليس لها الا المطاولة وقال للحسن: «كيف نزلت عن مثل هذا الحصن!؟» فقال: «لقلّة من يوثق به، وعدم القوت؛ وحكم القدر، فقال: «صدقت!». وعاد عبد المؤمن من البحر وأمر بجمع الغلات والاقوات، وترك القتال؛ فلم يمض غير قليل حتى صار في المعسكر مثل الجبلين من الحنطة والشعير فكان من يصل الى المعسكر من بعيد يقول: «متى حدثت هذه الجبال؟» فيقال: «هي حنطة وشعير!»، فيتعجب من ذلك، وتمادى الحصار.

وفي مدة هذا الحصار استولى عبد المؤمن على طرابلس وشفافص وسوسة وجبل نفوسة وقصور افريقية وما والاها، وفتح مدينة قابس بالسيف؛ وسير ابنه السيد أبا محمد من مكان حصاره للمهديّة في جيش ففتح بلادا أخرى؛ ثم أطاعه أهل مدينة قفصة، وقدم عليه صاحبها فوصله بألف دينار. وبأجملة فانه استخلص في هذه المدة جميع بلاد افريقية من أيدي القائميين بها.

ولما كان الثاني والعشرون من شعبان من السنة المذكورة جاء اسطول صاحب

صقلية في مائة وخمسين شينا غير الطرائد ممدا لاهل المهديّة ، وكان هذا الاسطول قد قدم من جزيرة يابسة من بلاد الاندلس ، وقد سبى أهلها وأسرههم وحملهم معه ، فأرسل اليهم ملك الفرنج يأمرهم بالمسير الى المهديّة ليمدوا اخوانهم الذين بها ، فقدموا في التاريخ المذكور؛ فلما قاربوا المدينة حطوا شرعهم ليدخلوا الميناء فخرج اليهم أسطول عبد المؤمن ، وركب العسكر جميعه ، ووقفوا على جانب البحر؛ فاستعظم الفرنج ما رأوا من كثرة العساكر وداخل الرعب قلوبهم .

ونزل عبد المؤمن الى الارض فجعل يبرغ وجهه ويكي ويدعوا للمسلمين بالنصر واقتلوا في البحر ، فانهزمت شوانى الفرنج وأعادوا القلوع وساروا وتبعهم المسلمون فأخذوا منهم سبع شوانى ، وكان أمرا عجيبا وفتحاً غريبا . وعاد أسطول المسلمين مظفرا منصورا ، وفرق فيهم عبد المؤمن الاموال ويش أهل المهديّة حينئذ من النجاة ، ومع ذلك فقد صبروا على الحصار أربعة أشهر أخرى الى آخر ذى الحجة من السنة ، فنزل حينئذ من فرسان الفرنج الى عبد المؤمن عشرة وسألوا الامان لمن فيها من الفرنج على أنفسهم وأموالهم ليخرجوا منها الى بلادهم ، وكان قوتهم قد فنى حتى أكلوا الخيل ؛ فعرض عليهم عبد المؤمن الاسلام ودعاهم اليه ، فقالوا : « ما جئنا لهذا وانما جئنا نطلب فضلك » وترددوا اليه أياما .

وكان من جملة ما استعطفوه به أن قالوا : « أيها الخليفة ، ما عسى أن تكون المهديّة ومن بها بالنسبة الى ملكك العظيم وأمرك الكبير ، وان أنعمت علينا كنا أرقاء لك في أرضنا ! » فعفا عنهم - وكان الفضل سيئته - وأعطاهم سفنا ركبوا فيها وساروا وكان الزمن شتاء فغرق أكثرهم ، ولم يصل منهم الى صقلية الا النفر اليسير .

وكان صاحب صقلية قد قال : « ان تل عبد المؤمن أصحابنا بالمهديّة قتلنا المسلمين الذين عندنا بجزيرة صقلية وأخذنا حرمهم وأموالهم . فاعلمك الله الفرنج غرقا . »

وكان مدة استيلائهم على المهديّة اثنتي عشرة سنة . فدخلها عبد المؤمن
صبيحة يوم عاشوراء من المحرم سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، فكان يقال
لهذه السنة سنة الاخماس .

وأقام عبد المؤمن بالمهديّة عشرين يوما حتى رتب أحوالها وأصلح ما اتلم
من سورها ونقل إليها الذخائر والاقوات والرجال والعدد .

واستخلف عليها أبا عبد الله محمد بن فرج الكومي وجعل معه الحسن بن
علي الضهاجي الذي كان صاحبها ، وأمره أن يقتدى برأيه في أفعاله ؛ وأقطع
الحسن بها اقطاعا ؛ وأعطاه دورا نفيسة يسكنها وكذلك فعل بأولاده .

وصفت افريقية كلها لعبد المؤمن ودخل أهلها في طاعته من برقة الى
تلمسان ، ولم يبق له بها منازع ؛ ففرق فيها عماله وقضاته وضبط ثغورها
وأصلح شؤونها .

ومضى عنانه الى المغرب أول صفر من السنة المذكورة ، وانقطعت عادية
الفرنج عن بلاد افريقية مدة مديدة . والله تعالى أعلم .



توظيف عبد المؤمن الخراج على ارض المغرب

وفي هذه السنة أعنى سنة خمس وخمسين وخمسمائة أمر عبد
المؤمن بتكسير بلاد افريقية والمغرب ، فكسر من برقة في جهة الشرق
الى بلاد نول من السوس الأقصى في جهة الغرب بالفراسخ والاميال ،
طولا وعرضا . ثم أسقط في التكسير الثلث في الجبال والغياض والانهار
والسماخ والحزون والطرق ، وما بقي قسط عليه الخراج ، وألزم كل
قبيلة بقسطها من الزرع والورق ، فهو أول من أحدث ذلك في المغرب
عفا الله عنه .



بناء عبد المؤمن جبل طارق

كان عبد المؤمن رحمه الله - وهو بأفريقية - قد أمر ببناء جبل الفتح وتحصينه ، وهو جبل طارق ، فبنى وشيد حصنه . وكان ابتداء البناء به في تاسع ربيع الاول من سنة خمس وخمسين وخمائة المذكورة ، وكمل بناؤه في ذى القعدة منها .

بناء عبد المؤمن مدينة البطحاء

لما كان عبد المؤمن قافلا من بلاد افريقية بنى مدينة البطحاء ، وسبب بنائه اياها أنه لما طالب بالموحدين الإقامة بالمشرق والتغرب عن أوطانهم عزم طائفة منهم على قتل عبد المؤمن والفتك به في خبائه اذا نام فأتى شيخ من أشياخ الموحدين ممن أطلع على ذلك الى عبد المؤمن فأخبره الخبر ، وقال له : « دعنى أبت الليلة في موضعك وأتم على فراشك ، فإن نعلوا ما اتفقوا عليه كنت قد فديتك بنفسى في حق المسلمين وأجرى فى ذلك على الله ! وان حصلت السلامة فمن الله تعالى ، ويكون أجرى على قدر نيتى ! » فبات على فراشه ، فاستشهد في تلك الليلة . فلما أصبح عبد المؤمن وصلى الصبح افتقده فوجده قتيلا على فراشه ، فأخذه وحمله بين يديه على ناقه لا يقودها أحد ، فسارت الناقة يمينا وشمالا حتى بركت وحدها ، فأمر عبد المؤمن بالشيخ فأنزل عنها ، وأخذ بزمام الناقة فأزبلت عن مبركها ، وحفر قبره فيه ودفن ، وبنيت عليه قبة ، وبنى بازاء القبة جامعا .

ثم أمر ببناء المدينة حول المسجد ، وترك بها عشرة أهل بيت من كل قبيلة من قبائل المغرب ، فقبر الشيخ هنالك مزاراة عند أهل تلك البلاد الى اليوم قاله فى القرطاس .

ولما دخل عبد المؤمن الى تلمسان في هذه الرجعة قبض على وزيره
عبد السلام بن محمد الكومي فسجنه ثم سمه في جرعة لبن هلك بها من
ليلته .

عبور عبد المؤمن الى جبل طارق والسبب في ذلك

كان عبد المؤمن - وهو بافريقية - قد بلغه أن محمد بن مردنيش
النائر بشرق الاندلس قد خرج من مرسية ونازل جيان ، وأطاعه واليها محمد
ابن علي الكومي ، ثم نازل بعدها قرطبة ورحل عنها ، وغدر بقرمونة وملكها
ثم رجع الى قرطبة وخرج ابن يكيث لحربه فهزمه ابن مردنيش وقتله .

فكتب عبد المؤمن الى عماله بالاندلس يخبرهم بفتح افريقية عليه وانه
واصل اليهم . فلما نهض من تلمسان في رجعة هذه عدل الى طنجة فدخاها
في ذي الحجة سنة خمس وخمسين وخمسمائة ، وأقام بها الى أن دخلت
سنة ست وخمسين بعدها ، فعبّر منها الى الاندلس ونزل بجبل طارق فأقام
به شهرين ، واستشرف منه أحوال الاندلس ، ووفد عليه قوادها وأشياخها
فأمر بغزو غرب الاندلس ، فنهض اليه الشيخ أبو محمد عبد الله بن أبي
حفص الهنتاتي من قرطبة في جيش كثيف من الموحدون ، ففتح حصن
المرنكس من أحواز بطليوس وقتل جميع من كان به من النصارى ، وخرج
الفتن من دليظة لاغاته فوجده قد فتح . وصمد الموحدون لقتاله فهزمه
الله ، وقتل من عسكره ستة آلاف ، وساق المسلمون السبي الى قرطبة
واشبيلية .

وفي هذه السنة ملك الموحدون بطليوس ، وباجة ، وبابورة ؛ وحصن
القصر ؛ فولى عليها عبد المؤمن محمد بن علي بن الحاج وعاد الى مراکش .

قدوم كومية قبيلة عبد المؤمن عليه بمراكش والسبب في ذلك

تقدم لنا أن عبد المؤمن لم يكن من المصامدة ، وإنما كان من كومية
أحدى بطون بنى فاتن من البرابرة البتر ، وكانت مواطنهم بالمغرب
الأوسط ، الى أن استدعاهم عبد المؤمن الى مراكش سنة سبع وخمسين
وخمسمائة .

والسبب في ذلك أنه لما همت الطائفة من الموحدين بقتله وقتلوا
الشيخ الذي فداه بنفسه وتحقق ذلك منهم ورأى أنه غريب بين أظهرهم
ليس له قبيل يستند اليه ، ولا عشير يثق به ويعتمد عليه ، أرسل في خفية
الى أشياخ كومية الذين هم قبيلته وعشيرتهم ، وأمرهم بالقدوم عليه وأن
يركبوا كل من بلغ الحلم منهم ، ويأتوه في أحسن زى وأكمل عدة ، وسرب
اليهم الاموال والكسي ؟ فاجتمع منهم أربعون ألف فارس ، ثم أقبلوا الى
عبد المؤمن - وهو بمراكش - برسم خدمته ، والقيام بين يديه .

ولما دخلوا أرض المغرب تشوش أهله من قدوم هذا الجيش الخفيل ،
من غير أن يتقدم لهم سبب ظاهر ، وتقول الناس الاقاويل ، فسار جيش
كومية حتى نزلوا على وادي أم الربيع ، وتسامع الموحدون بأقبالهم فارتابوا
منهم ، وعرفوا أمير المؤمنين عبد المؤمن بخبرهم ، فأمر عبد المؤمن الشيخ
أبا حفص الهنتاني أن يخرج اليهم في جماعة من الموحدين وأشياخهم
ليتعرفوا خبرهم ، فسار حتى لقيهم على وادي أم الربيع فقال لهم : « ما
أتم أسلم لنا أم حرب ؟ » قالوا : « بل نحن سلم ، نحن قبيل أمير المؤمنين ،
نحن كومية قصدنا زيارته والسلام عليه . » فرجع أبو حفص وأصحابه
وعرف عبد المؤمن الخبر ، فأمر جميع الموحدين أن يخرجوا الى لقاءهم
فعلوا واحتفلوا لذلك .

وكان يوم دخولهم مراكش يوما مشهودا ، فرتبهم عبد المؤمن في
الطبقة الثانية من أهل الديوان ، وجعلهم بين قبيلة تينملل والقبيلة السابعة

لهم ، وجعلهم بطاتته يركبون خلف ظهره ويمشون بين يديه اذا خرج
ويقومون على رأسه اذا جلس ، فاعتضد بهم عبد المؤمن وبنوه سائر دولتهم
الى انقراضها . والله غالب على أمره .



استعداد عبد المؤمن للجهاد

وإنشاء الاساطيل بسواحل المغرب وما يتبع ذلك من وفاته رحمه الله

لما تمهد لعبد المؤمن ملك المغربين وافريقية والاندلس وطاعت له
سائر الاقطار وخضعت له الرقاب في البوادي والامصار تفرغ لشأنه ، وتاقت
نفسه للجهاد ، فعزم على غزو بلاد الفرنج برا وبحرا ، فأمر رحمه الله في
هذه السنة التي هي سنة سبع وخمسين وخمسمائة بإنشاء الاساطيل في
جميع سواحل ممالكه ، فأُنشئ له منها أربعمائة قطعة ، فمنها بحلق المعمورة
وهي التي تسمى اليوم المهدية ؛ مائة وعشرون قطعة ، ومنها بطنجة وسبته
وباديس ومراسي الريف مائة قطعة ؛ ومنها بلاد افريقية ووهران ومرسى
هنين مائة قطعة ، ومنها بلاد الاندلس ثمانون قطعة .

ونظر في استجلاب الحيل للجهاد والاستكثار من أنواع السلاح
والعدد ، وأمر بضرب السهام في جميع عمله ، فكان يضرب له منها في كل
يوم نحو عشرة قناطير جديدة ! فجمع له من ذلك مالا يحصى كثرة ، وفي
حلال هذا وفدت عليه قبيلة كومية كما مر .

ثم لما دخلت سنة ثمان وخمسين وخمسمائة خرج أمير المؤمنين عبد
المومن من مراکش قاصدا الاندلس برسم الجهاد ، وكان خروجه يوم
الخميس خامس ربيع الاول من السنة المذكورة ، فوصل الى رباط سلا
فكتب الى جميع بلاد المغرب والقبلة وافريقية والسوس وغير ذلك يستنفرهم
الى الجهاد ، فأجابه خلق كثير ، واجتمع له من عساكر الموحدين والمرتزقة

ومن قبائل العرب والبربر وزناتة أزيد من ثلاثمائة ألف فارس ! ومن جيوش المتطوعة ثمانون ألف فارس ، ومائة ألف راجل ! فضافت بهم الأرض وانتشرت المحلات والعساكر في أرض سلا ، من عين غبولة الى عين خميس ؛ الى حلق المعمورة .

فلما استوفيت لديه الحشود ، وتكاملت لديه الجنود والوفود ؛ كان المعنى الذي أشار الله القائل :

اذ تم أمر بدأ نقصه ترقب زوالا اذا قيل تم

فابتدأ بعبد المؤمن مرضه الذي توفي منه ، وتمادى به ألمه فخاف أن يفجأه الحمام فأمر بعزل ولده محمد عن ولاية العهد واسقاط اسمه من الخطبة ، لما ظهر له من العجز عن القيام بأمر الخلافة .

وكان ذلك يوم الجمعة الثاني من جمادى الآخرة من السنة المذكورة وكتب بذلك الى جميع طاعته . وتمادى به مرضه واشتد ألمه فتوفي ليلة الجمعة الثامن من جمادى الآخرة من السنة المذكورة وقيل غير ذلك ، وحمل الى تينمال فدفن بها الى جنب قبر الامام المهدي رحمه الله ، فسبحان من لا يبدي ملكه ولا ينقضى عزه .

ونقل ابن خلكان في كيفية عزل ولي العهد وجها (١) آخر ، قال نقلا من خط العماد بن جبريل : « أن عبد المؤمن كان في حياته عهد الى أكبر أولاده ، وهو محمد ؛ وبايئه الناس بعد تحليف الجند له ، وكتب بيعته الى البلاد ؛ فلما مات عبد المؤمن لم يتم له الامر ، لانه كان على أمور لا يصلح معها للمملكة ؛ من ادمان شرب الخمر ، واختلال الرأي ، وكثرة الطيش ؛ وجبن النفس . ويقال أنه مع هذا كله كان به ضرب من الجذام . واضطرب أمره واختالف الناس عليه فخلع . وكانت مدة ولايته خمسة وأربعين يوما ، وذلك في شعبان من سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ، وكان

(١) على هذا الوجه اقتصر صاحب المعجب طبع سلا صحيفة ١٤٢ . والرجع الاول

ذكره صاحب القرطاس وابن الاثير في تاريخه جزء ١١ صحيفة ١١٧ .

الذى سعى فى خلقه أخويه أبا يعقوب يوسف وأبا حفص عمر ابنى عبد
المؤمن ، ولما تم خلقه دار الامر بين الاخوين المذكورين ، وهما من نجباء
اولاد عبد المؤمن ومن ذوى الراى فتأخر منهما أبو حفص عمر ، وسلم
الامر الى أخيه أبى يعقوب يوسف ، فبايعوه الناس واتفقت عليه الكلمة .
والله تعالى أعلم .

بقية اخبر — ار عبد الم — مؤمن وسيرته — ه

قال ابن خلكان : « كان عبد المؤمن عند وفاته شيخا نقى البياض ،
قال : « ونقلت من تاريخ فيه سيرته وحليته فقال مؤلفه رأيت شيخا معتدل القامة
عظيم الهامة ، أشهل العينين ، كث اللحية ، شثن الكفين ؛ طويل القعدة ؛
واضح بياض الاسنان ؛ بخذه الايمن خال » .

وكان رحمه الله نصيحاً فقيها عالماً بالاصول والجدل والحديث مشاركاً
فى كثير من العلوم الدينية والديبوبة ، ذا حزم وسياسة واقدام فى الحرب
ومهمات الامور ، سرى الهمة ؛ ميمون النقية ، لم يقصد قط بلدا الا فتحه ،
ولا جيشاً الا هجمه . محباً لاهل العلم والادب ، مكرماً لوفادتهم ؛ منفقاً
لبضاعتهم . ذكر العماد الاصبهانى فى كتاب الخريدة أن الفقيه أبا عبد الله
محمد بن أبى العباس التيفاشى لما أنشده :

ما هز عطفه بين البيض والاسل مثل الخليفة عبد المؤمن بن على

أشار عليه أن يقتصر على هذا البيت ؛ وأمر له بألف دينار

وقد تقدم ما دار بينه وبين وزيره ابن عطية من الشعر الذى تجاذباه
فى أمر الجارية التى أطلت من الشباك ، وذلك دليل على سراوة طبعه ،
وخفة روحه . رحمه الله .

الخبر عن دولة أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن بن علي

قال ابن خلدون : « لما هلك عبد المؤمن اخذ السيد أبو حفص بن عبد المؤمن البيعة على الناس لآخيه أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن باتفاق من الموحدين كافة ، ورضى من الشيخ أبي حفص الهنتاني خاصة ؛ واستقل في رتبة وزارته ،

وذكر القاضي أبو الحجاج يوسف بن عمر مؤرخ دولتهم أن أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن بويح بيعة الجماعة يوم الجمعة ثامن ربيع الاول سنة ستين وخمسائة ، وذلك بعد وفاة والده عبد المؤمن بستين ؛ لانه لما بويح بعد وفاة والده توقف عن بيعته ناس من أشياخ الموحدين ، وامتنع من بيعته أخواه : السيد أبو محمد صاحب بجاية ، والسيد أبو عبد الله صاحب قرطبة ؛ فكف عنهم ، ولم يطالبهم ببيعته ، وتسمى بالامير ؛ ولم يتسم بامير المؤمنين حتى اجتمع عليه الناس .

وذكر ابن مطروح في تاريخه انه لما مات عبد المؤمن كان والده يوسف باشيلية ، فأخفى أصحابه موته ، وأرسلوا الى يوسف ؛ فوصل من أشيلية الى سلا في أقرب وقت فبويح بها ولم يتخلف عن بيعته الا ناس قليلون ، فلم يلتفت اليهم .

وكان أول شيء فعله بعد البيعة أن سرح الجيوش المجتمعمة للجهاد الى بلادهم وقبائلهم ؛ وكتب الى البلاد بتسريح المساجين وتفريق الصدقات في جميع عمله ، وتسمى بالامير ، ثم ارتحل الى مراکش فدخلها وأقام بها ؛ وكتب الى جميع أهل طاعته من الموحدين يطلبهم بالبيعة ، فأنته البيعة من جميع بلاد افريقية والمغرب والاندلس ؛ ما خلا قرطبة وبجاية ، فان ولانها وهما أخواه توقفوا عن ذلك ؛ وانتشر خبر أمير المؤمنين يوسف في أقطار البلاد ، وأدان له من بالعدوتين من العباد ؛ وفرق الاموال في القبائل والاجناد .

وفي سنة تسع وخمسين وخمسمائة قدم عليه أخواه السيد أبو محمد صاحب بجاية ، والسيد أبو عبد الله صاحب قرطبة تائبين مبايعين ؛ وقدم معهما أشياخ بلديهما ، وفقهائهما ، فوصلهم أمير المؤمنين يوسف بالاموال والخلع ، وأحسن اليهم .

وفي هذه السنة نار مرزدغ الصنهاجي من صنهاجة مفتاح . وضرب السكة باسمه . وكتب فيها « مرزدغ الغريب ، نصره الله عن قريب . » وكانت ثورته ببلاد غمارة ، فبايعه خلق كثير من غمارة وصنهاجة وأوربة ، فأفسد تلك الناحية ودخل مدينة تازا وقتل بها خلقا كثيرا وسبى ، فبعث اليه أمير المؤمنين يوسف جيشا من الموحديين ، فقتل وحمل رأسه الى مراکش

وفي سنة ستين وخمسمائة كانت وقعة الجلاب بالاندلس بين السيد أبي سعيد بن عبد المومن وجيوش الفرنج مع ابن مردنيش ، وكانت الفرنج ثلاثة عشر ألفا ، فهزم ابن مردنيش وقتل من معه من الفرنج بأجمعهم ، وكتب السيد أبو سعيد بالفتح الى أخيه أمير المؤمنين يوسف .

وفي سنة احدى وستين وخمسمائة عقد أمير المؤمنين يوسف على بجاية لأخيه السيد أبي زكرياء ، وعلى اشيلية للشيخ أبي عبد الله محمد بن ابراهيم ، ثم أدال منه بأخيه السيد أبي ابراهيم ، وأقر الشيخ أبي عبد الله على وزارته ؛ وعقد على قرطبة لأخيه السيد أبي اسحق ، وأقر السيد أبا سعيد على غرناطة .

ثم نظر الموحدون في وضع العلامة المكتوبة بخط الخليفة فاختراروا : « الحمد لله وحده » لما وقفوا عليها بخط الامام المهدي في بعض مخاطباته ، فكانت علامتهم الى آخر دولتهم . والله أعلم



ثورة سبع بن منغفاد بجبال غمارة



وفى سنة احدى وستين وخمسمائة نار سبع بن منغفاد ، وسماه ابن
أبى زرع يوسف بن منغفاد بجبل تيزيران من بلاد غمارة . وعظمت الفتنة
فى قبائلها ، وجاذبهم فيها جيرانهم من سنهاجة ، فبعث اليهم أمير المؤمنين
يوسف بن عبد المومن عساكر الموحدين ، الى نظر الشيخ أبى حفص
الهناتى ، ثم تعاطمت فتنة غمارة وسنهاجة . فخرج اليهم أمير المؤمنين
بنفسه وأوقع بهم واستأصلهم ، وقتل سبع بن منغفاد وحمل رأسه الى
مراكش وانحسم داؤهم ؟ وعقد يوسف لاخته السيد أبى على الحسن على
سبته وسائر بلادهم .

وفى سنة ثلاث وستين اجتمع الموحدون على تجديد البيعة ليوسف
بن عبد المومن واللقب بأمير المؤمنين ، وذلك فى جمادى الآخرة منها ،
وخطب العرب بأفريقية يستدعيهم الى الغزو ويحرضهم . وكتب اليهم فى
ذلك بقصيدة ورسالة مشهورة بين الناس ؛ فكان من احتفالهم ووفودهم عليه
ما هو معروف .

وفى سنة أربع وستين بعدما وفد عليه أهل الامصار من أفريقية
والغرب والاندلس : القضاة والفقهاء والخطباء والشعراء والاشياخ والاعيان
برسم التهنئة والمطالعة بأحوال بلادهم ، فوصلت الوفود الى مراكش ؛
فدخلوا عليه وهنؤوه بالخلافة ؛ ووصل الجميع كل على قدره ، وأوصاهم بما
أقتضاه الحال . وكتب لهم الفهائير بمطالبهم واصلاح شؤونهم ، وانصرفوا
شاكرين .

وفى هذه السنة أيضا بعث أمير المؤمنين الشيخ أبى حفص الهناتى فى
جيو ش الموحدين الى الاندلس لاستتقاد بطليوس من حصار العدو ، واحتفل
أمير المؤمنين فى ذلك فلما انتهوا الى اشيلية بلقه أن الموحدين وأهل بطليوس
هزموا العدو وأسروا قائد جيشه ، فسار الشيخ أبو حفص الى فرطبة .

وفي سنة خمس وستين بعدها وجه يوسف بن عبد المؤمن أخاه السيد
أبا حفص الى الاندلس برسم الجهاد ، فعبر البحر من قصر المجاز الى طريف
في عشرين ألفا من الموحدين والمتطوعة ، فدخلوا بلاد العدو . وبعث السيد
أبو حفص أخاه السيد أبا سعيد الى بطليوس ؛ فعقد الصلح مع الطاغية ابن
اذفونش - وهو يومئذ أعظم ملوك فرنج الجزيرة - وانصرف ، ونهضوا
جميعا الى مرسية ومعهم ابراهيم بن همشك كان من قواد ابن مرديش فنزع
عنه الى الموحدين فحاصروا ابن مرديش التائر بمرسية وأعمالها ، واستولوا
على أكر بلادها ، واتصل الخبر بالخليفة بمراكش وقد خف الى الجهاد .

وفي سنة ست وستين أمر أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن ببناء
قنطرة تاسيفت (١) وكان الشروع في بنائها يوم الاحد ثالث صفر من
السنة المذكورة .



الجواز الاول لامير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن

الى الاندلس بقصد الجهاد

لما اتصل بأمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن ما اتفق لشقيقه السيد
أبي حفص من الاستيلاء على غالب بلاد ابن مرديش ، وظهور المسلمين على
عدوهم بها ، وكان بعض ملوك الفرنج بها لم يزالوا يشغبون على المسلمين
بالغارات على أطراف بلادهم ، تأقت نفسه الى العبور الى بلاد الاندلس بقصد
اصلاح حالها وجهاد العدو بها ؛ وقد توافقت لديه وهو بمراكش جموع
العرب من افريقية صحبة السيد أبي زكريا صاحب بجاية ، والسيد أبي
عمران صاحب تلمسان .

(١) جاء في كتاب الروض المعطار أن علي بن يوسف بن تاشفين اللمتوني كان قد
بنى قنطرة تاسيفت وأن السيل أتى بعد ذلك فهدمها .

وكان يوم قدومهم عليه يوما مشهودا ، فاعترضهم وسائر عساكرهم ،
 ونهض الى الاندلس في مائة ألف من العرب والموحدين ، واستخلف على
 مراكش أخاه السيد أبا عمران ، فاحتل بقرطبة سنة سبع وستين وخمسمائة
 ثم ارتحل بعدها الى اشبيلية ولقبه السيد أبو حفص هناك منصرفا من بعض
 غزواته .

ولما نزل أمير المؤمنين يوسف باشبيلية خافه محمد بن مردنيس ،
 وحمل على قلبه فمرض ومات ! وقيل أن أمه سمته لانه كان قد أساء الى
 خواصه وكبراء دولته ، فصحته فتهددها ، وخافت بطشه فسمته ! ولما مات
 محمد بن مردنيس جاء أولاده واخوته الى أمير المؤمنين يوسف بن عبد
 المومن - وهو باشبيلية - فسلموا اليه جميع بلاد شرق الاندلس التي كانت
 لابيهم ، فأحسن اليهم أمير المؤمنين وتزوج أختهم ، وأصبحوا عنده في أعر
 منزلة ؟ وصنع في وليمتها مهرجانا عظيما يقصر الوصف عنه .

ولما صفت لامير المؤمنين يوسف الاندلس خرج من اشبيلية غازيا بلاد
 العدو ؟ فنزل على مدينة له تسمى وبذة ، فأقام محاصرا لها شهورا الى أن
 اشتد عليهم الحصار وعطشوا ، فراسلوه في تسليم المدينة ، وأن يعطيهم الامان
 على نفوسهم ؟ فامتنع من ذلك فلما اشتد بهم العطش سمع لهم في بعض
 الليالي لفظ عظيم وأصوات هائلة ، وذلك أنهم اجتمعوا بأسرهم ودعوا الله
 تعالى فجاءهم مطر عظيم ملا ما كان عندهم من الصهاريج ، فارتووا وتقووا
 على المسلمين ، فانصرف عنهم الى اشبيلية ، بعد أن هادتهم مدة سبع سنين

فليعتبر الواقف على هذه القضية ، وليعلم أن هؤلاء الكفار جاحدون ،
 يسبون الى الله تعالى مالا يليق به من التلث وأنواع الكفر ، ومع ذلك لما
 انقطع رجاؤهم ، ورجعوا اليه تعالى بالاضطرار الصادق ، رحمهم سبحانه
 وهو أرحم الراحمين ؟ فلا ينبغي بعد هذا للمؤمن الموحد اذا حصل في
 شدة أن ييأس من رحمة الله ، فانه لا ييأس من روح الله الا القوم
 الكافرون . والسر في الاضطرار . فانه عند أرباب البصائر ، هو اسم الله

الاعظم الذى اذا دعى به أجاب واذا سئل به أعطى ، اللهم اجعلنا يامولانا عندك من المرحومين واجعل كل من يرحمنا عندك من المرحومين ، فانت أهل ذلك والقادر عليه .

ثم بلغ أمير المؤمنين خروج العدو الى أرض المسلمين مع القومس الاحدب ، فخرج اليهم وأوقع بهم بناحية قلعة رباح ، وأنخن فيهم ؛ ورجع الى اشيلية .

وفى هذه السنة أعنى سنة سبع وستين وخمسائة ، شرع أمير المؤمنين يوسف بن عبد المومن فى بناء جامع اشيلية ، فتم وصليت به الجمعة فى ذى الحجة منها !

وفى هذه السنة أيضا عقد أمير المؤمنين الجسر على وادى اشيلية بالقوارب وبنى قصبتها الداخلية ، وبنى الزلايق للسور ، وبنى سور باب جوهر ؛ وبنى الرصفان المدرجة بصفتى الوادى ، وجلب الماء من قلعة جابر حتى ادخله اشيلية ، وأنفق فى ذلك أموالا لا تحصى .

ثم انتفض ابن اذفونش وأغار على بلاد المسلمين فاحتشد الخليفة وسرح السيد أبا حفص اليه فغزاه بعقر داره ، وانتح قنصرة بالسيف ، وهزم جموعه فى كل جهة .

ثم ارتحل الخليفة من اشيلية راجعا الى مراکش سنة احدى وسبعين لحسن سنين من اجازته الى الاندلس ، وعقد على قرطبة لآخيه أبى الحسن وعلى اشيلية لآخيه أبى على .

وأصاب مراکش طاعون فهلك من السادة : أبو عمران ؛ وأبو سعيد وأبو زكريا وقدم الشيخ أبو حفص الهنتاتى من قرطبة فهلك فى طريقه ودفن بمدينة سلا ، وهو جد الملوك الحفصيين أصحاب تونس وافريقية .

واستدعى الخليفة أخويه السيدين أبا على وأبا الحسن فعقد لآبى على على سجلماسة ، ورجع أبو الحسن الى قرطبة ؛ وعقد لآبى أخيه السيد أبى حفص : لآبى زيد منهما على غرناطة ، ولآبى محمد على مالقة .

وفي سنة ثلاث وسبعين سطا بذرية بنى جامع وزرائه وغربهم الى
ساردة .

وفي سنة خمس وسبعين وخمسمائة عقد لغانم بن محمد بن مردنيس
على أسطوله ، واغزاه مدينة اشبونة ، فغنم ورجع .

وفيها كانت وفاة أخيه الوزير السيد أبي حفص بن عبد المومن بعد
ما أبلى في الجهاد ، وبالغ في نكاية العدو ، وتقدم ابناه من الاندلس فأخبرا
الحليفة بانتفاض الطاغية ؛ واعتزم على الجهاد ، وأخذ في استدعاء العرب
من افريقية ، والله تعالى أعلم .



غزو أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن بلاد افريقية

وفتح مدينة قفصة والسبب في ذلك

كانت قفصة من بلاد افريقية قد استبد بها بنو الرند أو آخر دولسة
سنهاجة من بنى زيرى بن مناد ، كان جدهم عبد الله بن محمد بن الرند
عاملا لهم بها ، فتوارثها بنوه من بعده ، فاستبدوا بها آخر الدوالة ؛ ولما غزا
عبد المومن بلاد افريقية استزلهم في جملة من استزل من الثوار بها .
ولما مات عبد المومن وبويح ابنه يوسف بلغه سنة أربع وسبعين وخمسمائة
أن بعض بنى الرند قد عاد الى قفصة وثار بها فاضطربت لاجل ذلك أحوالها
فنهض اليها في سنة خمس وسبعين بعدها ، فاتمى الى افريقية ، ونزل على
مدينة قفصة ؛ وضيق عليها بالقتال والحصار حتى دخلها ، وظفر بابن الرند
القائم بها فقتله ، وذلك في سنة ست وسبعين وخمسمائة .

ثم عاد الى مراکش فدخلها في سنة سبع وسبعين بعدها . هكذا فسى
القرطاس ، ونحوه لابن خلدون في أخبار بنى عبد المؤمن .
وذكر عند الكلام على بنى الرند وجها آخر فقال : « كان عبد المومن

قد ولى على قفصة عمران بن موسى الصنهاجي ، فأساء الى الرعية ، فبعثوا
 عن علي بن العزيز بن المعتز الرندي من بجاية وكان بها في مضيفة يحترف
 بالحياطة ، فقدم عليهم وثاروا بعمران بن موسى عامل الموحدين فقتلوه ،
 وقدموا مكانه علي بن العزيز فساس ملكه وحاط رعيته وأغزاه يوسف بن
 عبد المؤمن سنة ثلاث وستين وخمسمائة أخاه السيد أبا زكرياء ، فحاصره
 وضيق عليه وأخذه ، وأشخصه الى مراکش بأهله وماله ، واستعمله على
 الاشغال بمدينة سلا الى أن هلك بها ، وفيت دولة بني الرند . والبقاء لله
 وحده . ، اه كلامه فالله أعلم أي ذلك كان .

وفي سنة ثمان وسبعين وخمسمائة خرج أمير المؤمنين يوسف من
 مراکش لبناء حصن أزكدر ، فبناه على المعدن الذي ظهر هناك .



الجواز الثاني لامير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن الى الاندلس برسم الجهاد وما يتصل بذلك من وفاته رحمه الله

لما قدم أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن من فتح قفصة سنة سبع
 وسبعين وخمسمائة قدم عليه ولاية الاندلس ورؤساؤها يهنئونه بالاياب ،
 فأكرم وفادتهم وانصرفوا .

ثم بلغه الخبر بأن أذفونش بن سانجة نازل قرطبة وشن الغارات
 على جهة مالقة ورندة وغرناطة ، ثم نزل استجة وتغلب على حصن شقيلة .
 وأسكن به النصراني وانصرف .

فاستنفر السيد أبو اسحق سائر الناس للغزو ، ونازل الحصن نحو
 من أربعين يوما ، ثم بلغه خروج أذفونش من طليطلة بمدده فانكفأ راجعا ؛
 وخرج محمد بن يوسف بن وانودين من اشيلية في جموع الموحدين ،
 ونازل طليطلة فبرز اليه أهلها فأوقع بهم وانصرف بالغنائم .

فاعتزم الخليفة يوسف بن عبد المومن على معاودة الجهاد ، وولى على
الاندلس أمناه وقدمهم للاحتشاد ، فعقد لابنه السيد أبي زيد على غرناطة ،
ولابنه السيد أبي عبد الله على مرسية ، ونهض سنة تسع وسبعين
وخمسمائة .

وفى القرطاس : كان خروجه من مراکش فى التاريخ المذكور على
باب دكالة ، قال برسم غزو افريقية ، فلما وصل الى سلا أتاه أبو عبد الله
محمد بن ابراهيم بن جامع من افريقية ؛ فأعلمه بهدوئها وسكونها ، فصرف
عزمه الى الاندلس . فهض من سلا ضحوة يوم الخميس الموفى ثلاثين من
ذى القعدة من السنة المذكورة ، فنزل بظاهرها وبات هناك . ثم نهض يوم
الجمعة الموالى له فوصل الى مكناسة يوم الاربعاء السادس من ذى الحجة ،
بعيد بها عيد الاضحى خارجها . ثم ارتحل الى فاس فدخلها وأقام بها بقية
الشهر .

ثم دخلت سنة ثمان وخمسمائة ، وفى اليوم الرابع بها نهض من فاس
وسار حتى انتهى الى سبتة ، فأقام بها بقية الشهر المحرم ، وأمر الناس
بالجواز الى الاندلس ؛ فجازت قبائل العرب أولا ، ثم قبائل زناتة ، ثم
انصامدة ؛ ثم مغراوة وصنهاجة وأوربة ، وأصناف البربر . ثم عبرت
جيوش الموحدين والاعزاز والرماة . فلما استكمل الناس الجواز عبر هو فى
آخرهم فى الحاشية والعييد .

وكان جوازه يوم الخميس خامس صفر من السنة المذكورة ، فنزل
بجبل الفتح ، ثم ارتحل منه الى الجزيرة الخضراء ، ثم سار الى اشبيلية .
فلما أشرف عليها يوم الجمعة الثالث والعشرين من صفر خرج اليه ولده
السيد أبو اسحق ومعه فقهاء اشبيلية وأشياخها فبعث اليهم بأمرهم بالوقوف
بآخر النية حتى يصل اليهم ، فلما صلى الظهر وركب اجتاز بهم ، فلما دنا
منهم نزلوا عن دوابهم فوقف لهم حتى سلموا عن آخرهم وركبوا .

ثم نهض الى غزو مدينة شترين من بلاد غرب الاندلس فاتتهى اليها

في السابع من ربيع الاول فنزل عليها ، وأدار به الجيوش ، وشدد عليها
 في الحصار والقتال ؛ وبذل المجهود الى ليلة الثاني والعشرين من ربيع
 المذكور ، فانتقل من موضع نزوله بجوفى شترين الى غربها ، فأكر
 المسلمون ذلك ولم يعلموا له سببا ؛ فلما جن الليل وصلى العشاء الآخرة
 بعث الى ولده السيد أبى اسحق صاحب اشيلية فأمره بالرحيل من غد تلك
 الليلة لغزو أشبونة ، وشن الغارات على أنحائها ، وأن يسير اليها في
 جيوش الاندلس خاصة . وأن يكون رحيله نهارا ، فأساء الفهم وظن أنه
 أمره بالرحيل ليلا ، وصرخ الشيطان في محلة المسلمين ، أن أمير المؤمنين
 قد عزم على الرحيل في هذه الليلة ، وتحدث الناس بذلك وتأهبوا له ،
 ورحلت طائفة منهم بالليل ؛ ولما كان قرب الفجر أفلح السيد أبو اسحق
 وأفلح من كان مواليا له ، وتتابع الناس بالرحيل ؛ وتسبقوا لاختيار المنازل وأمير
 المؤمنين مقيم في مكانه لاعلم له بذلك ، فلما أصبح وصلى الصبح وأضاءه
 النهار لم يجد حوله من أهل المحلات أحدا الا يسيرا من خاصته وحشمه
 الذين يرحلون لرحيله ، وينزلون لنزوله ؛ والا - قواد الاندلس فانهم
 الذين كانوا يسيرون أمام ساقته وخلف محله من أجل من يتخلف عنها
 من الضعفاء ، فلما طلعت الشمس وتطلع النصارى المحصورون على المحلة
 من سور البلد ورأوا أمير المؤمنين منفردا في عيده وحشمه ، وتحققوا ذلك
 من جواسيسهم فتحوا البلد ؛ وخرج جميع من فيه خرجة منكرة ، وهم
 ينادون : الرى الرى ، أى أقصدوا السلطان ؛ فضربوا في محلة العيد الى
 أن وصلوا الى أخبية أمير المؤمنين فمزقوها واقتحموها ، فبرز اليهم وقتلهم
 بسيفه ، حتى قتل ستة منهم ، ثم طعنوه طعنة نافذة وقتل عليه ثلاث من
 جواريه كن قد أكبين عليه ! ولما طعن وقع بالارض وتصايح العيد ونادوا
 بالفرسان والاجناد فترجع المسلمون وقتلوا النصارى حتى أزاحوهم عن
 الاخبية ، واشتد القتال بينهم ، وتوافقوا ساعة ثم انهزم الفرانز وركبهم
 المسلمون بالسيف حتى أدخلوهم المدينة ؛ وقتل منهم خلق كثير يزيدون على

العشرة آلاف ، واستشهد من المسلمين جماعة . وركب أمير المؤمنين يوسف وقد أنفذته الطعنة ؛ وارتحل الناس ولا يدرون أين . ثم اهدوا بالطبول فقصدوا جهة اشيلية ، ثم سار أمير المؤمنين يريد العبور الى المغرب فاشتد ألمه ومات بالطريق رحمه الله ؛ قاله ابن مطروح .

وكانت وفاته يوم السبت العاشر من شهر ربيع الآخر سنة ثمانين وخمسمائة قرب الجزيرة الخضراء ؛ فحمل الى تينمل فدفن بها الى جنب قبر أبيه ، وقيل انه لم يمض حتى وصل الى مراكش . وكان ولده يعقوب الخليفة بعده هو الذي يدخل على أبيه ويخرج ويصرف الامور بين يديه من يوم طعن الى أن مات . قالوا وكنم ولده موته حتى وصل الى مدينة سلا فأفشاء . وكان قبل موته بأشهر كثيرا ما ينشد قول الشاعر ويردده .

طوى الجديدان ما قد كنت أنشره وأنكرتني ذوات الاعين النجل
ورثاه الاديب أبو بكر يحيى بن مجير بقصيدة طويلة أجاد فيها وأولها:
جل الاسى ، فأسل دم الاجفان ماء الشؤون لغير هذا الشأن



بقية اخبار أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن وسيرته

قال ابن خلكان : كان يوسف بن عبد المؤمن أبيض تعلوه حمرة ، شديد سواد الشعر ، مستدير الوجه ، أفوه ؛ أعين ؛ الى الطول ما هو ؛ في صوته جهارة ؛ رقيق حواشي الطبع حلو الالفاظ ؛ حسن الحديث ، طيب المجالسة ، أعرف الناس كيف تكلمت العرب ؛ وأحفظهم لايمها في الجاهلية والاسلام ؛ صرف عنايته الى ذلك ، ولقى فضلاء اشيلية أيام ولايته بها . وكان فقيها حافظا متفتنا ، لان أباه هذبه وقرن به وبأخوته أكمل رجال الحرب والمعارف ؛ فنشأ في ظهور الحيل بين أبطال الفرسان ، وفي قراءة العلم بين أفاضل العلماء ، وكان ميله الى الحكمة والفلسفة أكثر من ميله الى الادب

ويقيه العلوم ، ويقال انه كان يحفظ صحيح البخارى ، وكان يحفظ القرآن الكريم مع جملة صالحة من الفقه ؛ ثم طمح الى علم الحكمة وبدأ من ذلك يعلم الطب ؛ وجمع من كتب الحكمة شيئا كثيرا .

وكان ممن صحبه من العلماء بهذا الشأن الوزير أبو بكر محمد بن طفيل ، كان متحققا بجميع أجزاء الحكمة ، قرأ على جماعة من أهلها منهم أبو بكر بن الصائغ المعروف بابن باجة وغيره ؛ ولابن طفيل هذا تصانيف كثيرة .

وكان يوسف بن عبد المؤمن حريصا على الجمع بين علم الشريعة والحكمة ، ولم يزل يجمع اليه العلماء من كل فن من جميع الاقطار ؛ ومن جملتهم القاضى أبو الوليد محمد بن احمد بن محمد بن رشد المعروف بالحفيد .

وكان يوسف بن عبد المؤمن شديد الملوكية ، بعيد الهمة ، جماعا مناعا ؛ ضابطا لخراج مملكته ، عارفا بسياسة رعيته ، وكان سخيا جوادا فى محل السخاء والجود ؛ قد استغنى الناس فى أيامه ؛ وكان من ضبطه وسياسته ، ربما يحضر حتى لا يكاد يغيب ويغيب حتى لا يكاد يحضر ، وله فى غيته نواب ؛ وخلفاء وحكام قد فوض الامور اليهم ، لما علم من صلاحهم وأهليتهم لذلك .

قال ابن خلكان : « والدنانير اليوسفية المغربية منسوبة اليه » .
ومما يستطرف من أخباره رحمه الله . أن الاديب أبا العباس أحمد بن عبد السلام الكروانى - وكروان قبيلة من البربر منازلهم بضواحي فاس - كان نهاية فى حفظ الاشعار القديمة والمحدثة ، وتقدم فى هذا الشأن وله فيه تأليف ، وكان مع ذلك صاحب نوادر ، جالس بها عبد المؤمن ؛ ثم ولده يوسف ؛ ثم ولده يعقوب .

فمن نوادره : انه حضر يوما الى باب أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن المذكور ؛ وحضر اليه أيضا الطبيب سعيد الغمارى ، فقال أمير المؤمنين

لبعض خدمه : « أنظر من بالباب من الاصحاب » فخرج الخادم ثم عاد اليه فقال : « ياسيدي به أحمد الكرواني وسعيد الغماري » فقال أمير المؤمنين يوسف : « من عجائب الدنيا شاعر من كروان وطيب من غمارة » فبلغ ذلك الكرواني : « وضرب لنا مثلا ونسى خلقه ! أعجب منهما والله . خليفة من كومية ! » فيقال أن أمير المؤمنين يوسف لما بلغه ذلك قال : « أعاقبه بالخلم عنه ففيه تكذيب له » ومن شعر الكرواني من جملة قصيدة يمدح بها أمير المؤمنين يوسف المذكور وهو بديع :

ان الامام هو الطيب وقد شفا علل البرايا ظاهرا ودخيل
حمل البسيطة وهي تحمل شخصه كالروح يوجد حاملا محمولاً!



الخبر عن دولة امير المؤمنين المنصور بالله

يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي

قال ابن خلدون : « لما توفي الخليفة يوسف بن عبد المؤمن على حصن شترين في التاريخ المتقدم بويع ابنه أبو يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن ، ورجع بالناس الى اشبيلية فاستكمل البيعة ، واستوزر الشيخ أبا محمد عبد الواحد بن أبي حفص الهنتاتي واستنفر الناس للغزو مع أخيه السيد يحيى ، فاستولى على بعض الحصون ، وأتخن في بلاد الكفار ؛ ثم أجاز البحر الى الحضرة .

ولقيه بقصر مصمودة السيد أبا زكريا بن السيد أبي حفص ، فادما من تلمسان ، مع مشيخة بني زغبة من عرب هلال ؛ ومضى الى مراکش فغير المناكر وبسط العدل ، ونشر الاحكام ، اه وفيه نوع مخالفة لما قدمناه .

وقال ابن زرع : لما تمت له البيعة وطاعت له الامة كان أول شيء فعله أن أخرج مائة ألف دينار ذهباً من بيت المال ، ففرقها في الضعفاء من بيوتات

المغرب ، وكتب الى جميع بلادہ : بتسريح السجون ورد المظالم التي ظلمها العمال في أيام أبيه ؛ وأكرم الفقهاء ، وراعى الصلحاء وأهل الفضل ، وأجرى على أكثرهم الانفاق من بيت المال ، وفرق في الموحدین وسائر الاجناد أموالاً جمة ؛ وكان أول شيء حدث في دولته شأن بني غانية المسوفيين . أصحاب جزيرة ميورقة وأعمالها ، فلأت بشيء من ذلك .



خروج علي بن إسحق المسوفي المعروف بابن غانية على يعقوب المنصور

قد تقدم لنا في أخبار الدولة اللتونية أن أمير المسلمين على بن يوسف بن تاشفين اللتوني كان قد استعمل على الجزائر الشرقية من بلاد الاندلس وهي ميورقة ومنورقة ويابسة محمد بن علي بن يحيى المسوفي المعروف بابن غانية - وهي أهمهم - فتوارثها بنوه من بعده ، الى أيام يوسف بن عبد المؤمن ؛ فبعث اليه محمد بن اسحق بن محمد المسوفي المذكور بالطاعة ، وقبل ذلك يوسف بن عبد المؤمن ، وبعث اليه قائده على بن الروبرتير ليختبر أمره ؛ ويعقد له البيعة عليه ، ويؤكد الامر في ذلك . وكان لمحمد بن اسحق المذكور عدة اخوة يساهمون في الرياسة ، فلما انتهى اليهم ابن الروبرتير ، وعلموا الامر الذي قدم لاجله ، أنكروا على أخيهم ذلك لانه لم يكن أعلمهم بمكاتبة يوسف بن عبد المؤمن فخلصوا نجيا دونه ، وتقبضوا عليه وعلى ابن الروبرتير ، وقدموا مكانه أخاهم على بن اسحق بن محمد ؛ ثم بلغهم خبر وفاة يوسف بن عبد المؤمن وولاية ابنه يعقوب المنصور ، فركب على بن اسحق أسطوله وطرق بجاية على حين غفلة من أهلها ؛ وعليها يومئذ السيد أبو الربيع بن عبد الله بن عبد المؤمن وكان خارجاً في بعض مذهبه - فاستولى عليها ابن غانية في صفر سنة احدى وثمانين وخمسمائة .

وحكى ابن ابي زرع في استيلاء ابن غانية على بجاية وجها آخر قال :
 « دخل الميورقي - وهو على بن اسحق المذكور - مدينة بجاية يوم الجمعة
 السادس من شعبان سنة ثمانين وخمسائة ، والناس في صلاة الجمعة .
 وكانت ابواب المدن قبل ذلك لاتغلق وقت صلاة الجمعة ، فارتقب ابن
 غانية الناس حتى احرموا بصلاة الجمعة ، ثم اقتحم عليهم المدينة وعمد الى
 الجامع الاعظم ، وادار به الحيل والرجل فمن بايعه خلى سبيله ، ومن توقف
 عن بيعته ضرب عنقه » قال : « واقام بها سبعة أشهر ، ثم استرجعت من
 يده » قال : « ومن ذلك اليوم اتخذ الناس غلق ابواب المدن يوم الجمعة وقت
 الصلاة ، والله أعلم .

ثم استولى على بن اسحق على الجزائر ، ثم على مازونة ؛ ثم على
 مليانة ، ثم على القلعة ، ثم نازل قسنطينة فامتعت عليه .
 واتصل الخبر بالمنصور فسرح السيد ابا زيد بن ابي حفص بن عبد
 المؤمن وعقد له على حرب ابن غانية ، وعقد لمحمد بن ابراهيم بن جامع على
 الاساطيل ، والى نظره ابو محمد بن عطوش واهم الصقلي . فوصل
 السيد ابو زيد الى افريقية وشرذ ابن غانية عنها الى الصحراء في اخبار
 طويلة .

ثم عاود ابن غانية الاجلاب على بلاد افريقية ، وظهره على ذلك
 قراقوش الغزي ، من موالى السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب الكردي
 صاحب مصر ، وكان قد تغلب على طرابلس وما والاها .

وبلغ المنصور ان ابن غانية قد استولى على نفصة فنهض بنفسه من
 حضرة مراکش ثالث شوال سنة اثنتين وثمانين وخمسائة ووصل الى فاس
 فأراح بها ، ثم سار الى رباط تازا ، ثم سار على التعبية الى تونس .

وجمع ابن غانية من اليه من الملتزمين والعرب وجاء معه قراقوش
 الغزي صاحب طرابلس ، فسرح اليهم المنصور مقدمة من جيشه لنظر
 السيد ابي يوسف يعقوب ابن السيد ابي حفص عمر ابن عبد المؤمن ،

فلقبهم ابن غانية في جموعه فانتصر عليهم وانهزم الموحدون ، وقل جماعة من وجوههم ، وأسر على بن الروبرتير في آخرين ، وامتلات أيدي العرب من أثارهم وأسلابهم .

ووصل سرعان الناس الى المنصور وهو بتونس ، فنهض اليهم في الحال ونزل القيروان ، ثم أغذ السير الى الحامة فالتقى الجمعان ، وأنشبا الحرب فكانت الهزيمة على ابن غانية وأحزابه ، وأفلت من المعركة بدماء نفسه ومعه خيله فراقوش وأتى القتل على أكثرهم .

ثم صبح المنصور مدينة قابس - وكانت في يد قراقوش - فافتحها ونقل من كان بها من حرم ابن غانية وذويه في البحر الى تونس ، وثنى العنان الى توزر فافتحها وقتل من وجد بها ، ثم الى قنصة فنازلها أياما ، حتى نزلوا على حكمه فقتل من كان بها من الحشود وهدم سورها واستبقى أهلها ، وجعل املاكهم بأيديهم على حكم المسافة .

ولما فرغ من أمر قنصة نهض الى عرب افريقية ، ففتك بهم واستباح حللهم واموالهم وشردهم في كل وجه ، ثم بعد ذلك جاءوه تائبين خاضعين فنقل أهل الفتنة والخلاف منهم الى المغرب الأقصى ، ورجع الى مراكش ، فدخلها في رجب سنة أربع وثمانين وخمسمائة .

الخبر عن انتقال العرب من جزيرتهم إلى ارض افريقية ثم منها إلى المغرب الاقصى والسبب في ذلك

أعلم أن ارض افريقية والمغرب لم تكن للعرب بوطن في الايام السالفة لا في الجاهلية ولا في صد الاسلام ، وانما كان المغرب وطنا لامة البربر خاصة لا يشاركون فيه غيرهم .

ولا جاءت الملة الاسلامية وأظهرها الله على الدين كله زحفت جيوش

(الاستنصا - ثاني - 11)

المسلمين من العرب الى ارض المغرب في جملة ما زحف اليه من اقطار
الارض ، لكن العرب الداخلون الى ارض المغرب في ذلك العصر انما
كانوا يدخلون اليه غزاة مجاهدين على ظهور خيولهم ، فيقضون الوطر
من فتح الاقطار والامصار ، ثم ينقلب جمهورهم الى وطنهم ومقرهم من
جزيرة العرب ، وان بقى القليل منهم به فانما كانوا يستوطنون منه الامصار
دون البادية ، ويسكنون القصور دون الخيام ؛ فلم تكن العرب تسكن المغرب
يومئذ بقبائلهم وخيامهم ، ولا استوطنوه بأحيائهم وحملهم ، كما هو شأنهم
اليوم ؛ لان الملك الذي حصل لهم والغلب الذي مكنتهم الله منه كان يمنهم
من سكنى البادية ، ويعدل بهم الى الحضارة ولا بد ، فكانت الخيمة بأرض
المغرب معدومة رأسا ؛ أو قليلة جدا لبعض البربر ممن كان يتخذها منهم
وهم قليل ، وانما كان يسكن الجمهور منهم بالمدامر وكهوف الجبال ؛ واستمر
الحال على ذلك الى أواسط المائة الخامسة ، فدخلت العرب ارض افريقية
واستوطنوها بحللمهم وخيامهم .

ثم لما كانت أواخر المائة السادسة في دولة يعقوب المنصور رحمه الله
نقل الكثير منهم الى المغرب الأقصى ، فاستوطنوه بحللمهم وخيامهم كذلك ،
وصارت ارض المغرب منقسمة بين أمتين أمة العرب أهل اللسان العربي ،
وأمة البربر أهل اللسان البربري ، بعد أن كانت بلاده خاصة بالبربر لا
يشاركهم فيها غيرهم كما قلنا .

واعلم أن أمة العرب تنقسم أولا الى قسمين : عدنان وقحطان ، ثم
ينقسم كل من عدنان وقحطان الى شعبين عظيمين ، فأما عدنان وهم
الاسماعيلية ذرية اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام ، فينقسمون الى ربيعة
ومضر ، وأما قحطان وهم اليمانية ذرية قحطان بن عابر بن شالح بن
ارفخشند بن سام بن نوح عليه السلام فينقسمون الى حمير وكهلان . هذا
هو المعروف المشهور من نسب الفريقين . وقد يذكر النسابون لكل منهما
شعوبا أخر ، لكننا لم نعتبرها اما لانقراضها أو لقوة الخلاف فيها أو لقلتها

جدا واندراجها فيمن ذكرناه .

ثم يتشعب كل من هذه الشعوب الاربعة الى قبائل وعماثر وبطون
وأفخاذ وفصائل لا حصر لها ، لكننا ننبه على الغرض المقصود منها فنقول :
من جملة قبائل مضر :

بنو سليم بن منصور بن عكرمة بن خصفة بن قيس عيلان بن مضر .
ومن قبائلها أيضا بنو جشم بن معاوية بن بكر بن هوازان بن منصور
المذكور في النسب السابق . وقد نسبت الحنساء جشم هذا الى جده ، فقالت
تهجو دريد بن الصمة :

معاذ الله ينكحني حبركي قصير الشبر من جشم بن بكر
ومن قبائلها أيضا بنو هلال بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن بكر
المذكور أيضا .

ومن جملة قبائل كهلان القحطانيين : بنو الحرث بن كعب بن عمرو
بن علة بن جلد بن مذحج بن أدد بن زيد بن يشجب بن عريب بن زيد
ابن كهلان . وكهلان هو ابن سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان .
واعلم أن هؤلاء القبائل الاربعة التي ذكرناها هي التي ذكر المؤرخون
أنها انتقلت الى افريقية والمغرب ، وقد يضاف اليهم غيرهم من قبائل العرب ،
لكنهم ليسوا بمشهورين كالاربعة المذكورة .

وأما خبر دخولهم الى المغرب والسبب فيه فقد ذكر المؤرخون ان بنى
سليم بن منصور وبنى هلال بن عامر لم يزالوا بجزيرة العرب برهة من
الدهر الى أن مضى الصدر من دولة بنى العباس ، وكانوا أحياء ناجمة بأرض
الحجاز ونجد ، فبنو سليم مما يلي المدينة المنورة ، وبنو هلال في جبل
غزوان عند الطائف ، ثم تحيز بنو سليم والكثير من هلال بن عامر الى
البحرين وعمان ، وصاروا جندا للقرامطة ، ثم غلب القرامطة على بلاد الشام
وظاهرهم على ذلك بنو سليم وبنو هلال . ثم انتقلت دولة العبيديين من
افريقية الى مصر ، وغلبوا القرامطة على الشام وانتزعوه منهم ، وردوهم

على أعقابهم الى البحرين ، ونقلوا أشياعهم من بنى سليم وبنى هلال .
فأنزلوهم بصعيد مصر فى العدو الشرقية من بحر النيل فأقاموا هنالك ،
وكان لهم أضرار بالبلاد ؛ ولما انتقلت الدولة العبيدية من افريقية الى مصر
كما قلنا استتابوا على افريقية بنى زيرى بن مناد الصنهاجيين فملكوها ،
وكانوا يخطبون بملوك العبيديين على منابرهم ويضربون السكة بأسمائهم ،
ويؤدون اليهم اتاوة معلومة وطاعة معروفة .

ولما انساق ملك افريقية الى المعز بن باديس بن المنصور بن بلكين بن
زيرى بن مناد الصنهاجى كان له رغبة فى مذهب اهل السنة خالف فيه
أسلافه الذين كانوا على مذهب الشيعة الرافضة ، وكان الخليفة من العبيديين
بمصر يومئذ المستنصر بالله معد بن الظاهر ابن الحاكم بن العزيز بن المعز
لدين الله . والمعز هذا هو الذى انتقل الى مصر وبنى مدينة القاهرة

وكان المعز بن باديس الصنهاجى لا تزال المراسلات والهدايا تختلف
بينه وبين المستنصر العبيدى صاحب مصر كما كانت اسلافهما ؛ ثم ان المعز
بن باديس ركب ذات يوم لبعض مذاهبه وذلك فى أول ولايته فكبا به فرسه
فنادى مستغيثا بالشيخين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ، فسمعتة العامة
وكان جمهورهم سنيا ؛ فناروا بالرافضة وقتلوهم أبرح قتل ، وأعلنوا بالمعتقد
الحق ونادوا بشعار الايمان ، وقطعوا من الاذان حتى على خير العمل .

وكانت هذه الواقعة فى أيام الظاهر العبيدى والد المستنصر ، فكاتب
المعز بن باديس فى ذلك ، فاعتذر اليه بالعامه ، فأغضى عنه .

واستمر ابن باديس على اقامة الدعوة لهم ؛ والمهاداة معهم ، وهو
فى أثناء ذلك يكتب وزيرهم القائم بأمور دولتهم أبا القاسم على بن أحمد
الجرجرائى ويستميله ، ويعرض ببنى عبيد وشيعتهم ويغض منهم .

ثم هلك الوزير أبو القاسم سنة ست وثلاثين وأربعمائة ، وولى الوزارة
بعده أبو محمد الحسن بن على اليازورى ، أصله من قرى فلسطين ، وكان
أبوه فلاحا بها . فلما ولى الوزارة خاطبه المعز بن باديس دون ما كان

بخاطب به من قبله من الوزراء . كان يقول في كتابه اليهم : عبدكم ! وصار يقول : في كتاب اليازورى : صنعيتكم ! فحق ذلك عليه ، وصارت القوارص تسرى من بعضهم الى بعض ، الى أن أظلم الجو بين المعز بن باديس وبين المستنصر العبيدى ووزيره اليازورى ، فقطع بن باديس الخطبة بهم على منابر سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة ، وأحرق بنود المستنصر ، ومحا اسمه من السكة والطرز ، ودعا للقائم العباسى خليفة بغداد ؛ وجاءه خطابه وكتاب عهده ، فقرأه بجامع القيروان ، ونشرت الرايات السود ؛ وهدمت دور الاسماعيلية .

وبلغ الخبر بذلك كله الى المستنصر بالقاهرة فقامت قيامته ، ففاوض وزيره أبا محمد الحسن بن على اليازورى فى أمر ابن باديس ، فأشار عليه بأن يسرح له العرب من بنى هلال ، وبني جشم الذين بالصعيد ، وأن يتقدم اليهم بالاصطناع ؛ ويستميل مشايخهم بالعتاء وتولية أعمال افرقية وتقليدهم أمرها بدلا من صنهاجة الذين بها لينصروا الشيعة ويدافعوا عنهم ؛ فان صدقت المخيلة فى ظفرهم بابن باديس وقومه صنهاجة كانوا أولياء للدولة وعمالا بتلك القاصية ، وارتفع عدوانهم من ساحة الخلافة ، وان كانت الاخرى فلها ما بعدها ؛ وأمر العرب على كل حال أهون على الدولة من أمر صنهاجة الملوك .

فبعث المستنصر وزيره الى هؤلاء الاحياء ؛ وأرضخ لامرائهم فى العطاء ووصل عامتهم بغير ودينار لكل واحد منهم ، وأباح لهم اجازة النيل ، وقال لهم : « قد أعطيناكم المغرب وملك ابن باديس العبد الآباق ، فلا تفقروا بعدها ! » .

وكتب اليازورى الى المعز : « أما بعد ، فقد انفذنا اليكم خيولا فحولا وأرسلنا عليها رجالا كهولا ، ليقضى الله أمرا كان مفعولا » .

فشرعت العرب اذذاك وعبروا النيل الى برقة ، فنزلوا بها واستباحوها وافتتحوا أمصارها ، وأعجبتهم البلاد . فكتبوا لآخوانهم الذين بقوا شرقى

النيل يرغبونهم في البلاد ، فأجازوا اليهم بعد أن أعطوا للمستنصر لكل رأس دينارين ، فأخذ منهم أضعاف ما أخذوه ؛ وتقارعوا على البلاد ؛ فحصل لبنى سليم شرقها ، ولبنى هلال غربها ، ثم انتشروا في أقطار افريقية مثل الجراد ، لا يامرون بشيء الا أتوا عليه .

وبالجملة فلم تمر الا مدة يسيرة حتى استولوا على ضواحي افريقية ، ونازلوا أمصارها ، واقتضوا من أهلها الاتاوة ، وحصروا ابن باديس في مصره ؛ وصاهرهم ببناته تأليفا لهم ، ومع ذلك فلم يجد شيئا والحديث في ذلك طويل وليس تتبعه من غرضنا .

قال ابن خلدون : « ولهؤلاء الهلاليين في الحكاية عن دخولهم الى افريقية طرق ، يزعمون أن الشريف بن هاشم كان صاحب الحجاز ومكة ، ويسمونه شكر بن أبي الفتوح ؛ وانه أصهر الى الحسن بن سرحان في أخيه جازية فأنكحه اياها ، وولدت منه ولدا واسمه محمد ، وانه حدث بينهم وبين الشريف المذكور مغاضبة وفتنة . فأجمعوا الرحلة عن أرض نجد الى افريقية ، وتحيلوا عليه في استرجاع أختهم جازية المذكورة ، فطالبته بزيارة ؛ أبويها ، فأزارها اياهم ؛ وخرج بها الى حلهم ، وأقام معها مدة الزيارة ؛ فارتحلوا به وبها ، وكموا رحلتهم عنه وموهوا عليه بأنهم يباكرون به للصيد والقنص ، ويروحون به الى بيوتهم بعد بنائها ؛ فلم يشعر بالرحلة الى أن فارق موضع ملكه ، وصار حيث لا يملك أمرها عليهم ، ففارقوه ؛ ورجع الى مكانه من مكة وبين جوانحه من حبها داء دخيل ، وانها من بعد ذلك كلفت به مثل ما كلف بها الى أن ماتت من حبه ، ويتأفلون من أخبارها في ذلك ما يعنى على خبر قيس وليلى ، ويرون كثيرا من أشعارها محكمة المباني . متقفة الاطراف ، وفيها المطبوع والمنتحل ؛ والمضوع لم يفقد فيها من البلاغة شيء ، وانما فقد منها الاعراب فقط ، ولا مدخل له في البلاغة .

وفي هذه الاشعار شيء كثير دخلته الصنعة ، وفقدت فيه صحة الرواية

فذلك لا يوثق به ؟ ولو صحت روايته لكنت فيه شواهد بآياتهم ووقائعهم مع زناتة وحروبهم وضبط لاسماء رجالاتهم ، وكثير من أحوالهم ، لكننا لا نشيق بروايتها ؟ وربما يشعر البصير بالبلاغة بالمصنوع منها وغيره ، وهم منفقون على الخبر عن حال جازية هذه والشريف خلفا عن سلف ، وجيلا عن جيل ، ويكاد القادح فيها والمستريب في أمرها أن يرمى عندهم بالجنون ؟ تتواترها بينهم .

وهذا الشريف الذي يشيرون إليه هو من الهواشم ، وهو شكر بن أبي الفتوح الحسن بن جعفر بن أبي هاشم محمد بن الحسن بن محمد الأكبر ابن موسى الثاني ابن عبد الله أبي الكرام ابن موسى الجون بن عبد الله الكامل بن حسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه .

وابو الفتوح هو الذي خطب لنفسه بمكة أيام الحاكم العبيدي ، وباع له بنو الجراح أمراء طيء بالشام ، وبعثوا عنه ، فوصل إلى أحيائهم ؟ وباع له كافة العرب ؟ ثم غلبتهم عساكر الحاكم العبيدي ورجع إلى مكة ، وهلك سنة ثلاثين وأربعمائة ، فولى بعده ابنه شكر هذا ، وهلك سنة ثلاث وخمسين وولى بعده ابنه محمد الذي يزعم هؤلاء الهالليون أنه من جازية هذه . وقال ابن حزم : ان شكر بن أبي الفتوح لم يولد له قط ، وإنما صار أمر مكة من بعده إلى عبد كان له .

وقال ابن خلدون : بل أخبرني من أثق به من الهالبيين لهذا العهد أنه وقف على بلاد الشريف شكر بن أبي الفتوح ، وأنها بقعة من أرض نجد مما يلي الفرات ، وان ولده بها لهذا العهد والله أعلم .

واعلم أن جازية بنت سرحان هذه كانت من بني دريد بن ائبج بن أبي ربيعة بن نهيك بن هلال بن عامر بن صعصعة ، فهي هلالية أئبجية دريدية . ومن مزاعمهم : انها لما صارت إلى أفريقية وفازت الشريف ابن هاشم المذكور ، خلنه عليها منهم ماضي بن مقرب من رجالات دريد ، فأقامت عنده

مدة ؛ ثم غاضبة ولحقت بأخيها الحسن بن سرحان فمنعها منه ، فقامت عشيرة
 ماضي بن مقرب معه وقتلوا الحسن بن سرحان وعشيرته . وثار الفتننة
 بينهم وقتل فيها الحسن بن سرحان ، واستمرت العداوة بينهم الى أيام
 الموحدين ؛ فهذا سبب انتقال هؤلاء العرب من الحجاز ونجد الى افريقية .
 وأما سبب انتقالهم من افريقية الى المغرب الأقصى ؛ فقد ذكرنا أن
 بنى سليم بن منصور وبنى هلال بن عامر أفرغوا على بلاد افريقية ، فكان
 لبنى سليم شرقها ؛ وبنى هلال غربها ، ثم تغلبوا على ضواحيها وأمصارها
 وضايقوا ملوكها بها .

وانضم الى بنى هلال بن عامر بنو جشم بن معاوية بن بكر ، فعلت
 أيديهم على الجميع ؛ واستمر أمرهم على ذلك الى أن كانت دولة يعقوب
 المنصور الموحدي رحمه الله ، وثار ابن غانية ببلاد افريقية كما تقدم ،
 فظاهرته العرب من جشم وهلال على الموحدين ؛ وأوقعوا بمقدمة المنصور ،
 فنهض اليهم من تونس ووقع بالمتمين أولا ثم بالعرب ثانيا ، وقل جمعهم
 واتبع آثارهم الى أن شردهم الى صحارى برقة ، وانتزع تلك البلاد من
 أيديهم ، ثم راجعوا بصائرهم ، فأتوه طائعين خاضعين حسبما قدمنا الخبر
 عن ذلك مستوفى .

وكان الذين قاتلوه أولا ثم راجعوا طاعته ثانيا هم قبائل هلال بن عامر
 وجشم بن معاوية بن بكر كما قلنا ، وهم أصحاب غرب افريقية ، وأما بنو
 سليم بن منصور فلم يقاتله منهم أحد ؛ فلذلك بقى بنو سليم بأرض افريقية
 ونقل المنصور رحمه الله بنى هلال وبنى جشم الى المغرب الأقصى
 حين أتوه طائعين ، وكان ذلك سنة أربع وثمانين وخمسمائة ، فأنزل قبيلة
 رياح من بنى هلال ببلاد الهبط ، فيما بين قصر كاممة المعروف بالقصر
 الكبير الى أزغار البسيط الأفح هناك الى ساحل البحر الأخضر ، فاستقروا
 بها وطاب لهم المقام ، وأنزل قبائل جشم ببلاد تامسنا البسيط الأفح ما بين
 سلا ومراكش ، وهو أوسط بلاد المغرب الأقصى وأبعدها عن التنايا المنفضية

الى القفار لاحالة جبل الدرر بها ، فلم ييمموا بعدما قفرا ، ولا أبعدوا
رحلة .

واعلم أن هذين البسيطين يسميان اليوم في عرف عامة أهل المغرب
بالغرب والحوز ، فالغرب عبارة عن بلاد الهبط وأزغار وما في حكمها ،
والحوز عبارة عن بلاد تامسنا وما اتصل بها الى مراكش ، فكان لرياح بلاد
الغرب ، وكان لجشم بلاد الحوز .

ثم اعلم أيضا أن قبيلة رياح هم بنو رياح بن أبي ربيعة بن نهيك بن
هلال بن عامر بن صعصعة ، وهم بطون كثيرة وجلهم قد بقي بأرض افريقية
والذين انتقلوا منهم الى المغرب الاقصى كان رئيسهم في ذلك العصر
مسعود بن سلطان بن زمام الذوادي ، من بنى ذواد بن مرداس بن رياح
فأقام معهم مدة ثم جمع جماعة من قومه وفر الى افريقية ، وذلك في حدود
التسعين وخمسمائة ، وأبدأ وأعاد هنالك في الاجلاب مع التوار ، الى أن
هلك في بعض تلك المدة .

وأقام الباقون بعد فرار كبيرهم مسعود المذكور ببلاد الهبط وأزغار
الى أن انقرضت دولة الموحدين ، وكان عثمان بن نصر رئيسهم أيام
المأمون الموحدي وقتله سنة ثلاثين وستمائة .

ولما تغلب بنو مرين على ضواحي المغرب ضرب الموحدون على رياح
هؤلاء البعث مع عساكرهم ، فقاموا بحماية ضواحيهم ، وانضم اليهم بنو
عسكر بن محمد المرينيون حين خالفوا اخوانهم بنى حمامة بن محمد سلف
الملك منهم ، فكانت بين الفريقين جولة قتل فيها عبد الحق بن محيو بن أبي
بكر بن حمامة أبو الملك المرينيين ، وقتل معه ابنه ادريس ؛ فأوجدت رياح
السييل لبني مرين على أنفسهم في طلب النار ، فأنقضوا فيهم بعد أن ملكوا
المغرب ، واستلحموهم قتلا وسييا مرة بعد أخرى .

وكان آخر من أوقع بهم السلطان أبو ثابت المريني سنة سبع وسبعمائة
تبعهم بالقتل الى أن لحقوا برؤوس الهضاب ، وأسنة الربا المتوسطة في

المرج المستبحر بأزغار ؛ فصاروا الى عدد قليل ولحقوا بالقبائل الغارمة ،
 وذهبت رياح ادراج الرياح . هذا خبرهم على الجملة .

وأما بنو جشم أصحاب تامسنا فان المنصور لما نقلهم اليها نقل معهم
 قبائل أخرى كانوا قد قاتلوه معهم ، ولم يكونوا من نسبهم ، ولكنهم كانوا
 مندرجين فيهم ، فكان يطلق على الجميع جشم ، وهؤلاء القبائل هم المقدم
 والعاصم من بنى هلال بن عامر ؛ ثم من الاثنج منهم ، وقررة من بنى هلال
 أيضا ، والحلظ من بنى عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر . فهؤلاء القبائل
 ليسوا من جشم كما ترى ؛ ولكنهم لما انغمروا فيهم وانتقلوا الى المغرب
 بانتقالهم أطلق على الجميع جشم .

فأما المقدم والعاصم فهما ابنا مشرف بن اثنج بن أبي ربيعة بن نهيك
 بن هلال بن عامر بن صعصعة ؛ وأما قررة فهم بنو قررة بن عبد مناف بن أبي
 ربيعة بن نهيك بن هلال ، فهؤلاء القبائل الثلاثة أعني المقدم والعاصم وقررة
 هلاليون ، وأما الحلظ فهم بطن من بنى عقيل بالتصغير .

قال أبو الحسن على بن عبد العزيز الجرجاني : الحلظ بنو عوف وبنو
 معاوية ابني المتفق بن عامر بن عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة
 المذكور في الانساب المتقدمة . فقد بان لك بهذا أن هذه القبائل الاربع أعني
 العاصم ومقدما وقررة والحلظ ، ليسوا من بنى جشم بن معاوية بن بكر من
 حيث النسب ، وان الثلاث الاول من بنى هلال بن عامر ، وان الرابعة وهي
 الحلظ من بنى عقيل بن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة بن معاوية بن
 بكر يجتمع الجميع كما ذكرناه أولا ، والله تعالى أعلم .

ولنتكلم الآن على أخبار جشم على الجملة فنقول : لما نزل بنو جشم
 ببسيط تامسنا أقاموا به برهة من الدهر ، ثم تميز جمهورهم الى العاصم
 ومقدم وبنى جابر وسفيان والحلظ .

فأما مقدم والعاصم فكانوا مع اخوانهم ببسيط تامسنا المذكور ، وكان
 للموحدين عليهم عسكرة وجباية ، وكان شيخ العاصم لعهد الموحدين ، ثم

عهد المأمون بن المنصور منهم حسن بن زيد ، وكان له أثر في الفتنة التي نارت بين المأمون وبين يحيى بن الناصر بن المنصور .

ولما هلك يحيى المذكور سنة ثلاث وثلاثين وستمائة أمر الرشيد بن المأمون بقتل حسن بن زيد المذكور مع قائد وقائد ابني عامر من شيوخ بني جابر ، كل منهما اسمه قائد فقتلوا جميعا .

ثم صارت الرياسة لابي عياد وبنيه ، وكان رئيسهم لعهد بني مرين عياد بن أبي عياد ، وكان له تلون على الدولة في النفرة تارة والاستقامة أخرى ، فر الى تلمسان ورجع منها أعوام تسعين وستمائة ، وفر الى السوس ورجع منه سنة سبع وسبعمائة ؛ ولم يزل هذا دأبه ، وكانت له ولاية مع السلطان يعقوب بن عبد الحق المريني من قبل ذلك . ومقاماته في الجهاد معه المذكورة وبقيت رياسته في بنيه الى أن انقرض أمرهم وتلاشوا . والله خير السوارئين .

وأما بنو جابر بن جشم فكانت لهم شوكة أيضا ، وكان لهم أثر في الفتنة الناشئة بين المأمون بن المنصور ، ويحيى بن الناصر بن المنصور ؛ فكانوا شيعة ليحيى ، ولما ولي الرشيد بن المأمون أمر بقتل قائد وقائد ابني عامر ، وهما يومئذ شيخا بني جابر فقتلا وقتل معهم حسن بن زيد شيخ العاصم كما تقدم ، وكانوا جميعا معتقلين عند الرشيد .

وولى أمر بني جابر بعدهما يعقوب بن محمد بن قيطون ، ثم قبض عليه قائد الموحدين أبو الحسن بن يعلو ، وكان ذلك بأمر أبي حفص المرنضي الموحدي ، وولى رياسته بني جابر بعده اسمعيل بن يعقوب بن قيطون ، ثم تحيز بنو جابر هؤلاء عن احياء جشم الى سفح الجبل بتادلا وما اليها يجاورون هنالك صناكة من البربر الساكنين بقتة وهضابه ، فيسهلون الى البسيط تارة ويأوون الى الجبل في حلف البربر وجوارهم أخرى ، اذا دهمتهم مخافة من السلطان .

قال ابن خلدون : والرياسة فيهم لهذه العصور - يعني أواخر

المائة الثامنة - في ورديفة من بطونهم ، قال : أدركت شيخا عليهم لعهد
 السلطان أبي عنان حسين بن علي الورديفي ثم هلك ، وأقيم مقامه ابنه
 الناصر بن حسين ، ولحق بهم الوزير الحسن بن عمر عند نزوعه عن
 السلطان أبي سالم المريزي سنة ستين وسبعمائة ، ونهضت اليهم عساكر
 السلطان فأمكنوا منه ، ثم لحق بهم أبو الفضل ابن السلطان أبي سالم عند
 فراره من مراكش سنة ثمان وستين ، ونازله السلطان عبد العزيز المريزي
 وأحاط به وبهم ؛ فلحق بربابة صناكة ؛ ثم أمكنوا منه على مال حمل اليهم
 ولحق بهم أثناء هذه الفتن الامير عبد الرحمن بن أبي يفلوسن المريزي على
 عهد الوزير عمر بن عبد الله المتغلب على المغرب ، وطلبه الوزير عمر
 فأخرجوه عنهم ، وطال بذلك مراس الناصر هذا للفتنة ، فكرته الدولة
 وتقبضت عليه وأودعته السجن ، فمكث فيه سنين ثم تجافت عنه الدولة من
 بعد ذلك وأطلقته ، ثم رجع من المشرق فتقبض عليه الوزير أبو بكر بن
 غازي المستبد بالمغرب على ولد السلطان عبد العزيز وأودعه السجن ،
 ونقلوا الرياسة عن بيته الى غيرهم . والله تعالى مقلب الامور .

وقد يزعم كثير من الناس أن ورديفة من بني جابر ليسوا من جشم ،
 وانهم بطن من بطون سدراتة احدى شعوب لواتة من البربر ، ويستدلون
 على ذلك بموطنهم وجوارهم البربر ، والله تعالى أعلم بحقيقة ذلك .

وأما سفيان فهم الذين كانت لهم الرياسة والشوكة عند دخول
 العرب الى المغرب ، كانت رياستهم يومئذ في اولاد جرمون على سائر بطون
 جشم ، واستمروا على ذلك سائر أيام الموحدين ، ولا ضعف أمر بني عبد
 المؤمن استكنروا بهم في حروبهم ، فكانت لهم عزة ودالة على الدولة بسبب
 الكثرة وقرب العهد بالداوة ، وخبوا ووضعوا في الفتن مع أعقاب الملوك
 من بني عبد المؤمن المتنازعين على الملك ، وظاهروا البعض منهم على البعض
 وسامت آثارهم بالمغرب .

وكان شيخهم المشهور على عهد يحيى بن الناصر الموحدى جرمون

بن عيسى السفيناني ، وكانت بينهم وبين الخاط عدواة ، فصارت الخلط شيعة للمأمون وبنيه ؛ وصارت سفينان بسبب ذلك شيعة ليحيى بن الناصر منازعة في الخلافة بمراكش ، ثم قتل الرشيد بن المأمون مسعود بن حميدان شيخ الخلط رحما نذكر بعد ؛ فصاروا الى يحيى ابن الناصر ، وصارت سفينان الى الرشيد .

ثم ظهر بنو مرين بالمغرب واتصلت حروبهم مع الموحدين ، ونزع جرمون سنة ثمان وثلاثين وستمائة عن الرشيد ولحق بمحمد بن عبد الحق المريني حياء مما وقع له مع الرشيد ، وذلك أنه نادمه ذات ليلة حتى سكر ، فقام يرقص طربا ؛ ثم حمل عليه وهو سكران وعربد وأساء الادب ، ثم أفاق فدم ، وفر الى محمد بن عبد الحق ، وهلك سنة تسع وثلاثين بعدها ؛ وعلا كعب ابنه كانون بن جرمون عند السعيد بن المأمون ، ثم خالف عليه عند نهوضه الى بني مرين سنة ثلاث وأربعين وستمائة ، ورجع الى آزموور لملكها ، وقت ذلك في عضد السعيد فرجع عن حركه وقصد كانون بن جرمون ، ففر أمامه ثم حضر معه بعد ذلك حركه الى تلمسان ، وقتل بحصن تامزردكت قبل مقتل السعيد بيوم واحد ، قتله الخلط في فتنه وقعت بينهم في محلة السعيد ، وهي التي جرت عليها تلك الواقعة .

وقام بأمر سفينان من بعده أخوه يعقوب بن جرمون ، وقتل ابن أخيه محمد بن كانون ، وحضر مع عمر المرتضى الموحدي حركة امان ايملولين سنة تسع وأربعين وستمائة ، فرحل يعقوب عن السلطان ، واختل عسكره بسبب ذلك ؛ فرجع وأتبعه بنو مرين فكانت الهزيمة ، ثم عفا له المرتضى عنها ، ثم قتله مسعود وعلى ابنا أخيه كانون بنار أخيهما محمد سنة تسع وخمسين وستمائة ، ولحقا يعقوب بن عبد الحق المريني ؛ وقدم المرتضى انه عبد الرحمن فعجز عن القيام بأمره ، فقدم عمه عبد الله بن جرمون فعجز أيضا ، فقدم مسعود بن كانون فأقام شيخا على سفينان ، واستمرت حالهم مع الموحدين وبني مرين على هذا النحو من اخلاص الطاعة والنصرة

تارة ، والتمريض فيهما أخرى .

قال ابن خلدون : « واتصلت الرياسة على سفيان في بني جرمون هؤلاء الى عهدنا » قال : « وأدركت شيخا عليهم لعهد السلطان أبي عنان يعقوب بن علي بن منصور بن عيسى ابن يعقوب بن جرمون بن عيسى . » وكانت سفيان هؤلاء أحياء حلولا بأطراف تامسنا مما يلي آسفي ، وغلبتهم الخلط على بساطها الفسيحة ، وبقي من أحيائهم الحارث والكلابية ينتجعون أرض السوس وقفاره . ويطلبون ضواحي بلاد حاحة من المطامدة فبقيت فيهم لذلك شدة وبأس . ورياستهم في أولاد مطاع من الحرث ، وطال عيشهم في ضواحي مراکش وفسادهم ، فلما استبد سلطان مراکش الأمير عبد الرحمن بن أبي يفلوسن المريني سنة ست وسبعين وسبعمائة كما نذكر استخلصهم ورفع منزلتهم ، ثم استقدمهم في بعض أيامه للعرض بخيلهم ورجلهم على العادة ؛ وشيخهم يومئذ منصور بن يعيش من أولاد مطاع ، فقبض عليهم أجمعين ، وقتل من قتل منهم ، وأودع الآخري سجونهم ؛ فذهبوا مثلا للآخرين وخضضت شوكتهم والله قادر على ما يشاء .

وأما الخلط فقد كانوا بسيط تامسنا أولى عدد وقوة ، وكان شيخهم هلال بن حميدان بن مقدم ، ولما ولي العادل بن المنصور الموحدى خالفوا عليه وهزموا عساكره ، وبعث هلال بيعته الى المأمون بن المنصور سنة خمس وعشرين وستمائة ، وتبعه الموحدون على ذلك ، ثم جاء المأمون فظاهروه على أمره ، وتحيزت أعداؤهم الى يحيى بن الناصر منازعه ، ولم يزل هلال بن حميدان مع المأمون الى أن هلك في حركته سنة ، وبايع بعده لابنه الرشيد وجاء به الى مراکش ، وهزم سفيان واستباحهم ، ثم هلك هلال بن حميدان فولى مكانه أخوه مسعود بن حميدان ، ثم خالف على الرشيد فاحتال الرشيد عليه حتى وفد عليه بمراكش فقتله في جماعة من قومه سنة اثنتين وثلاثين وستمائة ، وولى أمر الخلط بعده يحيى بن هلال وفر بقومه الى يحيى بن الناصر وحاصروا مراکش ثم استولوا عليها وعانوا

بها ، وخرج الرشيد الى سجلماسة ، ثم عاد اليهم سنة ثلاث وثلاثين
 بعدها وغلبهم عليها ، ثم راجعوا طاعة الرشيد وطردهوا يحيى بن الناصر
 الى بنى معقل عرب الصحراء ، فقبض الرشيد على وشاح وعلى ابني هلال
 وسجنهم بآزمور سنة خمس وثلاثين وستمائة ، ثم أطلقهم ثم بعد ذلك
 عذر بمشيختهم بعد الاستدعاء والتأسيس وقتلهم أجمعين . ثم بعد ذلك
 حضروا مع السعيد بن المأمون حركه الى بنى عبد الواد أصحاب تلمسان ،
 زجروا عليه الواقعة حتى قتل فيها بسبب فتنتهم مع سفيان يومئذ ، فلم يزل
 المرتضى يعمل الحيلة فيهم الى أن قبض على أشياخهم سنة اثنين وخمسين
 وستمائة فقتلهم ، ولحق عواج بن هلال بن حميدان بنى مريـن ، وقدم
 المرتضى عليهم على بن أبي علي من بيت الرياسة فيهم ، ثم رجع عواد الى
 الموحدين سنة أربع وخمسين وستمائة فأغزاه على بن أبي علي فقتل في
 غزاته تلك .

ثم كانت واقعة أم الرجلين لبنى مريـن على المرتضى سنة ستين وستمائة ؛
 فنزع على بن أبي علي الى بنى مريـن ، ثم صار الخلط كلهم الى بنى مريـن ،
 وكانت الرياسة فيهم أول دولة بنى مريـن لابي عطية مهلهل بن يحيى
 الخلطى ، وأصهر اليه السلطان يعقوب بن عبد الحق ، فأنكحه مهلهل ابنته
 عائشة التى كان منها ابنه السلطان أبو سعيد بن يعقوب ، ولم يزل مهلهل
 كبيرا عليهم الى أن هلك سنة خمس وتسعين وستمائة ، ثم قام بأمر الخلط
 ابنه عطية ، وكان لعهد السلطان أبى سعيد وابنه السلطان أبى الحسن ،
 وبعثه السلطان أبو الحسن سفيرا عنه الى سلطان مصر الملك الناصر محمد
 بن قلاوون .

ولما هلك عطية قام بأمر الخلط ابنه عيسى بن عطية ، ثم ابن أخيه
 زمام بن ابراهيم بن عطية ، وهو الذى بلغ المبالغ من العز والترف والدالة
 على السلطان ، والقرب من مجلسه الى أن هلك ؛ فولى أمر الخلط بعده
 أخوه أحمد بن ابراهيم ، ثم أخوهما سليمان بن ابراهيم ، ثم أخوهم مبارك

ابن ابراهيم على مثل حالهم أيام السلطان أبي عنان المريني ومن بعده ، الى
 أن كانت الفتنة بالمغرب بعد مهلك السلطان أبي سالم المريني ، واستولى على
 المغرب أخوه السلطان عبد العزيز ، وأقطع ابنه ناحية مراكش ، فكان
 ابراهيم بن عطية هذا معه .

ولما قبض على أبي الفضل قبض على مبارك المذكور . وأودع السجن
 الى أن غلب السلطان عبد العزيز على عامر بن محمد الهنتاتي وقتله ، فقتل
 معه مبارك بن ابراهيم هذا لما كان يعرف به من صحبته ومدخلته في الفن
 كما يذكر في أخبار بني مرين ، وولي ابنه محمد بن مبارك على قبيل
 الخلط .

قال ابن خلدون : « الا أن الخلط اليوم دثرت كأن لم تكن بما أصابهم من
 الحصب والتurf منذ مائتين من السنين بذلك البسيط الافيج ، زيادة على
 العز والدعة ، فأكلتهم السنون وذهب بهم الترف ، والله غالب على
 أمره » اه .

ولما انقضت الدولة المرينية من المغرب وجاءت دولة الشرفاء
 السعديين وقام منهم أبو عبد الله محمد الشيخ المعروف بالمهدي انحاشت
 الخلط اليه ، وأظهروا الخدمة والنصيحة ، وغلب محمد الشيخ المذكور على
 فاس وأخرج أبا حسون الوطاسي عنها ؛ فذهب أبو حسون المذكور الى
 دولة الترك بالجزائر واستنصر بهم على السعديين فلبوا دعوته ، وقدم معه
 منهم عسكر جرار الى فاس فأخرجوا محمد الشيخ السعدي عنها بعد حروب
 عظيمة جرت الخلط هؤلاء عليه فيها الهزيمة ، فلما استقل بالامر محمد
 الشيخ المذكور خلع الخلط من الجندي ووظف عليهم الخراج ومحا اسمهم
 من ديوان الخدمة ، ونقل أعيانهم الى مراكش واتخذهم رهائن عنده .

ولم يزل الامر كذلك الى دولة السلطان أبي العباس أحمد المنصور
 السعدي المعروف بالذهبي ، فرأى جلاد الخلط وقتالهم يوم وادي المخازن
 وابلاهم الابلاء الحسن ؛ فاختر النصف منهم وردهم الى الجندي ، وأبقى

التصف الآخر في غمار الرعية ، ونقلهم الى أزغار فاستوطنوه ؛ فعاثوا في تلك البلاد وأكثروا فيها الفساد ، ومدوا أيديهم الى أولاد مطاع فنهبهم وضايقوا بنى حسن فكثرت الشكاية بهم الى المنصور السعدي ، فضرب عليهم مغرما سبعين ألفا ، فلم يزيدوا الا شدة ؛ فضرب عليهم بعثا الى تكرارين من أرض الصحراء فامتنعوا من ذلك ؛ فبعث اليهم القائد موسى بن أبي جمادة العمري فاتتزع منهم الخيل وأبقاهم رجالة ، ثم حكم فيهم السيف فمزقهم كل ممزق ؛ ومن ثم خمدت شوكتهم ولانت للغامز قناتهم ، ثم ختموا أعمالهم بفعلتهم الشنعاء التي ملأت الأفواه وأسالت من الجفون الامواه ؛ وهي قتلهم ولي الله تعالى المجاهد في سبيله أبا عبد الله سيدي محمد العياشي المالكي رحمه الله . فما زانا نسمع أن قبيلة الخلف اما سلبوا العز منذ قتلهم للولي المذكور ؛ وكان ذلك في المحرم سنة احدى وخمسين وألف ، والله تعالى أعلم .

الخبر عن بنى معقل عرب الصحراء من ارض المغرب

وتحقيق نسبهم وبيان شعوبهم وبطونهم

قال ابن خلدون : « هذا القبيل لهذا العهد من أوفر قبائل العرب ومواطنهم بقفار المغرب الأقصى ، مجاورون لبني عامر من زغبة الهلاليين في مواطنهم بقبلة تلمسان ؛ ويتنهبون الى البحر المحيط من جهة الغرب ، وهم ثلاثة بطون . ذوى عبيد الله ؛ وذوى منصور ، وذوى حسان .

فذوى عبيد الله منهم هم المجاورون لبني عامر ، ومواطنهم بين تلمسان وتاوريرت في التل وما يواجهها من القبلة ، ومواطن ذوى منصور من تاوريرت الى بلاد درعة فيستولون على ملوية كلها الى سجلماسة وعلى درعة وما يحاذيها من التل ، مثل تازا وغساسة ومكناسة وفأس وبلاد تادلا والمعدن (الاستصا - ثاني - 12)

ومواطن ذوى حسان من درعة الى البحر المحيط ؛ وينزل شيوخهم بلاد نول
قاعدة السوس ، فيستولون على السوس الاقصى وما اليه وينتجعون كلهم فى
الرمال الى مواطن الملتمين من كدالة ومسوفة وملتونة .

وكان دخولهم الى المغرب مع الهلالين فى عدد قليل يقال انهم لم
يلغوا المائتين ، واعترضتهم بنو سليم فأعجزوهم وتجزوا الى الهلالين منذ
عهد قديم ؛ ونزلوا باخر مواطنهم مما بلى ملوية ورمال تافيلالت ، وجاوروا
زناتة فى القفار فغفوا وكتروا وأثروا فى صحارى المغرب الاقصى ؛ فعمروا
رماله وتقلبوا فى فيافيه ، وكانوا هنالك أحلافا لزناتة سائر أيامهم ؛ وبقي
منهم بأفريقية جمع قليل اندرجوا فى جملة بنى كعب بن سليم ودخلوهم
حتى كانوا وزراء لهم فى الاستخدام للسلطان واستتلاف العرب . فلما
ملك زناتة بلاد المغرب ودخلوا الى الامصار والمدن أقام بنو معقل هؤلاء
فى القفار ، وتفردوا فى البيداء فموا نموا لاكفاء له ؛ وملكوا قصور
الصحراء التى اختطها زناتة بالقفر مثل قصور السوس غربا . ثم توات ؛
ثم بودة ، ثم تمنطيت ؛ ثم واركلان ؛ ثم تاسييت ، ثم تيكراين شرقا ،
وكل واحد من هذه وطن منفرد يشتمل على قصور عديدة ذات نخيل وأنهار
وأكثر سكانها من زناتة وبينهم فنن وحروب على رياستها . فحازت عرب
معقل هذه الاوطان فى مجالاتهم ، ووضعوا عليها الاتاوات والضرائب
وصارت لهم جباية يعتدون فيها ملكا .

وكانوا فى تلك المدة السالنة يعطون الصدقات للملوك زناتة ويأخذونهم
بالدماء والطوائل ، ويسمونها جمل الرحيل ، وكان لهم الحيار فى تعيينها ؛
ولم يكن هؤلاء العرب يحمون من أطراف المغرب وتلوله حمى . ولا
بعرضون لسابلة سجلماسة ولا غيرها من بلاد الصحراء بأذية ولا مكروه ،
لما كان بالمغرب من اعتزاز الدين وسد الثغور وكثرة الحامية أيام الموحدين
وزناتة من بعدهم .

وكان لهم بازاء ذلك أقطاع من الدول يمدون الى أخذه اليد السفلى

وعدددهم قليل كما قلنا ، وانما كثروا بمن اجتمع اليهم من القبائل من غير
نسبهم ، فان فيهم من فزارة بن ذبيان بن بغيض بن ريث بن غطفان بن
سعد بن قيس عيلان بن مضر ، وفيهم من أشجع بن ريث بن غطفان احياء
كبيرة ، يظعنون مع بنى معقل بجهات سجلماسة ووادي ملوية ، ولهم عدد
وذكر ؛ وفيهم الصباح من الاخضر ؛ ويقولون انهم من ولد أخضر بن
عامر وعامر هذا هو - والله أعلم - من ولد رياح الهلالين ، وفيهم المهابة
من عياض احدى بطون الاثبج الهلالين ؛ وفيهم العمور من الاثبج أيضا ،
وفيهم بطون آخر من بنى هلال وبنى سليم وغيرهم .

وأما انسابهم عند الجمهور فخفية ومجهولة ، والنسابون من عرب
هلال يعدونهم من بطونهم وهو غير صحيح ؛ وهم - أعنى بنى معقل -
يزعمون أن نسبهم في أهل البيت الى جعفر بن أبي طالب ، وليس ذلك
أيضا بصحيح ؛ لان الطالبيين والهاشميين لم يكونوا أهل بادية ونجعة .

هكذا ذكر ابن خلدون ، لكنه لما تكلم على جهينة احدى بطون
قضاة ؛ وذكر أنهم نزلوا بلاد الصعيد وملاؤها . قال : « ونزل معهم في
تلك المواطن من اسوان الى قوص بنو جعفر بن أبي طالب حين غلبهم
بنو الحسن على نواحي المدينة وأخرجوهم منها ؛ فهم يعرفون بينهم بالشرفاء
الجعافرة ، ويحترفون في غالب أحوالهم بالتجارة ، اه كلامه . فعلى هذا
لايعد أن تكون طائفة من هؤلاء الجعافرة قد انتقلوا من أرض الصعيد
ودخلوا مع بنى هلال الى بلاد المغرب وأوطنوا صحراءه ، وهم بنو معقل
المذكورون ؛ والناس مصدقون في انسابهم . والله تعالى أعلم بحقائق
الامور .

ثم قال ابن خلدون : « والصحيح والله أعلم من أمرهم أنهم من
عرب اليمن . فان في اليمن بطنين يسمى كل واحد منهما معقل ؛ ذكرهما
ابن الكلبي وغيره فأحدهما من قضاة بن مالك بن حمير ؛ وهو معقل بن
كعب بن عليم بن جناب وينتهي نسبه الى قضاة والآخر من بنى الحرث

بن كعب أصحاب نجران ؛ الذين كان منهم بنو عبد المذان ملوك نجران
 في الجاهلية والاسلام ، وهو معقل بن كعب بن ربيعة بن كعب بن الحرث
 بن كعب ؛ وينتهي نسبه الى كهلان « قال : « والانساب ان يكونوا من هذا
 البطن الآخر ؛ وقد عده الاخباريون في بطون هلال الداخلين الى افريقية
 نجاورتهم في الوطن » قال : ومن املاء نسابهم ان معقلا جدهم له من الولد
 سجير ومحمد ؛ فولد سجير : عبيد الله ، وتعلب ؛ فمن عبيد الله ذوى عبيد
 الله البطن الكبير منهم ؛ ومن تعلب الثعالب الذين كانوا ببسيط متيجة من
 نواحي الجزائر ، وولد محمد : مختارا ومنصورا وجلالا وسالما وعثمان ؛
 فولد مختار بن محمد حسان وشبابة ، فمن حسان ذوى حسان البطن
 المذكور أهل السوس الاقصى ، ومن شبابة الشبانات جيرانهم هنالك ، ومن
 جلال وسالم وعثمان الرقيطات بادية في ذوى حسان يتتبعون معهم ؛ وولد
 منصور بن محمد حسينا وأبا الحسين وهما شقيقان ، وعمران ومنبا وهما
 شقيقان أيضا وهما الاحلاف ، ويقال لعمران العمرانية ؛ ولنبا المنبات ؛ ثم
 يقال لجميع البطون الاربعة ولد منصور بن محمد ذوى منصور ، وهم احدى
 بطونهم الثلاث المذكورة والله تعالى أعلم بغيه .

فهذه أصول عرب المغرب الاقصى وكيفية دخولهم اليه واستيطانهم
 اياه ، وبعض فصولهم قد ذكرناها ملخصة من تاريخ امام الفن أبى زيد عبد
 الرحمن بن خلدون ؛ ومن جمهرة الانساب لابن حزم . وزدنا ما يحتاج
 منها الى البيان بيانا والله تعالى الموفق .

ولنرجع الى ما كنا بسيله من أخبار أمير المؤمنين يعقوب المنصور
 رحمه الله ، فانه لما رجع من افريقية الى مراکش سنة أربع وثمانين
 وخمسائة رفع اليه أن أخاه السيد أبا حفص صاحب مرسية الملقب
 بالرشيد ، وعمه السيد أبا الربيع صاحب تادلا عندما بلغهما خبر الوقعة
 التي كانت على مقدمة المنصور بأفريقية حدثا أنفسهما بالتوثب على الخلافة ،
 فلما قدما عليه بالتهنئة أمر باعتقالهما خلال ما استملا أمرهما ثم قتلها ،

وعقد للسيد أبي الحسن ابن السيد أبي حفص على بجاية . وفي سنة
خمس وثمانين وخمسمائة شرع المنصور في ادخال ساقية الماء الى مراکش
ثم تأقت نفسه الى الجهاد فكان منه ما نذكره .



الجواز الاول ليعقوب المنصور رحمه الله إلى الاندلس بقصد الجهاد

قال ابن أبي زرع : وفي سنة خمس وثمانين وخمسمائة تحرك أمير
المؤمنين يعقوب المنصور الى الاندلس برسم غزو بلاد غربتها ؛ وهي أولى
غزواته ، فعبّر من قصر المجاز الى الخضراء يوم الخميس الثالث من ربيع الاول
من السنة المذكورة ثم نهض من الخضراء حتى نزل شتيرين ، وشن الغارات
على مدينة اشبونة وأنجائها ؛ فقطع الثمار وحرق الزروع وقتل سبا وأضرم
النيران في القرى وأبلغ في النكاية ؛ وانصرف الى العدو بثلاثة عشر ألفا
من السبي ، فدخل فاسا في آخر رجب من السنة المذكورة .



مراسلة السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب

صاحب مصر ليعقوب المنصور رحمهما الله والتماسه منه الاساطيل للجهاد

كانت الفرنج قد ملكوا سواحل الشام في آخر الدولة العبيدية منذ
تسعين سنة قبل هذا التاريخ ، وملكوا معها بيت المقدس شرفه الله ؛ فلما
استولى السلطان صلاح الدين رحمه الله على ديار مصر والشام اعزم على
جهادهم ، وصار يفتح حصونهم واحدا بعد واحد حتى أتى على جميعها .
وافتح بيت المقدس سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة ، وهدم الكنيسة التي

بواجيه ؟ وانقضت أمم النصرانية من كل جهة ، وتابعت أساطيلهم الكفرية بلمدد من كل ناحية لتلك الثغور القريبة من بيت المقدس ، واعترضوا أسطول صلاح الدين في البحر ولم تقاومهم أساطيل الاسكندرية لضعفها يومئذ عن ممانعتهم فبعث صلاح الدين صريخة الى المنصور سنة خمس وثمانين وخمسائة (١) يطلب إغاثة بالاساطيل لمنازلة عكاه وصور وطرابلس الشام ، وأوفد عليه أبا الحرث عبد الرحمن بن منقذ من بيت بنى منقذ ملوك شيزر من حصون الشام ، وكان صلاح الدين قد ملكها من أيديهم وأبقى عليهم في دولته ، فبعث صلاح الدين عبد الرحمن هذا الى يعقوب المنصور طالبا مدد الاساطيل لتحويل في البحر بين أساطيل الفرنج وبين أمداد النصرانية بالشام ، ولمنازلة الثغور التي ذكرنا .

وبعث معه الى المنصور بهدية تشتمل على مصحفين كريمين منسويين ومائة درهم من دهن البلسان ، وعشرين رطلا من العود ، وستمائة منقال من المسك والعنبر وخمسين قوسا عربية بأوتارها ، وعشرين من النصول الهندية ، وسروج عدة متقلة ، فوصل الى المغرب فصادف المنصور بلاندلس فانتظره بفاس الى أن رجع فلقبه وأدى الرسالة وقدم الهدية .

وكان الكتاب الذي بعث به صلاح الدين من انشاء الاديب عبد الرحيم البيسنى المعروف بالقاضى الفاضل ، وكان عنوان الكتاب من صلاح الدين الى أمير المسلمين وفي أوله النكير الى الله تعالى يوسف بن أيوب ، وبعده : الحمد لله الذى استعمل على الملة الحنيفة من استعمر الارض ، وأغنى من أهلها من سألته القرض ، وأجرى من أجرى على يده النافلة والقرض ، وزين سماء الملة بدرارى الذرارى التى بعضها من بعض ، وهو كتاب طويل .

ولما وقف عليه المنصور ورأى تجافيهم فيه عن خطابه بأمر المؤمنين لم يعجبه ذلك ، وأسرها فى نفسه ، وحمل الرسول على مناهج البر

(١) صوابه ست وثمانين [راجع كتاب الروضتين للمقدسى ج ٢ ص ١٧٣]

والكرامة ؟ ورده الى مرسله ولم يجبه الى حاجته ، ويقال أنه جهز له بعد ذلك مائة وثمانين أسطولا ، ومنع النصرى من سواحل الشام . والله تعالى أعلم .

قال ابن خلدون (٢) : وفي هذا دليل على اختصاص ملوك المغرب يومئذ بالاساطيل الجهادية . وعدم عناية الدول بمصر والشام لذلك العهد . بها ، وكان ابن منقذ المذكور قد مدح المنصور بقصيدة يقول فيها :

سأشكر بحرا ذا عباب قطعنه الى بحر جود ما لأخراه ساحل
الى معدن التقوى الى كعبة الندى الى من سمت بالذكر منه الاوائل
اليك أمير المؤمنين ولم تنزل الى بابك المأمول تزجي الرواحل
قطعت اليك البر والبحر موقنا بأن نذاك الغمر بالنجح كافل
وحزت بقصديك العلى فبلغتها وأدنى عطاياك العلى والقواضل
فلا زلت للعلياء والجلود بانيا تبلغك الآمال ما أنت أمل
وعدتها أربعون بيتا ، فأعطاه بكل بيت ألفا ؟ وقال له : انما أعطيناك
لنفضلك وليتيتك ، يعنى لا لاجل صلاح الدين .



عود المنصور الى افريقية والسبب في ذلك

لما قدم المنصور من الاندلس الى فاس وفرغ من شأن ابن منقذ تواترت اليه الاخبار بأن ابن غانية قد ظهر بأفريقية ، فنهض اليها من فاس في ثامن شعبان من تلك السنة ، فدخل تونس في أول ذى القعدة منها

(٢) هذا النقل غير موجود في ابن خلدون سواء في النسخة المطبوعة بالقاهرة سنة ١٢٨٤ أو المطبوعة بالجزائر سنة ١٢٦٣ [١٨٤٧] ولعل المؤلف نقلها عن نسخة أخرى خطية وربما تكون هي النسخة المخطوطة التي كان وقف عليها عند أحد عمال الغرب المعروف بولد الضاوية وهي التي استعملها عند جمعها لهذا التاريخ هـ .

فألقى بلاد أفريقية ساكنة وقد فر ابن غانية عنها إلى الصحراء حين سمع
بقدومه .

وفي سنة ست وثمانين وخمسمائة استولى الفرنج على مدينة شلب وباجة
ويابورة من غرب الأندلس ، وذلك لما علموا أن المنصور قد أبعدهم
واشتغل بأمر أفريقية ، فاعتنموا الفرصة فيها ؛ واتصل الخبر بالمنصور
فغاضه ذلك وأعظمه ، وكتب إلى قواد الأندلس يوبخهم ويأمرهم بغزو
بلاد الفرنج ويعلمهم أنه قادم عليهم في أثر كتابه ، فاجتمع قواد الأندلس
إلى محمد بن يوسف وإلى قرطبة ، فخرج بهم في جيش كثيف من الموحدين
والعرب وأهل الأندلس حتى نزل على شلب فشدد عليها الحصار وتابع
عليها القتال حتى فتحها وفتح قصر أبي دانس ومدينة باجة ويابورة ورجع
إلى قرطبة فدخلها بخمسة عشر ألفا من السبي وثلاثة آلاف أسير قدمهم
بين يديه في القفائن خمسون علجا في كل قطينة ، وذلك في شوال سنة
سبع وثمانين وخمسمائة .

وفي هذا الشهر رجع المنصور من أفريقية فاتمى إلى تلمسان فأقام
بها إلى آخر السنة المذكورة ، وفي فاتح محرم من سنة ثمان وثمانين وهي
سنة آكروا وخرج المنصور من تلمسان إلى فاس وهو مريض ، فكان يركب
في آكروا ، فدخل فاسا وأقام بها مريضا سبعة أشهر حتى أبل من علته ،
ثم نهض إلى مراکش فأقام بها إلى سنة إحدى وتسعين وخمسمائة ؛ ثم
نهض منها إلى الأندلس بقصد الجهاد ، وكان ما نذكره إن شاء الله .



الغزوة الكبرى بالارك من بلاد الاندلس



قال ابن خلكان . كان يعقوب المنصور رحمه الله قد خافه الفتنس صاحب طليطلة وسأله الصلح فصالحه الى خمس سنين ، فلما انقضت مدة الهدنة ولم يبق منها الا القليل خرجت طائفة من الفرنج في جيش كنيف الى بلاد المسلمين ، فنهبوا وسبوا وعاثوا عينا فظيما ؛ فانتهى الخبر الى أمير المؤمنين يعقوب المنصور وهو بمراكش فتجهز لقصدهم في جيش عرمرم من قبائل الموحدين والعرب ، واحتفل في ذلك وعبر البحر الى الاندلس سنة احدى وتسعين وخمسائة ؛ واتصل بالفرنج عبوره اليهم فجمعوا خلقا كثيرا من أقصى بلادهم وأدانيها وأقبلوا نحوه .

قال ابن خلكان : وقد رأيت بدمشق جزء بخط الشيخ الحافظ تاج الدين عبد الله بن حموية السرخسي ، وكان قد سافر الى مراكش وأقام بها مدة ؛ وكتب فصولا تتعلق بتلك الدواة ، فمن ذلك فصل يتعلق بهذه الواقعة فينبغي ذكره هنا .

قال : لما انقضت الهدنة بين أمير المؤمنين يعقوب المنصور وبين الازفونش الفرنجي صاحب غرب جزيرة الاندلس ، وقاعدة مملكته يومئذ طليطلة ، وذلك في أواخر سنة تسعين وخمسائة عزم يعقوب المنصور - وهو يومئذ بمراكش - على التوجه الى جزيرة الاندلس لمحاربة الفرنج ، وكتب الى ولاة الاطراف وقواد الجيوش بالحضور ، وخرج الى مدينة سلا ليكون اجتماع العساكر بظاهرها . فاتفق أنه مرض مرضا شديدا حتى يش منه أطباؤه ، فتوقف الحال عن تدبير تلك الجيوش . وحمل يعقوب المنصور الى مراكش وهو مريض ، فطمع المجاورون له من العرب وغيرهم في انبلاد وعاثوا فيها ، وأغاروا على النواحي والاطراف ؛ وكذلك فعل الازفونش فيما يليه من بلاد المسلمين بالاندلس . واقتضى الحال تفرقة الجيوش التي جمعها يعقوب المنصور شرقا وغربا ، واشتغلوا بالمدافعة

والممانعة ، فكثر طمع الازفونش في البلاد ؛ وبعث رسولا الى أمير المؤمنين يعقوب المنصور يتهدد ويتوعده ، ويطلب بعض الحصون المتاخمة له من بلاد الاندلس ، وكتب اليه رسالة من انشاء وزير له من ضعفاء المسلمين يعرف بابن الفخار ، وهي : « باسمك اللهم فأطر السموات والارض ، وحلى الله على السيد المسيح روح الله وكلمته الرسول النصيح ، أما بعد ، فإنه لا يخفى على ذى ذهن ثاقب ؛ ولا ذى عقل لازب ، انك أمير الملة الحنيفة ، كما أنى أمير الملة النصرانية ، وقد علمت الآن ما عليه رؤساء الاندلس من التخاذل والتواكل ، واهمال أمر الرعية ، واخلادهم الى الراحة ؛ وأنا أسومهم بحكم القهر وخلاء الديار ؛ وأسبى الذرارى وأمل بالرجال ، ولا عذر لك في التخلف عن نصرهم اذا أمكتك يد القدرة ، وأنتم تزعمون أن الله فرض عليكم قتال عشرة منا بواحد منكم ، فالآن خفف الله عنكم وعلم أن فيكم ضعفا ، ونحن الآن نقاتل عشرة منكم بواحد منا ، لا تستطيعون دافعا ولا تملكون امتناعا ، وقد حكى لى عنك أنك أخذت في الاحتفال ، وأشرفت على ربوة القتال ، وتماطل نفسك عاما بعد عام ، تقدم رجلا وتؤخر أخرى ، فلا أدري أكان الجبن ق أبطأ بك أم التكذيب بما وعد ربك ؟ ثم قيل لى انك لا تجد الى جواز البحر سيلا لعله لا يسوغ لك التقحم معها ، وها أنا أقول لك ما فيه الراحة لك ، وأعتذر لك وعنك ، على أن تفسى بالمهود والموائيق والاستكنار من الرهان ، وترسل الى جملة من عبيدك بالمرائب والشوانى والطرائد والمسطحات ؛ وأجوز بجمهتي اليك فأقاتلك فى أعز الاماكن لديك ، فان كانت لك فغنيمة كبيرة جلبت اليك ؛ وهديمة عظيمة مثلت بين يديك ، وان كانت لى كانت يدي العليا عليك ، واستحققت امارة الملتين والحكم على البرين ! والله تعالى يوفق للسعادة ويسهل الارادة ، لا رب غيره ولا خير الا خيره . »

فلما وصل كتابه الى أمير المؤمنين يعقوب المنصور مزقه وكتب على ظهر قطعة منه ، وكان المنصور يضرب به المثل فى حسن التوقيع كما يأتي فى بقية أخباره : « ارجع اليهم فلنأتينهم بجنود لا قبل لهم بها ولنخرجنهم

منها

من

الس

المع

مر

و

و

و

و

و

و

و

و

و

و

و

و

و

و

و

و

و

و

و

و

و

و

منها أذلة وهم صاغرون ، ثم كتب الجواب ما ترى لا ما تسمع ، فهو أول من تكلم به فأرسله مثلا ، وأنشد ممثلا :

«ولا كتب إلا المشرفية والقنى ولا رسل إلا الخميس العرمم»

ثم أمر بالاستنفار ، واستدعاء الجيوش من الامصار ؛ وضرب السراقات بظاهر البلد من يومه ، وجمع العساكر ، وسار الى البحر المعروف بزقاق سبته يريد الاندلس .

وقال ابن أبي زرع : خرج أمير المؤمنين يعقوب المنصور من حضرة مراکش يوم الخميس الثامن عشر من جمادى الاولى سنة احدى وتسعين وخمسائة يولى السير ويطوى المناهل ولا يلوى على فارس ولا راجل ، والجيوش تتابع فى أثره من سائر الاقطار ، فلما انتهى الى قصر المجاز أخذ بى اجازة الجيوش الواردة عليه ، لا يفرغ من طائفة الا وقد لحقت بها أخرى فأجاز أولا قبائل العرب ، ثم زناتة ، ثم المصامدة ؛ ثم غمارة ؛ ثم المنطوعة من قبائل المغرب ، ثم الاغزاز والرماة ، ثم الموحدون ؛ ثم العبد ؛ أجاز أمير المؤمنين فى أثرهم فى موكب عظيم من أشيخ الموحدين وأهل النجدة والزعامة ومعه فقهاء المغرب وصلحاؤه ؛ واستقر بالجزيرة الخضراء بعد صلاة الجمعة الموفى عشرين من رجب من السنة المذكورة ، فأقام بها يوما واحدا .

ثم نهض الى العدو قبل أن تخدم قرائح المجاهدين وتضعف نياتهم ؛ سار حتى بقى بينه وبين حصن الادرك الذى كان العدو نازلا بازائه نحو مرحلتين ، فنزل هنالك وذلك يوم الخميس ثالث شعبان من السنة ؛ فجمع الناس ذلك اليوم وفاوضهم ووعظهم ، ثم اختص أهل الاندلس بمزيد المشورة ، وقال لهم : « ان جميع من استشرته وان كانوا أولى بأس ومعرفة بالحرب لكنهم لا يعرفون من قتال الفرنج ما تعرفونه أتم ، لتمرسكم بهم وتمرسهم بكم » ، فأحالوه فى رأى على القائد أبى عبد الله بن صناديد ، فعول المنصور رحمه الله فى ذلك على رأيه .

وقال ابن الخطيب في رقم الحلل : ان أمير المؤمنين المنصور رحمه الله عرض جيشه ، وأخذ في تقريب القرب الى الله تعالى بسين يدي جهاده ، صرح السجون ؛ وأدر الارزاق ، وعين الصدقات ، ورحل فنزل الارك وقد خيمت بأحوازه محلات العدو يضيق عنها المتسع ، وقام المنصور بعد أن اجتمع الناس فحلل من المسلمين وقال : « أيها الناس اغفروا لي فيما عسى أن يكون صدر مني » فبكى الناس وقالوا : « منكم يطلب الرضى والغفران » وخطب الخطباء بين يديه محرضين ومذكرين فنشط الناس وطابت النفوس ومن الغد صدع المنصور بالنداء وأمر بأخذ السلاح والبروز الى اللقاء ، فكانت التعبئة تحت الفلج .

وحكى ابن أبي زرع أن المنصور بات تلك الليلة عاكفا بمصلاة على الركوع والسجود ، وانه أغفى اغفاءة فرأى ملكا نزل من السماء فسي صورة بشر وبيده راية خضراء وبشره بالفتح ؛ وأنشده في ذلك أبياتا بقيت على ذكر المنصور الى أن استيقض وقص رؤياه على وجوه الجنود ، فآزداد الناس طمأنينة وبصيرة .

فلما كان يوم السبت خامس شعبان جلس المنصور في قبته الحمراء المعدة للجهاد ، ثم دعا بكبير وزرائه الشيخ أبي يحيى بن أبي حفص وقدمه على ذلك الجيش ؛ وعقد له رايته وقدمه بين يديه ففرقت على رأسه الرايات ، وقرعت بين يديه الطبول ؛ وسار في قبيل هنتاة وبين يديه القائد ابن صناديد في جيش الاندلس ؛ ثم عقد المنصور لجرمون بن رياح على قبائل العرب - ولنديل بن عبد الرحمن المغراوي على قبائل مغراوة ؛ ولحميوا ابن أبي بكر بن حمامة المريضي جد الملوك المرينيين على قبائل بني مرين ، ولجابر بن يوسف العبد الوادي على قبائل بني عبد الواد ، ولعباس بن عطية التوجيني على قبائل بني توجين ، ولتلجين بن علي على قبائل هسكورة وسائر المصامدة ، ولمحمد بن منغفاد على قبائل غمارة ، وعقد للنقيه الصالح أبي خزر بخلف بن خزر الاوربي على المتطوعة .

وقال ابن خلدون : ان الذي كان على المتطوعة يومئذ هو الشيخ أبو محمد عبد الواحد بن ابي حفص ، والكل الى نظر الشيخ ابي يحيى بن ابي حفص ؛ وبقي المنصور رحمه الله في جيش الموحدين والعييد ، وأمر الشيخ ابا يحيى بالرحيل والتقدم أمامه الى جهة العدو .

وكان المنصور قد ضفر مع ابن صناديد من الرأى ان يبقى هو متأخرا في الموحدين والعييد والحشم على مسافة يخفى بها عن أعين العدو ؛ ويقدم الشيخ ابا يحيى ببعض الرايات والطبول في هيئة السلطان فيلقى العدو ؛ فان كانت للمسلمين فهو المطلوب ، وان كانت عليهم كان المنصور ردا لهم ؛ ثم يستأنف القتال مع العدو وقد انفل حده ولانت شوكة .

فسار الشيخ أبو يحيى على هذا الترتيب وابن صناديد أمامه في ريسان الاندلس وحماتها ، فكان الشيخ أبو يحيى اذا أقبل بجيشه عن موضع صباحا خلفه المنصور فيه بجيشه مساء ، حتى أشرف الشيخ أبو يحيى على جموع الفرنج وهي يومئذ الى جنب حصن الارك ويقال الاركو بزيادة الواو في آخره ، قد ضربت أختيتها على ربوة عالية ذات مهو وأحجار كبار قد ملأت السهل والوعر ، ونزل الشيخ أبو يحيى بجيشه في البسيط ضحوة يوم الاربعاء التاسع من شعبان سنة احدى وتسعين وخمسائة ، وعند ابن خلكان أن ذلك كان يوم الخميس ؛ قال : واقفى المنصور في ذلك طريقة أبيه وجده فانهم أكثر ما كانوا يضافون يوم الخميس ومعظم حركاتهم في صفر ، فعبا الشيخ أبو يحيى عساكره تعبئة الحرب ؛ وعقد الرايات لامراء القبائل ؛ وأوقف كل قبيلة في مركزها الذي عين لها ، وجعل عسكر الاندلس في الميمنة ؛ وجعل زناتة والمصامدة والعرب وسائر قبائل المغرب في الميسرة ؛ وجعل المتطوعة والاغزاز والرماة في المقدمة وبقي هو في القلب في قبيلة هنتاة .

ولما أخذ الناس مراكزهم من حومة القتال خرج جرمون بن رياح بمشى في صفوف المسلمين ويحضهم على الثبات والصبر ؛ وبينما الناس على

ذلك اذ انفصلت من جيوش العدو كتيبة عظيمة من نحو عشرة آلاف فارس كلهم مدجج في الحديد ، وكانت هذه الكتيبة هي شوكة ذلك الجيش وحده ؛ كان الفئس لعنه الله ق. اتخبهم وصلت أقسته عليهم صلاة النصر ورشومهم بماء المعمودية ؛ وتحالفوا عند الصلبان أن لا يرحوا حتى يقتلوا المسلمين أو يهلكوا دونهم ؛ فلما برزت هذه الكتيبة نادى منادى الشيخ أبي يحيى : معشر المسلمين اثبتوا في مصانكم ؛ واخلصوا لله تعالى نيتكم . واذكروا الله عزوجل في قلوبكم . وبرز عامر الزعيم من أمراء العرب ، فحضر الناس على الصبر وثبتهم ، وحملت كتيبة العدو حتى اندقت رماح المسلمين في صدور خيلها أو كادت ، ثم تقهقرت قليلا ثم عاودت الحمسة فكانت كالاولى ؛ ثم تهيأت للحملة الثالثة فدفعت حتى خالطت صفوف المسلمين ، وخلص البعض منها الى الشيخ أبي يحيى يظنونه المنصور فاستشهد رحمه الله بعد ما أحسن البلاء وقاتل قتالا شديدا واستشهد معه جماعة من المسلمين من هتاتة والمتطوعة وغيرهم ، وسمى بنو الشيخ أبي يحيى بنى الشهيد وعرفوا به من يومئذ ، وأظلم الجو بالغبار واختلطت الرجال بالرجال وانفرد كل قرن بقرنه ؛ وأقبلت العرب والمتطوعة فأحاطوا بالكتيبة التي دفعت الى الشيخ أبي يحيى ؛ وزحفت زناتة والمصامدة وغمارة الى الربوة التي فيها الفئس وجموعه ؛ وكانت على ما قيل تيف على ثلاثمائة ألف بين فارس وراجل ، فتوغل المسلمون في تلك الاوعار اليهم وخالطوهم بها ؛ واشتد القتال واستحر القتل في الكتيبة التي دفعت أولا وانقضت عليهم العرب والمتطوعة وهتاتة فطحنوهم طحنا ، وانكسرت شوكة الفئس بهلاكهم اذ كان اعتماده ومعوله عليهم .

وأسرعت خيل من العرب الى أمير المؤمنين المنصور فأعلموه بأن الله حالى قد فل شوكة العدو وأشرف على الانهزام ؛ فعندها أمر المنصور بالرايات فرفعت وبالطبول فقرعت ، ورفع المسلمون أصواتهم بالتكبير وتسابقوا لقتال العدو وخفقت البنود ؛ وزحف أمير المؤمنين نحو المعركة ،

فلم يرع الفئس اللعين الا الرايات قد أقبلت تخفق من كل جهة وزعقات الطبول والابواق واصوات المجاهدين بالتكبير قد زلزلت الارض فقال ما هذا فقيل : هذا المنصور قد أقبل في جيشه ، وما قاتلك سائر اليوم الا طلائعه ومقدماته القذوف ، والله الرعب في قلبه وخشعت نفوس جموعه وزلزلت بهم الارض زلزالها فولوا الادبار لا يلوون على شيء ، وأسعدهم يومئذ . من وجد في فرسه بنية تنجيه ، وأتبعهم المسلمون يقتلون ويأسرون ؛ وأحاط بعضهم بحصن الارك يظنون أن الفئس قد تحصن به ، وكان عدو الله قد دخل على باب وخرج على آخر من الناحية الاخرى ؛ واقتحم المسلمون الحصن عنوة وأضرمو النيران في أبوابه واحتوا على جميع ما كان فيه وفي محلة العدو من الاموال والذخائر وأنواع السلاح التي تفوت الحصر .

وقال ابن خلدون : « كان ملوك الفرنج الذين قاتلوا المنصور يومئذ ثلاثة ابن اذفونش وابن الرند والبيوج ، قال : واعتصم فلهم بحصن الارك وكانوا خمسة آلاف من زعمائهم ، فاستنزلهم المنصور على حكمه حتى نودي بهم عددهم من المسلمين .

وفي القرطاس : أن عدد أسارى الارك كانوا أربعة وعشرين ألفا ومن عليهم المنصور وأطلقهم ، قال فعز ذلك على جميع الموحدين وسائر المسلمين ؛ وعادت للمنصور سقطنة من سقطنات الملوك .

وقال ابن الاثير : « كانت الدائرة يوم الارك أولا على المسلمين ثم عادت على الفرنج وانهزموا أبيض هزيمة ؛ وكان عدد من قتل من الفرنج أزيد من مائة ألف ، وغنم المسلمون منهم شيئا كثيرا ؛ فمن الخيام مائة ألف وثلاثة وأربعون ألفا ؛ ومن الخيل ستة وأربعون ألفا وقيل ثمانون ألفا ، ومن البغال مائة ألف ؛ ومن الحمير أربعمائة ألف »

قال في نفع الطيب : « جاء بها الكفار لحمل أثقالهم لانهم لا ابل لهم » قال : « وأما الجواهر والاموال فلا تحصى ، وبيع الاسير بدرهم ؛ والسيف بصف درهم ؛ والفرس بخمسة دراهم ؛ والحمار بدرهم ، وقسم المنصور

الغنائم بين المسلمين بمقتضى الشرع « كذا فى نفع العليب .
وفى كامل ابن الاثير : « أن يعقوب المنصور رحمه الله نادى فى
عسكره من غنم شيئا فهو له سوى السلاح ؛ وأحصى ما حمل اليه منه
فكان زيادة على سبعين ألف لبس ، واستشهد من المسلمين نحو عشرين
أنفا . »

ثم تقدم المنصور بجيوشه الى بلاد الفرنج وأخذ يخرب المدن والقرى ،
ويفتح الحصون والمعقل ؛ ويقتل ويسبى ويأسر ، حتى وصل الى جبل
سليمان ؛ ثم تئى عنانه راجعا وقد امتلأت أيدي المسلمين من الغنائم ، ولم
يعارضه من الفرنج معارض ، حتى وصل الى اشيلية فاستقر بها .

وأما الفئش فانه لما انهزم وصل الى طليطلة فى أسوأ حال ؛ فحلق
رأسه ولحيته ، ونكس صليبه وركب حمارا ؛ وأقسم أن لا يركب فرسا ولا
بعلا ولا ينام على فراش ولا يقرب النساء حتى تنصر النصرانية ، فجمع
جموعا عظيمة ، وبلغ الخبر بذلك الى المنصور فبعث الى بلاد المغرب مراكنس
وغيرها يستنفر الناس من غير اكراه ، فأتاه من المتطوعة والمرتزة جمع
عظيم ؛ ثم نهض الى الفئش فالتقوا فى ربيع الاول سنة اثنين وتسعين
 وخمسمائة ، فانهزم الفرنج هزيمة قبيحة ؛ وغنم المسلمون ما معهم من
الاموال والسلاح والدواب وغيرها .

ثم تقدم المنصور الى مدينة طليطلة فحاصرها وقتلها قتالا شديدا وقطع
أشجارها وشن الغارات على ما حولها من البلاد ، وفتح فيها عدة حصون
مثل قلعة رباح ووادي الحجارة ومجريط وجبل سليمان واقليج وكثير من
أحواز طليطلة .

ثم ارتحل عن طليطلة الى مدينة طلمنكة فدخلها عنوة بالسيف فقتل
المقاتلة ، وسب النساء والذرية ؛ وغنم أموالها ؛ وهدم أسوارها ، وأضرم
انيران فى جوانبها ؛ وتركها قاعا صاففا .

وتئى عنانه الى اشيلية ، فدخلها غرة صفر سنة ثلاث وتسعين

وخمسمائة ؛ فرفع اليه فى القاضى أبى الوليد بن رشد المعروف بالحفيد مقالات نسب فيها الى المرض فى دينه ومعتقده ، وكان أحد فلاسفة الاسلام وربما الفى بعضها بخط يده فحبس ، ثم أطلق وأشخص الى مراكش وبها كانت وفاته رحمه الله .

ثم خرج المنصور من اشيلية غازيا بلاد ابن اذفونش ، فسار حتى احتل بساحة طليطلة ، وبلغه أن صاحب برشلونة قد أمد ابن اذفونش بعساكره وانهم جميعا يحصن مجريط فهض اليهم ، ولما أطل عليهم انفضت جموع ابن اذفونش من قبل القتال ؛ ثم انكأ المنصور راجعا الى اشيلية .

ثم اجتمع ملوك الفرنج وأرسلوا يطلبون الصلح ، فأجابهم اليه وصالحهم على مدة خمس سنين بعد أن كان عازما على الامتناع مريدا للالزمة الجهاد الى أن يفرغ منهم ، فأتاه خبر على بن اسحق السوفى المعروف بابن غانية وأنه دخل افريقية وأراد الاستيلاء عليها ؛ ففت ذلك فى عزمه وصالحهم على المدة التى ذكرنا .

وعقد على اشيلية للسيد أبى زيد بن الخليفة ، وعلى مدينة بطليوس للسيد أبى الربيع ابن السيد أبى حفص ؛ وعلى المغرب للسيد أبى عبد الله ابن السيد أبى حفص ؛ ثم عبر البحر الى المغرب فوصل الى مراكش فى شعبان سنة أربع وتسعين وخمسمائة .

وفى نصح الطيب : أن يعقوب المنصور لما حاصر طليطلة وضيق عليها ولم يبق الا فتحها خرجت اليه والدة الاذفونش وبناته ونساؤه وبكين بين يديه وسألته ابقاء البلد عليهن ، فرق لهن ومن عليهن به ، ووهب لهن من الاموال والجواهر ما جل ؛ وردهن مكرمات وغفا بعد القدرة . والله تعالى أعلم .

لطيفة : قال الشيخ محبى الدين بن عربى الحاتمي رحمه الله فى كتاب الفتوحات المكية ما نصه : « ولقد كنت بمدينة فاس سنة احدى وتسعين وخمسمائة وعساكر الموحدين قد عبرت الى الاندلس لقتال العدو

حين استفتح امره على الاسلام ، فلقيت رجلا من رجال الله ولا ازكى على
 انله أحدا ؟ وكان من أخص أودائي ، فسألني ما تقول في هذا الجيش
 هل يفتح له وينصر في هذه السنة ام لا؟ فقلت له : ما عندك في ذلك ؟
 فقال : « ان الله تعالى قد ذكره في كتابه ، ووعد نبيه صلى الله عليه وسلم
 بهذا الفتح في هذه السنة ، وبشر نبيه صلى الله عليه وسلم بذلك في كتابه
 الذي انزله عليه ؛ وهو قوله : « انا فتحنا لك فتحا مبينا » فموضع البشري
 فتحا مبينا من غير تكرار الالف فانها لاطلاق الوقوف في تمام الآية ؛
 فانظر اعدادها بحساب الجمل ؛ فنظرت فوجدت الفتح يكون في سنة احدى
 وتسعين وخمسمائة ، ثم جرت الى الاندلس وقد نصر الله جيش المسلمين
 وفتح الله به قلعة رباح والاركو وكرakra وما انضاف الى هذه القلاع من
 الولايات . هذا عاينته من اتمتج ممن هذه صفته ، فأخذت للفاء ثمانين التاء ؛
 وأربعمائة ، وللحاء المهملة ثمانية ؛ وللالف واحد ؛ وللميم أربعين ؛ وللباء
 اثنين ؛ والياء عشرة ؛ وللنون خمسين ، وأما الالف فقد أخذ عددها ؛ وكان
 المجموع احدى وتسعين وخمسمائة ؛ وهي سنة الهجرة الى هذه السنة
 فهذا من الفتح الالهى لهذا الشخص ، انتهى .



ذكر ما شيدلا المنصور رحمه الله من الآثار بالمغرب والاندلس



كان يعقوب المنصور رحمه الله لما عزم على السير الى الاندلس بقصد
 الجهاد أوصى الى نوابه ووكلائه ببناء قبة مراکش ، والاعتناء بتشييد
 قصورها . فمن آثاره الباقية بها الى الآن بابها المعروف بباب اكناور ، ولا مزيد
 على ضخامته وارتفاعه ، وأمرهم ببناء الجامع الاعظم بها المنسوب اليه الى اليوم
 وتشيد مناره المائل به ، ومنار جامع الكتبيين المصروب به المثل في الارتفاع وعظام
 الهيكل . قال ابن سعيد : « طول صومعة الكتبيين بمراكش مائة ذراع

وعشر أذرع .

ولما اجتاز المنصور في سفره هذا بأرض سلا أمر أيضا ببناء مدينة رباط
الفتح ؟ فأسست سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة وأكمل سورها ، وركبت
أبوابها ؟ وأمر ببناء المسجد الأعظم بطالعة سلا ومدرسة الجوفية منه . قال
صاحب الروض المعطار : « كان يعمل في بنائه ونقل حجراته وترابيه
سبعمائة أسير من أسارى الفرنج في قيودها ؟ وأمر ببناء جامع حسان
ومناره الأعظم المضروب به المثل في الضخامة وحسن الصنعة ؟ قالوا ولم
يتم بناؤه .

ولما فرغ المنصور من وقعت الأرك ، واحتل بمدينة اشبيلية : أخذ
في اتمام بناء جامعها الأعظم وتشيد مناره المشاكل للمنارين المتقدمين ؟ فهو
ثلاثة الأثافي بالنسبة لهما ، بل قيل انه ليس في بلاد الاسلام منار أعظم منه ؟
وعمل لهذا المنار تفافيح من أملح ما يكون . قال في القرطاس : « بلغت
من العظم الى مالا يعرف قدره الا أن الوسطى منها لم تدخل على باب المنار
حتى قلعت الرخامة من أسفله . وزنة العمود الذي ركبت عليه أربعون
ربعا من الحديد ؟ وكان الذي صنعها ورفعها في أعلى المنار المذكور المعلم
أبو الليث الصقلي ، وموهت تلك التفافيح بمائة ألف دينار ذهباً .

ولما كمل جامع اشبيلية وصلى فيه أمر ببناء حصن البرج على وادي
اشبيلية ، وقد تقدم لنا في أخبار عبد المؤمن أنه هدم أسوار مدينة فاس ؟
وأن حافده المنصور هذا شرع في بنائها ثم أتمها ابنه الناصر من بعده .

ولما رجع المنصور من الأندلس الى مراكش وجد كل ما أمر به من
البنآت قد تم على أكمل حال وأحسنه مثل القصبية والقصور والجامع
والصوامع ، وأنفق على ذلك ، كله من أخماس الغنائم ؟ وكان قد تغير على
الوكلاء والصناع الذين تولوا بناء ذلك ؟ لانه سعى اليه بأنهم احتجوا
الاموال ، وصنعوا للجامع سبعة أبواب على عدد أبواب جهنم ؟ فلما دخله
المنصور وتطوف به أعجبه ؟ فسأل عن عدد أبوابه فقيل انها سبعة أبواب

والثامن هو الذى يدخل منه أمير المؤمنين ، فقال المنصور عند ذلك :
« لا بأس بالغالى اذا قيل حسن »

واتخذ المنصور (١) رحمه الله فى جامعه هذا لمصلاه به مقصورة
عجيبة كانت مدبرة بحيل هندسية بحيث تنصب اذا استقر المنصور ووزراؤه
بمصلاه منها ، وتختفى اذا انفصلوا عنها .

حكى الشريف الغرناطى شارح الحازمين عن الكاتب البارع أبى
الحسن عبد الملك بن عياش أحد كتاب المنصور قال : « كانت لابی بكر
يحيى بن مجير (٢) الشاعر المشهور وفادة على المنصور فى كل سنة ،
فصادف فى احدى وفاداته فراغه من احدث المقصورة التى كان أحدثها
بجامعة المتصل بقصره فى حضرة مراکش ، وكانت قد وضعت على حركات
هندسية ترتفع بها لخروجه وتنخفض لدخوله ، وكان جميع من بساب
المنصور يومئذ من الشعراء والادباء قد نظموا أشعارا أشدوه اياها فى
ذلك ، فلم يزيدوا على شكره وتجزيته الخير فيما جدد من معالم الدين
وآثاره ؛ ولم يكن فيهم من تصدى لوصف الحال حتى قدم أبو بكر بن مجير
فأنشد قصيدته التى أولها :

أعلمتني ألقى عصا التسيار فى بلدة ليست بدار قرار
واستر فيها حتى ألم بذكر المقصورة فقال يصفها :

| | |
|-------------------------|--------------------------|
| فكانها سور من الاسوار | طورا تكون بمن حوته مجيعة |
| فكانها سر من الاسرار | وتكون جينا عنهم مخبوءة |
| فتصرفت لهم على مقدار | وكانها علمت مقادير الورى |
| فى قومه قامت الى الزوار | فاذا أحست بالامام يزورها |
| ككون الهلاللات للاقمار | يدو فتبدو ثم تخفى بعده |

فطرب المنصور لسماعها وارتاح لاختراعها .

(١) نسب صاحب الحلل الموشية بناء المسجد والمقصورة لعبد المؤمن

(٢) توفى بمراكش سنة 588.

قال أبو العباس المقرئ في نفع الطيب : وقد بطلت حركات هذه
المقصورة الآن ، وبقيت آثارها حسبما شاهده سنة عشر وألف ؛ والله
وارث الارض ومن عليها .

ومن شعر ابن مجير يصف خيل المنصور من قصيدة مدحه بها قوله :
له حلبة الحيل العساق كأنها
عرائس أغنتها الحبول عن الحلى
فمن يقق كالطرس تحسب أنه
وأبلى أعطى الليل نصف اهابه
وورد تغشى جلده شفق الدجا
وأشقر موج الراح صرفا أديمه
وأشهب فضى الأديم مدرر
كما خط خط الراهي بمهرق كاتب
تعب على الأعداء منها عواصف
ترى كل طرف كالغزال فتعمرى
وقد كان في البيداء يألف سربه
تناوله لفظ الجواد لأنه
ومما مدح به المنصور رحمه الله قول بعض شعراء عصره حين طلب منه
الفتش الصلح فأجابته إليها :

أهل بان يسعى إليه ويرتجى
من قد غدا بالمكرمات مقلدا
عمرت بمقامات الملوك بذكره
ودخل عليه الأديب أبو اسحق ابراهيم بن يعقوب الكانمى الأسود الشاعر
فأنشده .

أزال حجابيه عنى وعينى
وقسرنى تفضله ولكن
تراه من المهابة فى حجاب
بعدت مهابة عند اقترابى

وكانم بكسر النون جنس من السودان ؛ وهم بنو عم تـكـرور ؛ وليس
اسمهما للاتسـاب لاب أو لام ، وانما كانم اسم بلدة بنواحي غانة فسمى
هذا الجنس بها ، وكذلك تـكـرور اسم للارض التي هم بها فسموا بها ؛
والله أعلم .



بقية اخبار المنصور وسيرته



قال ابن ابى زرع : كان المنصور رحمه الله ذا راي وحزم ودين وسياسة ،
قال : وهو اول من كتب العلامة بيده من ملوك الموحدين : الحمد لله وحده
فجرى عملهم على ذلك . وقد تقدم لنا أن ذلك كان في دولة أبيه فالله أعلم .
وهو واسطة عقد ملوك الموحدين الذي ضخم الدولة وشرفها .
وكانت أيامه أيام دعة وأمن ورخاء ورفاهية وبهجة ، صنع الله عزوجل في
أيامه الامن بالمشرق والمغرب والاندلس ، فكانت الطعينة تخرج من بلاد
تول فتنتهى الى برقة وحدها لا ترى من يعرض لها ولا من يسومها بسوء
ضبط الثغور ، وحصن البلاد ، وبنى المساجد والمدارس في بلاد افريقية
والمغرب والاندلس ؛ وبنى المرستانات للمرضى والمجانين وأجرى عليهم
الانفاق في جميع أعماله ، وأجرى المرتبات على الفقهاء وطلبة العلم ؛ كل
على قدر مرتبته ؛ وبنى الصوامع والقناطر ، وحفر الآبار للماء في البرية
واتخذ عليها المنازل من السوس الأقصى الى سويقة ابن مصكوك ، فكانت
أيامه زينة للدهر وشرفا للاسلام وأهله .

وقال ابن خلكان : كان يعقوب المنصور رحمه الله صافي السمرة
جدا ، الى الطول ماهو ؛ جميل الوجه ؛ أفوه ؛ أعين . شديد الكحل .
ضخم الاعضاء ، جوهري الصوت ، جزيل اللفاظ . من اصديق الناس
لهجة ؛ وأحسنهم حديثا ؛ وأكثرهم اصابة بالظن ، مجربا للامور ؛ ولى

وزارة أبيه فبحث عن الاحوال بحثا شافيا ، وطالع مقاصد العمال والولاء
 وغيرهم مطالعة أفادته معرفة جزئيات الامور ؛ فلما مات أبوه اجتمع رأى
 اشياخ الموحدين على تقديمه فقام بالامر أحسن قيام ؛ ورفع راية الجهاد ؛
 ونصب ميزان العدل ؛ وبسط أحكام الناس على حقيقة الشرع ؛ ونظر في
 أمور الدين والورع ، وأقام الحدود حتى في أهله وعشيرته الاقربين ؛ كما
 أقامها في سائر الناس أجمعين ؛ فاستقامت الاحوال في أيامه ، وعظمت
 الفتوحات ؛ وكان قد أمر لاول دولته بقراءة البسمة في اول الفاتحة فسي
 الصلوات ، وأرسل بذلك الى سائر بلاد الاسلام التي في ملكه ؛ فأجاب
 قوم وامتنع آخرون ، وكان ملكا جوادا عادلا ، متمسكا بالشرع المطهر .
 يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر كما ينبغي من غير محاباة ؛ ويصلى بالناس
 الصلوات الخمس ، ويلبس الصوف ؛ ويقف للمرأة والضعيف ويأخذ لهم
 بالحق .

قال ابن خلكان : وسمعت عنه حكاية يليق أن نذكرها هنا ؛ وهي أن
 الشيخ أبا محمد عبد الواحد ابن عاشر أبي حفص كان قد تزوج أخت
 يعقوب المنصور ، فقامت عنده ثم جرت بينهما منافرة ؛ فجاءت الى بيت
 أخيها يعقوب المنصور ؛ فسير الشيخ عبد الواحد في طلبها فامتعت عليه ،
 فشكى الشيخ عبد الواحد ذلك الى قاضي الجماعة بمراكش ، وهو أبو
 عبد الله محمد بن علي بن مروان ؛ فاجتمع القاضي المذكور بأمر المؤمنين
 يعقوب المنصور ، وقال له : « ان الشيخ أبا محمد عبد الواحد يطلب أهله »
 فسكت عنه المنصور ، ومضت أيام ؛ ثم أن الشيخ أبا محمد اجتمع بالقاضي
 المذكور في قصر المنصور بمراكش وقال له : « أنت قاضي المسلمين وقد
 طلبت أهلي فما جاءوني » فاجتمع القاضي بالمنصور وقال له : « يا أمير
 المؤمنين الشيخ عبد الواحد قد طلب أهله مرة وهذه الثانية » فسكت المنصور
 ثم بعد ذلك بمدة لقي الشيخ عبد الواحد القاضي بالقصر المذكور فقالت
 له : « يا قاضي المسلمين قد قلت لك مرتين وهذه الثالثة أنا أطلب أهلي وقد

منعوني منهم « فاجتمع القاضى بالمنصور ، وقال له : « يامولانا ان الشيخ عبد الواحد قد تكرر طلبه لاهله ؛ فاما أن تسير اليه أهله ، واما أن تعزلنى عن القضاء ، فسكت المنصور وقيل انه قال له : « يا عبد الله ما هذا الا جد كبير » ثم استدعى خادما وأمره سرا بأن تحمل أهل الشيخ عبد الواحد اليه ، فحملت اليه فى ذلك اليوم ؟ ولم يتغير على القاضى ولا قال له شيئا يكرهه ؛ وتبع فى ذلك حكم الشرع المطهر وانتقاد لامره ؛ وهذه حسنة تعد له وللقاضى أيضا فانه بالغ فى اقامة منار الشرع والعدل .

وكان المنصور يشدد فى الزام الرعية باقامة الصلوات الخمس ، وقتل فى بعض الاحيان على شرب الخمر ، وقتل العمال الذين تشكوهم الرعايا ، وأمر برفض فروع الفقه واحراق كتب المذاهب وان الفقهاء لا يفتون الا من انكتاب والسنة النبوية ؛ ولا يقدون أحدا من الائمة المجتهدين ، بل تكون احكامهم بما يؤدى اليه اجتهادهم من استنباطهم القضايا من الكتاب والحديث والاجماع والقياس .

قال ابن خلكان : ولقد أدركنا جماعة من مشايخ المغرب وصلوا الينا وهم على ذلك الطريق ، مثل أبى الخطاب بن دحية وأخيه أبى عمرو ؛ ومجيب الدين بن عربى نزيل دمشق وغيرهم ؛ وكان يعاقب على ترك الصلوات ، ويأمر بالنداء فى الاسواق بالمبادرة اليها ، فمن غفل عنها أو اشتغل بمعيشته عززه تعزيرا بليغا .

وكان قد عظم ملكه واتسعت دائرة سلطنته ، حتى انه لم يبق بجميع قطار بلاد المغرب من البحر المحيط الى برقة الا من هو فى طاعته وداخل فى ولايته الى غير ذلك من جزيرة الاندلس ، وكان محسنا ، محبا للمعلماء مقربا للادباء ؛ مصفيا الى المدح ؛ مشيا عليه ، وله ألف أبو العباس أحمد بن عبد السلام الجراوى كتابه الذى سماه صفوة الادب وديوان العرب فى مختار الشعر ، وهو مجموع مليح أحسن فى اختياره كل الاحسان .

وكان المنصور يضرب به المثل فى حسن التوقيع واجادته وقد تقدم لنا

ما وقع به على كتاب الفنش .

وحكى ابن الخطيب فى رقم الحلل : أن المنصور طلب يوماً من تاضيه أن يختار له رجلين لغرضين من تعليم ولد ، وضبط أمر ؛ فعرفه برجلين ؛ قال فى أحدهما : وهو بحر فى علمه ؛ وقال فى الآخر : وهو بسر نسي دينه ، ولما خرج المنصور أحضرهما واختبرهما فقصرا بين يديه ؛ وأكأبا الدعوى ؛ فوقع المنصور على رقعة القاضى : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم طهر الفساد فى البر والبحر ، قال ابن الخطيب . وهذا من التوقيع العريق فى الاجادة والصنعة .

وكان مجلس المنصور رحمه الله مجلس الفضلاء والادباء وأرباب المعارف والفنون . حكى أبو الفضل التيفاشى قال : جرت مناظرة بين يدي ملك المغرب يعقوب المنصور ، وكانت بين الفقيه أبى الوليد بن رشد المعروف بالحفيد ؛ والرئيس الوزير أبى بكر بن زهر بضم الزاى ، وكان الاول قرطبياً ، والثانى اشبيلياً ، فقال ابن رشد لابن زهر فى تفضيل قرطبة : « ما أدرى ما تقول غير أنه اذا مات عالم باشبيلية فأريد بيع كنبه حملت الى قرطبة حتى تباع فيها ، وان مات مطرب بقرطبة فأريد بيع آلاته حملت الى اشبيلية »

وهذا الوزير ابن زهر هو أحد أعيان وزراء الدولة الموحدية ، ووزر للمنصور ولايه من قبله .

قال ابن خلكان : كان ابن زهر من أهل بيت كلهم علماء رؤساء حكماء وزراء ، نالوا المراتب العلية ، وتقدموا عند الملوك ؛ ونفذت أوامره وكان يتكرر وروده على الحضرة بمراكش فيقيم بها ويرجع الى الاندلس ، ومما قاله بمراكش يتشوق الى ولد له صغير تركه باشبيلية :

| | |
|---------------------------|------------------------|
| ولى واحداً مثل فرخ القططا | صغير تخلف قلبى لى |
| نأت عنه دارى فياوحشتى | لذاك الشيخى وذاك الوجى |
| تشوقنى وتشوقته | فيكى على وأبكى عليه |

لقد تعب الشوق ما بيننا فمنه الى ومنى اليه
قال العلامة الاديب أبو العباس المقرئ في نفتح الطيب : أخبرني
الطبيب الماهر الثقة الصالح العلامة سيدى أبو القاسم بن محمد الوزير
انفسانى الاندلسى الاصل ، الفاسى المواد والنشأة ، حكيم حضرة السلطان
أبى العباس المنصور بالله السعدى ، أن ابن زهر لما قال هذه الايات
وسمعها يعقوب المنصور أرسل المهندسين الى اشبيلية - يعنى من غير علم
من ابن زهر - وامرهم ان يحيطوا علما ببيوت ابن زهر وحارته ، ثم
بينوا مثلها بحضرة مراکش . ففعلوا ما أمرهم به فى أقرب مدة ، وفرشها
بمثل فرشها ؛ وجعل فيها مثل آلاته ، ثم أمر بنقل عيال ابن زهر وأولاده
وحشمه وأسبابه الى تلك الدار ؛ ثم احتال عليه حتى جاء الى ذلك الموضع
فراه أشبه شىء ببيوته وحارته ، فاختار لذلك وظن أنه نائم وان ذلك
أحلام ، فقبل له : ادخل البيت الذى يشبه بيتك ؛ فدخله فاذا ولده الذى
تشوق اليه يلعب فى البيت ؛ فحصل له من السرور مالا مزيد عليه ولا
يعبر عنه . . هكذا هكذا والا فلالا . .

ومن أطباء المنصور الوزير الطيب الشهير أبو بكر بن طفيل من أهل
وادى آس ، كان حاذقا بصناعة الطب والجراحات . ومن أطبائه أيضا
الحفيد بن رشد المتقدم الذكر . ومن كتابه الكاتب البارع أبو الحسن عبد
الملك بن عياش القرطبى النشأة ، الياورى الاصل . والفقيه البارع أبو
الفضل بن طاهر من أهل بجاية ؛ ومن الفقهاء الذين كانوا يجالسونه
ويسامرونه الفقيه الحافظ أبو بكر بن الجدى ، والفقيه القاضى أبو عبد الله
ابن الصقر ، وغيرهم رحم الله الجميع .



وفاته يعقوب المنصور رحمه الله

قال ابن ابي زرع : لما رجع المنصور من الاندلس الى مراکش اخذ البيعة لولده ابي عبد الله محمد الملقب بالناصر ندين الله . فبايعه كافة الموحدين وسائر أهل الامصار والانتظار ، فلما تمت البيعة للناصر المذكور وجلس في محل الخلافة وجرت الاحكام والاوامر باسمه وعلى يديه نسي حياة ابيه دخل المنصور قصره فلزمه .

وقال ابن خلكان . لما وصل المنصور الى مراکش - يعنى بعد قدومه من الاندلس - أمر باتخاذ الاحواض والروايا وآلات السفر للتوجه الى بلاد افريقية ، فاجتمع اليه مشايخ الموحدين وقالوا له : ياسيدنا قد طالت غيبتنا بالاندلس ؛ فمنا من له خمس سنين وغير ذلك . فتعم علينا بالمهدة هذا العام وتكون الحركة في أول سنة خمس وتسعين وخمسمائة ، فأجابهم الى سؤالهم ؛ وانتقل الى مدينة سلا وشاهد ما فيها من المنزهات المعدة له . وكان قد بنى بالقرب من المدينة المذكورة مدينة عظيمة سماها رباط الفتح على هيئة الاسكندرية في الاتساع وحسن التقسيم واتقان البناء وتحسينه وتحسينه ، وبنها على البحر المحيط الذي هناك ، وهى على نهر سلا مقابلة لها من البر القبلى ، وطاف تلك البلاد وتنزه فيها ثم رجع الى مراکش .

قال ابن خلكان : وبعد هذا اختلفت الروايات فى أمره ، فمن الناس من يقول : أنه ترك ما كان فيه وتجرد وساح فى الارض حتى انتهى الى بلاد الشرق ؛ وهو مستخف لا يعرف ومات خاملا ، ومنهم من يقول : انه لما رجع الى مراکش كما ذكرناه توفى فى غرة جمادى الاولى ، وقيل فى ربيع الآخرة فى سابع عشرة ، وقيل فى غرة صفر ؛ ولم ينقل شىء من أحواله بعد ذلك الى حين وفاته . وقيل توفى بمدينة سلا .

قال ابن خلكان : ثم حكى لى جمع كثير بدمشق ان بالقرب من

المجال - البليدة التي من أعمال البقاع العزيزي - قرية يقال لها حمارة ،
والى جانبها مشهد يعرف بقبر الامير يعقوب ملك المغرب ، وكل أهل تلك
النواحي متفقون على ذلك وليس عندهم فيه خلاف ، وهذا القبر بينه وبين
المجدل مقدار فرسخين من جهتها القبلية بغرب ، قال : وكان أوصى أن
يدفن على قارعة الطريق ليترحم عليه من يمر به .

قال المقرئ في نصح الطيب : هذه مقالة عامة لا يثبتها علماء المغرب ،
وسبب هذه المقالة تولع العامة به ، فكذبوا في موته ؟ وقالوا : انه ترك
الملك وحكوا ما شاع الى الآن وذاع مما ليس له أصل ، ثم نقل عن
الشريف الغرناطي مثل ذلك فانظره .

قال مؤلفه عفا الله عنه : وعندى (١) أن إنكار ما حكاه ابن خلكان
ليس بجيد ، وهب أن أهل المغرب قالوا ذلك تولعا به فما بال أهل المشرق
يتولعون به ويتخذون له المشهد ثم يتفق كبيرهم وصغيرهم على انه قبر
يعقوب ملك المغرب من غير اصل ولا مستند ، هذا بعيد في العادة ، بل
لا بد أن يكون لذلك أصل والله أعلم بحقيقته . نعم ، ما تزعمه عامة
المغرب في حمة أبي يعقوب التي بقرب مدينة فاس انها منسوبة ليعقوب
المنصور هذا ، وانه رصد لها غفريتين يوقدان عليها الى الابد ؟ وان حرارة
مائها بسبب ذلك الايقاد ؟ وان الشفاء الذي يحصل للمستحمين انما هو
ببركة يعقوب المنصور ، وجعلوا له زوجة أو بنتا اسمها شافية اشتقاقا من

[١] قول المؤلف وعندى أن إنكار ما حكاه ابن خلكان ليس بجيد الخ فيه نظر لا يخفى
على من تتبع أحوال معتقدات العامة في عظمائها بعد الموت كالشيعة في أئمتها وغيرهم
من الغلاة في التعميم لذوى الظهور في السياسة والصلاح ، فقد ذكر المؤلف نفسه أن
اصحاب الروكي لا يصدقون بموته ولا زال البعض من أصحاب الكتاني يعتقد حياته
وكم لهذا في التاريخ من نظير زد على ذلك أن كلام مؤرخي المغاربة أولى بالاعتبار في
هذا المقام والحق ما قاله الغرناطي في شرح المقصورة بعد كلام طويل وكذب الكافة من
العامة بوفاته ولهم في ذلك حكايات يقولونها إلى الآن كلها تخرص وأباطيل هـ .

نعت الشفاء الحاصل بتلك العين كله باطل ، وانما حرارة العين خاصة
أودعها الله في أصلها ومنبعها ، وكذا الشفاء الحاصل بها انما هو بخاصية
في ذلك الماء ؛ ولعلها ما فيه من الكبريتية ؛ فاننا نرى أصحاب الجرب
يتطخون بالكبريت المعالج فيشفون ؛ وكم من عين على وجه الارض في
المشرق والمغرب ؛ وبلاد المسلمين والكنار على هذه الحالة كما أخبر بذلك
غير واحد .

وقال الجوهري في الصحاح الحمة العين الحارة يستشفى بها الاعلاء
والمرضى وفي الحديث العالم كالحمة اه ومثله في القاموس ؛ بل ذكر فيه
أن مدينة تفلis - وهي قبة كرجستان عليها سوران - قال وحماتها
تبع ماء حارا بغير نار .

وقد ذكر ابن أبي زرع في القرطاس حمة أبي يعقوب هذه ، وذكر
معها حمتين أخريين فقال : « وبالقرب أيضا من مدينة فاس على مسيرة
أربعة أميال منها حمة عظيمة تعرف بحمة خولان ، ماؤها في أشد ما
يكون من السخونة ؛ وبالقرب أيضا منها حمة وشنانة وحمة أبي يعقوب
وهي من الحمات المشهورة بالمغرب » اه كلامه فقد ذكر أبا يعقوب بلفظ
الكنية فهو غير يعقوب المنصور قطعا ، ولعله أبو يعقوب الأشقر الانبي
ذكره في احداث المائة السابعة .

ولنرجع الى الكلام على وفاة المنصور عند علماء المغرب فنقول : قال
ابن الخطيب في رقم الحلل : توفي يعقوب المنصور رحمه الله في الثاني
والعشرين من شهر ربيع الاول سنة خمس وتسعين وخمسمائة ، ودفن
بمجلس سكناه من مراکش ؛ وكذب العامة بموته ولوعا وتمسكا به ،
فادعوا انه ساج في الارض اه .

وقال ابن أبي زرع : لما حضرت المنصور الوفاة قال ما ندمت على
شيء فعلته في خلافتي الا على ثلاث وددت اني لم افعلها ، الاولى : ادخال
العرب من افريقية الى المغرب مع اني أعلم انهم أهل فساد . والثانية : بناء

رباط الفتح أنفقت فيه بيت المال وهو بعد لا يعمر . والثالثة : اطلاقى
سارى الارك ، ولا بد لهم أن يطلبوا بناهم .

قلت ما ذكره رحمه الله فى رباط الفتح من انه لا يعمر قد تخلف
ظنه فيه ، فهو اليوم من أعمار أمصار المغرب وأحضرها حرسه الله
وحرس سائر أمصار المسلمين من آفاق النقصان وطوارق الحدتان .

ولنذكر ما كان فى هذه المدة من الاحداث فنقول : فى سنة أربعين
وخمسمائة هدم على بن عيسى بن ميمون - وكان من رؤساء البحر فى
دولة اللاتونيين - صنم قانس ، وقانس هذه هى الجزيرة المسماة فى لسان
العامية اليوم بقالص ؛ وكان بها صنم عظيم على صورة رجل ويده مفتاح
يقال أن حكماء اليونان اتخذوه طلسمًا هناك ، كان من خاصيته أن يمنع
هبوب الريح فيما جاوره من البحر المحيط . فكانت السفن لا تجرى هناك
على ما قيل ، فلما تار ابن ميمون المذكور بالجزيرة المذكورة ظن أن تحت
الصنم مالا فهدمه فلم يجد شيئًا .

وفى السنة المذكورة توفى أبو على منصور بن ابراهيم المسطاسى
دفن فى آزمود . وكان كبير الشأن من أهل العلم والعمل ومن أشيخ أبي
شعيب السارية .

وفى سنة اربع واربعين وخمسمائة توفى الامام الهمام الحافظ البارع
ابو الفضل عياض بن موسى اليحصبى . قال ابن خلكان : توفى بمراكش
يوم الجمعة سابع جمادى الآخرة ، وقيل : فى شهر رمضان من السنة
المذكورة ، ودفن بباب آيلان داخل المدينة ، وذلك فى دولة عبد المؤمن
ابن على .

وفى سنة تسع وخمسين وخمسمائة توفى الشيخ أبو الحسن على
ابن اسماعيل بن محمد بن عبد الله بن حرزهم ، ينتهى نسبه الى امير المؤمنين
عثمان بن عفان رضى الله عنه ، وهو من أهل مدينة فاس ؛ وبها توفى
اخرىات شعبان من السنة المذكورة ، وكان فقيها زاهدا صوفيا ، قال ابو

الحسن المذكور : « اعتكفت على قراءة الاحياء سنة ، فجردت المسائل التي نتقد عليه وعزمت على احراق الكتاب ، فتمت فرأيت قائلاً يقول : جردوه واضربوه حد الفرية ؛ فضربت نمانين سوطاً ، فلما استيقظت جعلت أناب ظهري ووجدت الالم الشديد من ذلك فببت الى الله ، ثم تأملت تلك المسائل فوجدتها موافقة للكتاب والسنة . وقد تقدم لنا ما اتفق له مع السلطان في جنازة أبي الحكيم بن برجان .

وفي سنة احدى وستين وخمسمائة توفي الشيخ القدوة أبو شعيب أيوب بن سعيد الصنهاجي الملقب بسارية من أهل مدينة آزمور ، وبها توفي يوم الثلاثاء عاشر ربيع الثاني من السنة المذكورة ، وكان رضى الله عنه شديد المراقبة والورع والخوف من الله تعالى ، وكان اذا وقف نسي صلاته يطيل القيام ، فلذلك لقب بالسارية ، ونقلت عنه في الورع والخوف حكايات أنظر التشوف .

قال مؤلفه عفا الله عنه كنت زرت ضريح هذا الشيخ سنة ثمانين ومائتين وألف ، ومدحته بقصيدة سلكت فيها مسلك الادباء من النسيب وغيره ؛ وأنشدتها عند ضريحه فرأيت لها بركة والحمد لله ؛ فأحببت أن أذكرها هنا وهي هذه :

| | |
|------------------------------|--------------------------------|
| لله يارب ما هيجت من شجن | على الفؤاد ومن ضنى على البدن |
| وقفت فيك ركاباً طالما وقفت | على القصور على الاطلال واليمن |
| أيام فيك حسان ما أشبهها | بالشمس حسنا ولاقى اللين بالنعن |
| وفيك أسد من الملوك عادتها | بذل النصار وصور البيض والحصن |
| يحمون منك عراسا كنت أعهدا | ماوى السرور فعادت موقن الحزن |
| عانت يد الدهر فيهم منذ أزمنا | كان بأسهم المحذور لم يكن |
| قوم عرفت ندهم قبل معرفتى | نفسى وفاجئنى فى المهدي بالمتن |
| ومذ ترعرعت لم أعلق بغيرهم | حتى كائنى رضعت الحب فى اللبن |
| قضيت حق الشباب فى منازلهم | أيام عيش لنا أحلى من الوسن |

من ظن بالدهر خيرا فهو منخدع
 لا انتحى منهلا الا شرفت به
 ولا اصاحب من هذا الورى بشرا
 حتى توهمت اننى جنيت لهم
 وما لئى الفضل من ذنب يلام به
 فعد ياقلب عن شكوى اضيق بها
 ولست احسب هذا الدهر مرعويا
 حلا لقد علقت يدى بمن علقت
 باعظم الناس منزلا ومنزلة
 واشمخ الناس قدرا فى الورى وعلا
 ذاك الولى الذى كل الانام غدا
 ابو شعيب الذى من بحره انشعبت
 بدر غدا فى سماء المجد مكملا
 ارض اذا الضرع المحروم يممها
 اود من اجل ثاويها حجارتها
 وكيف لا تطبى قلبى منازل من
 مجلى الغياهب مبدول المواهب مق
 بحر الحقيقة والغوث الذى لهجت
 ما زال يرقى الذرى من كل صالحة
 ياخير من امه العافى ولاذ به
 انى خدمتك فى شعر عنيت به
 اشكو اليك سقاما انت مبرئـه
 وشذ ازرى فانسى كنت معتقدا
 وانظر بفضلك من وافاك معتقيا
 واعظم السؤل منك النفس تصلحها
 وامنحه نورا وتوفيقا ومعرفة

فوده هدنة تبنى على دخن
 ولا احل مكانا ليس بالخشن
 الا حصلت على رزق من الاحن
 حرب البسوس واننى ابو الفتن
 سوى فضيلته فى دهره الزمن
 ذرعا فشكواك لى ضرب من الوهن
 ولو تعلقت منه بابن ذى يزن
 ايدى العفاة به فى الشام واليمن
 واسمح الناس كفا بالندى الهتن
 واحكم الناس للمفروض والسنن
 يتلو مناقبه فى السر والعلن
 جداول اليمن فى الاحياء والمدن
 به علا ذكر آزمور فى الوطن
 الفى بها بدل الاهلين والسكن
 واجعل الترب لى مسكا بلا ثمن
 به اكون من الاحداث فى جنن
 سفو المذهب بالجنيـد والقرنى
 به القبائل فى المقام والظنن
 حتى اكتسى شهرة النيران فى القنن
 اعزل الجرائم والاوزار والمحن
 وايس لولا حلاك الزهر بالحسن
 ولست ارجو سواك منه ينعشنى
 اذا بلغتك قدت الدهر بالرسن
 فان نظرت فكل الخير يشملنى
 وطهر القلب ما لأمراض والدرن
 ارى بها علمى والبر فى قرن

فوجد بما رمت من جدواك يا امل
سقى ضريحك غيث ما يزال به
بجاه أفضل خلق الله كلهم
عليه أزكى صلاة الله ما تليت
والال والصحب والازواج داطبة
ومن قفا نهجهم في كل ما زمن

واعلم أن التعلق بأولياء الله رضى الله عنهم يجب أن يكون مع
استحضار أن الله تعالى هو المطلوب على الحقيقة ، والفاعل للاشياء كلها ؛
لا معبود غيره ؛ ولا مرجو سواه ، وانما التمسك بأهل الله لاجل التبرك
بهم والاستشفاع بهم الى الله تعالى ، لانهم ابواب الله والدالون عليه ، نعفنا
الله بهم وأفاض علينا من مددهم آمين .

وفى سنة تسع وستين وخمسمائة توفى الشيخ الفقيه العالم أبو اسحق
ابراهيم بن يوسف المعروف بابن قرقول - صاحب كتاب مطالع الانوار ،
الذى وضعه على مثال كتاب مشارق الانوار للقاضى عياض - كان من
الافاضل ، وصحب جماعة من علماء الاندلس ؛ وتوفى بمدينة فاس يوم
الجمعة أول وقت العصر سادس شوال من السنة المذكورة ؛ وكان قد صلى
الجمعة فى الجامع ذلك اليوم ، فلما حضرته الوفاة تلى سورة الاخلاص وجعل
يكررها بسرعة ، ثم تشهد ثلاث مرات وسقط على وجهه ساجدا فوقع ميتا
رحمه الله .

وفى سنة سبعين بعدها توفى الفقيه أبو الحسن على بن عبد الله بن ابراهيم
بن محمد الانصارى المعروف بالمنبسطى ، وميتية قرية بأحواز الجزيرة
الخصراء ، وهو الموثق المشهور ؛ لازم بمدينة فاس خاله أبا الخجاج المنبسطى
وبين يديه تعلم عقد الشروط ، وله كتاب كبير فى الوثائق سماه النهاية
والتمام فى معرفة الوثائق والاحكام ؛ ثم انتقل الى سبتة فاستوطنها ولازم
مجالس علمائها بالمناظرة والفقهاء ، ومهر فى كتابة الشروط واشتغل بها
حتى لم يكن فى وقته أقدر منه عليها ؛ وكان له فى السجلات اليد الطولى ،
(الاستقصا - ثانى - 14)

وطبع عليها حتى كاد طبعه لا يواتيه في سواها بل كان طبعه في ذلك أكر
من فقهه ، ثم ولي القضاء بشرش ، وأصابه خضر لازمه نحو الستين ؛
ثم توفى مستهل شعبان من السنة المذكورة .

وفي سنة اثنين وسبعين وخمسائة توفى وحيد عصره ، وأعجوبة
دهره ؛ الولي العارف الشيخ أبو يعزى يلنور بن ميمون ، قال قوم : انه من
هزميرة ايرجان ؛ وقيل من بنى صبيح من هسكورة ؛ مات وقد نيف على
المائة بنحو الثلاثين سنة ، ودفن بجبل ايرجان في أوائل شوال من السنة
المذكورة . كان الشيخ أبو مدين رضى الله عنه يقول : « رأيت أخبار
الصالحين من زمن أويس القرنى الى زماننا هذا فما رأيت أعجب من
أخبار أبي يعزى ، قال : « ونظرت في كتب التصوف فما رأيت مثل الاحياء
لنغزالي ، وكان لباس الشيخ أبي يعزى برنسا أسود مرقوعا الى أسفل من
ركبته ، وجبة من تليس مطرف ، وشاشية من عزف ؛ وكان يتعيش من
نبات الارض ، ولا يشارك الناس في معاشهم ؛ وكان طويلا رقيقا أسود
اللون ، وكان اذا جنه الليل دخل غيضة كثيرة السباع يتعبد فيها ، فاذا قرب
الفجر أعلم أصحابه به ؛ وأحواله رضى الله عنه وكراماته كثيرة .

وفي سنة ثلاث وسبعين بعدها توفى الشيخ العارف أبو الحسن على
بن خلف بن غالب القرشى دفين قصر كامة ، نشأ بسلب من بلاد الاندلس
وقرأ بقرطبة ؛ واستقر آخره بقصر كامة وبه توفى في السنة المذكورة ،
وقيل ان وفاته كانت سنة ثمان وستين قبل هذا التاريخ والله أعلم . وكان
رضى الله عنه متمكنا في علوم القوم ؛ وكان الاولياء يحضرون مجلسه ،
وهو من تلامذة أبي العباس بن العريف المتقدم الذكر .

وفي سنة ثمانين وخمسائة توفى الشيخ أبو عبد الله التاودى المعلم
من أهل مدينة فاس ، ومن أصحاب الشيخ أبي يعزى ؛ وكان يعلم الصبيان
فيأخذ الاجر من أولاد الاغنياء فيرده على أولاد الفقراء ، ومات بفاس في
السنة المذكورة . وهذه النسبة التي بنى تاودى وهي قبيلة بقرب فاس .

وفي سنة احدى وثمانين بعدها توفي الامام المشهور أبو زيد عبد الرحمن بن الخطيب أبي محمد عبد الله بن أحمد السهيلي الخثعمي صاحب كتاب الروض الانف وغيره من التأليف الحسان ، وصاحب الابيات المشهورة في الدعاء وهي :

يا من يرى ما في الضمير ويسمع
يا من يرجي للشدائد كلها
يا من خزائن رزقه في قول كن
مالي سوى فقرى اليك وبسيلة
مالي سوى قرعى لبابك حيلة
ومن الذي أدعو وأهتف باسمه
حاشى لجودك أن تقنط عاصيا

أنت المعد لكل ما يتوقع
يا من اليه المشتكى والمفزع
أمنن فان الخير عندك أجمع
فبالافتقارى اليك فقرى أدفع
فلئن رددت فأى باب أفرع
ان كان فضلك عن فقيرك يمنع
الفضل أجزل والمواهب أوسع

كان بلدته سهيل وهي قرية بالقرب من مالقة يتسوغ بالعرفان ، ويتبلغ بالكفاف ، حتى نمت خبره الى السلطان بمراكش فطلبه اليها وأحسن اليه ؟ وأقبل بوجهه غاية الاقبال عليه ، فأقام بها نحو ثلاث سنين ؟ ثم توفي بها يوم الخميس السادس والعشرين من شعبان من السنة المذكورة ، ودفن وقت الظهر خارج باب الرب أحد أبواب مراكش ؟ وكان رحمه الله ضريرا نفعنا الله تعالى به .

وفي سنة تسعين وخسمائة توفي ولي الله تعالى أبو محمد عبد الحلیم بن عبد الله المراسي المعروف بالعماد من صلحاء سلا ، كان رحمه الله عبدا صالحا ؟ يدور على المكاتب ؟ ويستوهب الدعاء من الصبيان ، ويكي على نفسه ؟ وله كرامات ، وتوفي ببلده المذكور ؟ وقبره معروف ملاصق للمسجد الاعظم قرب باب الكبير من جهة القبلة .

وفي سنة ثلاث وتسعين وخسمائة توفي الشيخ أبو يعقوب يوسف بن علي المتبلى . المعدود في سبعة رجال من صلحاء مراكش ؟ كان رضي الله عنه كبير الشأن ، فاضلا صابرا راضيا على ربه فيما ابتلاه به من داء

الجذم ؟ سقط بعض جسده ذات يوم ، فصنع طعاما كثيرا للفقراء شكرا لله تعالى على ذلك ؛ وكان يسكن بحارة الجذمي العتيقة قبلى مراكش ، وبها مات في شهر رجب من السنة المذكورة ، ودفن خارج باب أغمات عند رابطة الغار ، واحتفل الناس لجنائزه رضى الله عنه .

وفي سنة أربع وتسعين بعدها توفى الشيخ العارف بالله تعالى ، أبو مدين شعيب بن الحسن الانصارى ؛ الولي الكبير المشهور ، أصله من حصن قطينية من عمل اشيلية ، ثم انتقل الى العدو فآخذ عن الشيخ أبي الحسن بن حرزهم ؛ وعن الشيخ أبي يعزى وبه اتفق وعليه تخرج ، وكان الشيخ أبو مدين رضى الله عنه من العارفين الراسخين ، قد خاض من الاحوال بحارا ؛ ومن المعارف أسرارا ؛ وجال في حدائثه سنة في بلاد المغرب من سبتة ومراكش وفاس ، ولازم بفاس الشيخ ابن حرزهم كما قلنا ؛ ثم سمع بخبر الشيخ أبي يعزى فقصده وأخذ عنه وظهرت عليه بركته .

قال الشيخ أبو مدين : « لما قدمت فاسا لقيت بها الاشياخ ، فسمعت رعاية المحاسبي على أبي الحسن بن حرزهم ، وكتاب السنن للترمذى على أبي الحسن بن غالب ؛ وأخذت طريقة التصوف على أبي عبد الله الدقاق وأبي الحسن السلاوى » قال : « وكنت أزور الشيخ أبي يعزى مرارا فقال لى جماعة من الفقهاء المجاورين لابي يعزى قد ثبتت عندنا ولاية ابي يعزى ؛ ولكنا نشاهده يلمس بطون النساء وصدورهن ويتفل عليهن فييران ونحن نرى أن لمسهن حرام ؛ فان تكلمنا فى هذا هلكتنا ، وان سكتنا حزننا » فقلت لهم : « أرايتم لو أن ابنة أحدكم أو أخته أصابها داء لا يطلع عليه الا الزوج ، ولم يوجد من يعاينه الا طيب يهودى أو نصرانى ؛ أليستم تجيزون ذلك مع أن دواءه مظنون ؛ ودواء أبي يعزى أتم على يقين منه ؛ فبلغ كلامى أبا يعزى فاستحسنه .

قال محمد بن ابراهيم الانصارى : « خرج الشيخ أبو مدين الف تلميذ ؛ وجاءه رجل ليعترض عليه فجلس فى الحلقة فقال له أبو مدين :

« لم جئت ؟ » قال : « لاقتبس من نورك » فقال له : « ما الذى فى كحك ؟ »
 فقال له : « مصحف » فقال له : « افتحه واقرا أول سطر يخرج لك »
 ففعل ، فخرج له قوله تعالى « الذين كذبوا شعييا كانوا هم الخاسرين »
 فقال له أبو مدين : « أما يكفيك هذا ؟ » فاعترف الرجل وتاب . وكراماته
 رضى الله عنه كثيرة .

وكان استوطن فى آخر عمره بجاية ؟ وكثر عليه الناس ، وظهرت
 على يده كرامات فوشى به بعض علماء الظاهر عند يعقوب المنصور ، وقال
 له : « انا نخاف منه على دولتكم ، فان له شيئا بالامام المهدي ؟ واتباعه
 كثيرون بكل بلد » فوقع منه ذلك ، فكتب لصاحب بجاية يبعثه اليه وأوصاه
 بالاعتناء به ، وان يحمله اليه خير محمل ففعل

ولما كان الشيخ أبو مدين رضى الله عنه بالطريق مرض مرض
 موته ، فلما وصل وادى يسر قرب تلمسان اشتد به مرضه فنزلوا به
 هنالك فكان آخر كلامه : الله الحق ؟ فتوفى ودفن برابطة العباد قرب
 تلمسان . وسمع اهل تلمسان بجنائزه فحضروها ، وكانت من المشاهد
 العظيمة .

وفى سنة خمس وتسعين وخمسائة : توفى الشيخ الفقيه الصالح
 أبو عبد الله محمد بن ابراهيم المهدي صاحب كتاب الهداية ، أقام نحو
 أربعين سنة لم تفته صلاة فى جماعة الا يوما واحدا لعذر عاقه عن ذلك ؟
 دخل مدينة فاس ومعه نحو من أربعين ألفا من المال ، فما زال ينفقها فى
 سبيل الخير حتى لم يبق له الا دار سكناه فباعها من بعض أهل فاس
 واعمره المشتري لها ، فلما خرجت منها جنازته حازها المشتري المذكور ؟
 وكانت وفاته يوم الجمعة الخامس والعشرين من جمادى الاولى من السنة
 المذكورة .

واعلم انا قد قدمنا أن الشيخ أبا مدين كان تلميذا للشيخ أبى يعزى ،
 وكان الشيخ أبو يعزى تلميذا للشيخ أبى شعيب السارية ؟ وكان الشيخ

أبو شعيب تلميذاً للشيخ أبي ينور الدكالي نفعنا الله بجمعهم وأفاض علينا
من مددهم آمين .
ولنرجع الى أخبار الدولة الموحدية فنقول :



الخبر عن دولة امير المؤمنين ابي عبد الله

محمد الناصر لدين الله بن يعقوب المنصور بالله

بويج لابي عبد الله محمد الناصر لدين الله في حياة والده يعقوب
المنصور ، ثم جددت له البيعة بعد وفاته وذلك يوم الجمعة الثاني والعشرين
من ربيع الاول سنة خمس وتسعين وخمسمائة ، وهو اليوم الذي توفى
فيه أبوه ، فأقام بمراكش بقية ربيع الاول وربيع الثاني ؛ ثم نهض في
فاتح جمادى الاولى الى فاس ؛ فأقام بها بقية السنة المذكورة .
ثم غزا جبال غمارة من أجل علودان الغماري التائر بها ففتحها ،
ثم رجع الى فاس فأتم بناء سورها الذي كان خربه عبد المؤمن وبني
فصبتها ورتب أمورها ، وأقام بها الى سنة ثمان وتسعين وخمسمائة ؛ فعاد
الى مراكش واقام بها الى ان كان ما نذكره .



غزو الناصر بلاد افريقية

وولاية الشيخ أبي محمد بن أبي حفص عليها والسبب في ذلك

لما هلك المنصور رحمه الله قوى أمر يحيى بن اسحق - المعروف
بابن غانية بأفريقية - واستولى على أعمال قراقوش الغزي صاحب طرابلس
وعلى المهديّة ، وتغلب على بلاد الجريد ؛ ثم نازل تونس سنة تسع وتسعين

وخمسمائة وافتتحها عنوة لاربعة أشهر من حصارها في ختام المائة السادسة ، وقبض على السيد أبي زيد وابنه ومن كان معه من الموحدين ؛ وطالب أهل تونس بالنفقة التي أنفق . وبسط عليهم العذاب حتى هلك في الامتحان كثير من بيوتاتهم . ثم دخل في دعوته أهل القيروان وغيرها من البلاد ، وانتظمت له أعمال افريقية ؛ وفرق العمال ؛ وخطب للخليفة العباسي .

واتصل بالناصر وهو بمراكش هذا كله فامتعض لذلك ، وشاور الموحدين في أمر افريقية ؛ فأشاروا عليه بمسألة ابن غانية ، وأشار الشيخ أبو محمد عبد الواحد بن أبي حفص بالتهوض اليها والمدافعة عنها ، فعمل على رأيه ؛ ونهض اليها سنة ستمائة وبعث الاسطول في البحر لنظر يحيى بن أبي زكريا الهزرجي .

واتصل ذلك بابن غانية فبعث ذخائره وحرمه الى المهديّة مع علي بن الغاني من قرابته وولاه عليها .

ولما قرب الناصر من افريقية خرج ابن غانية من تونس الى القيروان ثم الى قفصة ، واجتمع اليه العرب وأعطوه الرهائن على المظاهرة والدفاع ؛ وسار الى حامة مطماطة ؛ ثم الى جبل بنى دمر فتحصن به .

ووصل الناصر الى تونس ، ثم سار في اتباع ابن غانية الى قفصة ثم الى قابس ، ثم عاد الى المهديّة فعسكر عليها ، واتخذ الآلة لحصارها ؛ وسرح الشيخ أبا محمد عبد الواحد لقتال ابن غانية في أربعة آلاف من الموحدين سنة اثنين وستمائة ، فلقه بجبل تاجورة من نواحي قابس وأوقع به ؛ وقتل أخاه جبارة بن اسحق ؛ واستنقذ السيد أبا زيد من معتقله

وأما الناصر فإنه استمر محاصرا للمهديّة وبها يومئذ علي بن الغاني ؛ وكان يدعى بالحاج ، وكان شهما محاربا فامتنع على الناصر وابتدى من مكاييد الحرب وخداعه ما يقصر عنه الوصف ، وأشجى الموحدين وبالغ في نكائتهم ؛ فكأنوا يسمونه الحاج الكافر . ثم نزل على الامان واحسن اليه

الناصر
بالع
ما
الناصر
بالع
ما
الناصر
بالع
ما

الناصر احسانا تاما ، وسماه بالحاج الكافي بالياء بدل الراء لما رأى من مراعاة لصاحبه وحسن عهده معه . واستشهد الحاج الكافي هذا فى وقعة العقاب الآتية :

وكان فتح المهديّة فى السابع والعشرين من جمادى الاولى سنة اثنتين وستمائة ، وولى الناصر عليها محمد بن يغمور الهرغى ؛ وارتحل عنها فى عشرين من جمادى الثانية ؛ فدخل تونس غرة رجب وأقام بها بقية السنة وأكثر الذى بعدها .

ولما كان رمضان من سنة ثلاث وستمائة أشاع الناصر الحركة الى المغرب ، واستخلف على افريقية ثقته ووزيره الشيخ أبا محمد عبد الواحد ابن الشيخ أبى حفص الهنتامى جد الملوك الحفصيين بعد مراجعة وامتاع .

قال ابن خلدون : امتنع الشيخ أبو محمد الى أن بعث اليه الناصر فى ذلك بابنه يوسف فأكبر مجيئه وأذعن ، ويقال ان الناصر قال له : «يا ابا محمد انت تعلم ما تجشمناه من المشاق والصوائر فى استنقاذ هذا القطر ، ولا آمن عليه من عدو متوثب ، ولا يقوم بحمايته الا انا او انت . فامض الى حفظ ممالكنا المغربية وأقيم انا ، أو قم أنت وأرجع انا » . ففقه الحياء حينئذ وأذعن للاقامة ، واشترط شروطه المعروفة ؛ وهى أن يقيم ثلاث سنين ريثما ترتب الاحوال ثم يعود الى وطنه ، وأن يحكمه الناصر فيمن يجسه معه من الجند ويرضاه من أهل الكفاية ، وأن لا يتعقب أمره فى ولاية ولا عزل ؛ فقبل الناصر شروطه .

ولما عزم الناصر على النهوض الى المغرب خرج اليه أهل تونس رافعى أصواتهم بين يديه اشفاقا من عود ابن غانية اليهم ، فاستدعى وجوههم وكلمهم بنفسه ؛ وقال : انا قد اخترنا لكم من يقوم مقامنا فيكم وآثرناكم به على شدة حاجتنا اليه وهو فلان ، فبإشر الناس بولايته . وشيع الناصر الى باجة ورجع واليا على جميع بلاد افريقية ، واستقل بامرها ونهيتها .

فمن هنا ورثت الملوك الحفصيون سلطنة تونس وافريقية ، وفنل

الناصر الى المغرب فدخل مراكش فى ربيع سنة أربع وستمائة . ولا استقر بالحضرة وفدت عليه الوفود ، وهناته الشعراء بالفتح . فكان من ذلك ما أنشده ابن مرج الكحل وهو قوله :

ولما توالى الفتح من كل وجهة ولم تبلغ الاوهام فى الوصف حده
تركنا أمير المؤمنين لشكره بما أودع السر الالهى عنده
فلا نعمة الا تؤدى حقوقها علامته بالحمد لله وحده

فاستحسن الكتاب منه ذلك ووقع أحسن موقع ، وأشار بذلك الى العلامة السلطانية عند الموحدين ؛ فانها كانت أن يكتب السلطان بيده بخط خفيف فى رأس المنشور : الحمد لله وحده ، وقد تقدم ذلك والله أعلم

فتح جزيرة ميورقة

كانت جزيرة ميورقة لبنى غانية المسوفيين من عهد على بن يوسف بن تاشفين اللمتونى ، وكان يعقوب المنصور قد بعث اليها أسطوله مرارا فامتعت عليه ، ولما ولى ابنه الناصر وغزا افريقية وجه اليها من ثغر الجزائر أسطولا مع عمه السيد أبى العلاء ؛ والشيخ أبى سعيد بن أبى حفص فنازلوها ثم اقتحموها عنوة ، وقتلوا صاحبها عبد الله بن اسحق المسوفى وانصرف السيد الى مراكش بعد أن ولى عليها عبد الله بن طاع الله الكومى ، ووفد أهلها على الناصر فآكرم وفادتهم . وولى القضاء عليهم الفقيه الجليل المحدث أبا محمد عبد الله بن سليمان الانصارى المعروف بابن حوط الله ، ذكره ابن الخطيب فى الاحاطة فقال : « كان مشهورا بالعقل والفضل ، معظما عند الملوك معلوم القدر لديهم ، يخطب فى مجالس الامراء والمجالس الجمهورية مقدما فى ذلك ؛ ذا بلاغة وفصاحة الى أبعد مضمار ، ولى قضاء اشيلية وقرطبة ومرسية وسبتة وسلا وميورقة تظاهر

بالعدل ، وعرف بما ابطن من الدين والفضل ، وكان من العلماء العاملين .
 مجانبا لاهل البدع والاهواء ، بارع الخط ، حسن التقييد الى غير ذلك .
 ثم ولي الناصر على ميورقة عمه السيد ابا زيد ؛ وجعل ابن طاع الله
 على قيادة البحر وبعد السيد ابي زيد وليها السيد ابو عبد الله بن ابي حفص
 بن عبد المؤمن ، ثم أبو يحيى بن علي بن أبي عمران التينملى ؛ ومن يده
 أخذها النصارى ستة سبع وعشرين وستمائة وكان الحوادث بها عظيما .



ثورة ابن الفرس وما كان من امره

كان عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن الفرس من طبقة العلماء
 بالاندلس ، ويعرف بالمهر ، وحضر مجلس يعقوب المنصور في بعض الايام
 وتكلم بما خشى عاقبته في عقده ، فخرج من المجلس واخفى مدة ؛ ثم
 القحطاني المراد بقوله صلى الله عليه وسلم لا تقوم الساعة حتى يخرج
 رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه ييلاها عدلا كما ملئت جورا الحديث .
 وكان مما نسب اليه من الشعر قوله :

| | |
|----------------------------|--------------------------------|
| قولا لابناء المؤمن بن علي | تأهبوا لوقوع الحوادث الجلل |
| قد جاء سيد قحطان وعالمها | ومنتهى القول والغلاب للدول |
| والناس طوع عصاه وهو سائقهم | بالأمر والنهي بحر العلم والعمل |
| وبادروا أمره فالله ناصره | وانله خادع أهل الزبغ والميل |

فبعث الناصر اليه الجيوش فهزموه ، وقتل وسيق راسه الى مراکش
 فنصب بها وسكنت الفتنة .

وقد ثار ايضا في سنة ستمائة رجل من آل البيت من العبيديين واسمه
 محمد بن عبد الله بن العاضد - وهذا العاضد هو آخر خلفاء الشيعة
 بمصر - فثار حافده محمد بن عبد الله المذكور بجبال ورغة من احواز

فاس ؟ فظفر به وقتل وعلق راسه بباب الشريعة أحد أبواب فاس ، وأحرق جسده في وسط الباب المذكور ، وركبت مصارعه فسمى الباب باب المحروق بعد أن كان يسمى باب الشريعة .

ثم في سنة عشر وستمائة ثار ولد هذا المحروق بجبال غمارة وادعى أنه الفاطمي ؛ وتبعه خلق كثير من أهل الجبل والبادية ، فبعث إليه الناصر جيشا فظفر به وقتل .

وفي سنة احدى وستمائة بنى عامل الريف من قبل الناصر - واسمه بيش - سور بادس ولمديه ومليية حياطة وتحصينا من فجأة العدو .

وفي سنة أربع وستمائة أمر الناصر بتجديد سور مدينة وجدة واصلاحها ، فشرع في ذلك في فاتح رجب من السنة المذكورة .

وفيها أيضا أمر الناصر ببناء دار الوضوء والسقاية بأزاء جامع الاندلس بفاس ، فبنيت وجلب اليها الماء من العين التي خارج باب الحديد ؛ وأمر ببناء الباب الكبير المدرج الذي بحصن الجامع المذكور وأنفق في ذلك كله من بيت المال .

وفيها أيضا أمر ببناء مصلى القرويين ، وأمر أن لا يصلى بمصلى الاندلس ؛ فأقام الناس يصلون بعدوة القرويين ثلاث سنين ثم عادوا يصلون بالاندلس والقرويين معا ، كما كانوا أولا بعد أن شهد أنها قديمة .

وفي شوال من السنة المذكورة نهض الناصر من فاس الى مراكش فأقام بها الى أن كان ما نذكره .



غزوة العقاب التي محص الله فيها المسلمين

ثم اتصلت الاخبار بالناصر وهو بمراكش ان الفتنس لعنه الله قد استطال على ثغور المسلمين بالاندلس ، وأنه يغير على قراها وينهب الاموال ويسبي النساء والذرية ؛ فاهمه ذلك وأقلقه وكب الى الشيخ أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص صاحب افريقية يستشيره في الغزو ؛ فأبى عليه فخالفه وأخذ في الحركة للجهاد .

وكان الناصر معجبا برأيه ، مستبدا بأموره ؛ ففرق الاموال على القواد والاجناد ؛ وكب الى جميع بلاد افريقية والمغرب وبلاد القبلة يستنفر المسلمين لغزو الكفار فأجابه خلق كثير ، وألزم كل قبيلة من قبائل العرب بحصة من الخيل والرجل تخرج للجهاد ، فتقدمت عليه الجيوش من سائر الاقطار ، وتسارع الناس اليه خفافا وثقلا من البوادي والامصار .

فلما تكاملت لديه الحشود وتوافقت بحضرتة الجنود خرج من مراكش في تاسع عشر شعبان سنة سبع وستمائة ؛ فانتهى الى قصر المجاز فاقام به وشرع في اجازة الجيوش من أوائل شوال الى أواخر ذي القعدة من السنة المذكورة ، فلتقاه هنالك قواد الاندلس وفقهاؤها ورؤساؤها ؛ واقام بطريف ثلاثا ، ثم نهض الى اشبيلية في امم لا تحصى - وجيوش لا تستقصى قد ملات السهل والوعر .

حكى بعض الثقات من مؤرخي المغرب أنه اجتمع مع الناصر في هذه الغزوة من أهل المغرب والاندلس ستمائة ألف مقاتل ، وكان الناصر رحمه الله قد أعجبه ما رأى من كثرة جنوده ؛ وأيقن بالفقر فقسم الناس على خمس فرق ، فجعل العرب فرقة ؛ وزناتة وصنهاجة والمصامدة وغمارة وسائر أصناف قبائل المغرب فرقة ؛ وجعل المتطوعة فرقة ، وجعل جند الاندلس فرقة ؛ والموحدين فرقة ؛ وأمر كل فرقة أن تنزل ناحية ، واهتزت جميع بلاد الفرنج لجوازه ، وتمكن رعبه في قلوبهم ، فأخذوا في

تحصين بلادهم واخلاء ما قرب من المسلمين من قراهم وحصونهم . وكتب
اليه أكثر أمرائهم يسألونه السلم ويطلبون منه العفو ، ووفد عليه منهم ملك
ينبلونة مستسلما خاضعا طالبا للصلح ؛ فيقال انه قدم بين يديه كتاب النبي
النبى صلى الله عليه وسلم الذى كتبه الى هرقل ملك الروم يستشفع به ؛
وقد كان هذا الكتاب وقع اليه ورائة من بعض سلفه ، فاحتفل الناصر
تقدمه ؛ وصف له الجيوش من باب مدينة قرمونة الى باب اشيلية أربعين
ميلا ، ثم عقد له الصلح ما دامت دولة الموحدين ؛ وصرفه الى بلاده مكرما
مسعفا بجميع مطالبه .

وعند ابن خلدون ان الذى وفد على الناصر فى هذه الغزوة هو
البيوج أحد الملوك الثلاثة الذين شهدوا وقعة الارك ، قال : وهو الذى
مكر بالناصر يوم العقاب ، قدم عليه وأظهر له التنصح وبذل له أموالا ؛
ثم غدر به وجر عليه الهزيمة والله أعلم .

ثم خرج الناصر من اشيلية غازيا بلاد قشتالة فى أوائل صفر سنة
ثمان وستمائة ، فسار حتى نزل حصن سلبطرة وهو حصن منيع وضع على
قمة جبل ، وقد تعلق بأكناف السحاب ليس له مسلك الا من طريق واحد
فى مضائق وأوعار ؛ فنزل عليه الناصر وأدار به الجيوش ، ونصب عليه
أربعين منجنيقا فهتك أرباضه ؛ ولم يقدر منه على شيء .

قالوا : وكان وزيره أبو سعيد بن جامع قد تمكن من الناصر ، فأوصى
شيوخ الموحدين وأعيانهم وذوى الخنكة والرأى منهم عن بساطه ، وانفرد
هو به فكان يشير على الناصر فى غزوته هذه بأراء كانت سبب الضعف
والوهن ، وجلبت الكرة على المسلمين من ذلك أن الناصر لما أعياه أمر
الحصن عزم على النهوض عنه الى غيره ؛ فأشار عليه ابن جامع بأن لا
يتجاوزه حتى يفتحه ، فيقال انه أقام على ذلك الحصن ثمانية أشهر ففيت
بيها أزواد الناس ؛ وقتل علوفاتهم ؛ وكلت عزائمهم ، وفسدت نباتهم ؛

وانقطعت الامداد عن المحلة فغلت بها الاسعار ، ودخل فصل الشتاء فاشتد
البرد واصاب المسلمين كل ضر ، ويقال انه من طول مقام الناصر على ذلك
الحصن عتس الحظاف في جانب خبائه وباض وأفرخ وطارت فراخه وهو
مقيم على حاله .

واتصل بالفنش لعنه الله ما آل اليه امر المسلمين من الضجر وقله
المادة وتشوش البواطن واختلاف الراى ، فاغتنم الفرصة وبعث الحاشرين
في مدائنه ودعا كل من قدر على حمل السلاح من رعيته ، فاجتمع له من
ذلك ما لا حصر له .

ثم خالف الناصر الى قلعة رباح فنازلها ، وبها يومئذ أبو الحجاج
يوسف بن قادس من قواد الاندلس وزعمائها ، كان قد ترتب في ذلك
الحصن في جماعة من الحيل لحمايته وضبطه ، فحاصره الفنش وبالغ في
التضييق عليه ؛ فكان ابن قادس يكتب لأمير المؤمنين الناصر يعلمه بحاله
ويستمدد على عدوه ، وهو على حصن سلطرة ؛ فكان الوزير ابن جامع
اذا وصلت اليه كتب ابن قادس أخفاها عن الناصر لئلا يرسل عن الحصن
قبل فتحه ، فلما طال الحصار على ابن قادس وفنى ما عنده من الاقوات
والسلاح ويش من امداد الناصر اياه وخشى على من في الحصن من النساء
والذرية صالح الفنش على تسليم الحصن له وخروج المسلمين آمنين على
أنفسهم ، ففعل ؛ واستولى الفنش على قلعة رباح

وسار ابن قادس الى الناصر ليجتمع به ويعلمه بالامر على وجهه ؛
وسار معه صهر له بعد أن عزم ابن قادس عليه أن يرجع قايى ، وقال :
ان قتلت قتلت معك ! ولما وصل الى الوزير ابن جامع أمر بحبسه وحبس
صهره معه ، ثم دخل على الناصر فقال له : ان ابن قادس قد دفع الحصن
الى العدو ثم قدم عليك وأراد الدخول عليك .

وكان الناصر قد تغير باطنه على أهل الاندلس ، واتهمهم بكتمان أمر
العدو عنه حين كان بمراكش ؛ فلما قدم ابن قادس في هذه المرة وقال له

ابن جامع ما قال امر بقتله فقتل هو وصهره قطعاً بالرماح رحمهما الله .
 فحققت جيوش الاندلس على ابن جامع وفسدت نياتهم على الناصر ،
 واحس ابن جامع بذلك فامر باحضار قوادهم فحضروا بين يديه ، فقال
 اعتزلوا جيش الموحدين فلا حاجة لنا بكم كما قال الله تعالى : لو خرجوا
 فيكم ما زادوكم الا خيالا . وستنظر بعد هذا في أمر كل فاجر .

ولما علم الناصر بحال الفئس وما هو عليه من القوة وكثرة الجموع
 واستيلائه على قلعة رباح التي هي أمنع ثغور المسلمين شق ذلك عليه ؛ وامتع
 من الطعام والشراب حتى مرض من شدة الوجد ، ثم شدد في قتال
 سلطيرة وبذل الاموال الجلييلة حتى فتحها صلحا وذلك في اواخر ذي
 الحجة من سنة ثمان وستمائة ، ثم زحف الفئس الى الناصر ونهض الناصر
 اليه فالتقى الجمعان بموضع يعرف بحصن العقبان ، فضرب المصاف وضرب
 للناصر قلبه الحمراء المعدة للقتال على رأس ربوة ، وقعد امامها على درفته
 وفرسه قائم بازائه ؛ ودارت العبيد بالقبة من كل ناحية ومعهم السلاح التام
 ووقفت السافات والبنود والطبول امام العبيد مع الوزير ابن جامع ؛ واقبلت
 جموع الفرنج على مصافها كأنها الجراد المنتشر ، فتقدمت اليهم المتطوعة
 وحملوا عليهم أجمعون وكانوا مائة وستين ألفا ، فغابوا في صفوفهم
 وانطبقت عليهم الفرنج فاقتلوا قتالا شديدا فاستشهد المتطوعة عن آخرهم
 هذا وعساكر الموحدين والعرب والاندلس ينظرون اليهم لم يحرك اليهم
 منهم أحد .

ولما فرغ الفرنج من المتطوعة حملوا بأجمعهم على عساكر الموحدين
 والعرب حملة منكرة . فلما انتشب القتال بين الفريقين فرت قواد الاندلس
 وجيوشها لما كانوا قد حققوه على ابن جامع في قتل ابن قادس أولا ،
 وتهديدهم وطرده لهم ثانيا ، فجزوا الهزيمة على المسلمين ولا حول ولا قوة
 الا بالله ؛ وتبعهم قبائل البربر والموحدون والعرب ، وركبتهم الفرنج
 بالسيف وكشفوهم عن الناصر حتى انتهوا الى الدائرة التي دارت عليه من

العبيد والحشم ، فلقوها كالبيان المرصوص لم يقدرُوا منها على شيء ؛ ودفع
الفرنج بخيلهم المدرعة على رماح العبيد وهي مشرعة اليهم فدخلوا فيها
والناصر قاعد على درقته أمام خبائه يقول « صدق الرحمن وكذب الشيطان »
حتى كانت الفرنج تصل اليه ، وحتى قتل حوله من عبيد الدائرة نحو
عشرة آلاف ؛ ثم أقبل اليه بعض فرسان العرب على فرس له انشى فقال له :
الى منى فعودك يا أمير المؤمنين وقد نفذ حكم الله وتم أمره وفنى المسلمون ؟
فعند ذلك قام الناصر الى جواد له سابق كان أمامه فأراد أن يركبه فترجل
العربي عن فرسه وقال له : اركب هذه الحرة فانها لا ترضى بعار ، نلعل
الله ينجيك عليها فان في سلامتك الخير كله . فركبها الناصر ، وركب
العربي جواده ، وتقدم أمامه في كوكبة عظيمة من العبيد محيطة بهم ،
والفرنج في أعقابهم تقتلهم ونادى منادى الفئس يومئذ : ألا لا أسر الا
القتل ، ومن أتى بأسير قتل هو وأسيره ؛ فحكمت سيوف الفرنج في
المسلمين الى الليل .

وكانت هذه الرزية العظيمة يوم الاثنين خامس عشر صفر سنة تسع
وستمائة . فذهبت قوة المسلمين بالمغرب والاندلس من يومئذ ولم تنصر
لهم بعدها راية مع الفرنج الى أن تدارك الله رمق الاندلس بالسلطان
المنصور بالله يعقوب بن عبد الحق المريني رحمه الله كما سنقص خبر ذلك
مستوفى عند الوصول اليه ان شاء الله .

قال ابن الخطيب : لما لحق الناصر باشبيلية حمل السيف على طائفة
كبيرة ممن توجهت اليهم الفلنة . وقال ابن خلدون : ثم رجعت الفرنج
الى الاندلس بعد الكائنة للاغارة على بلاد المسلمين ، فلقبهم السيد أبو
زكريا بن أبي حفص بن عبد المومن قريبا من اشبيلية فهزمهم واتعش
المسلمون بها واتصلت الحال على ذلك

وفاة الناصر رحمه الله

قال ابن أبي زرع : لما قدم الناصر الى مراكش منصرفا من وقعة العقاب أخذ البيعة لولده يوسف الملقب بالمنتصر ، فبايعه كافة الموحدين ؛ وخطب له على جميع منابر المغرب والاندلس في العشر الاواخر من ذي الحجة سنة تسع وستمائة

ولما تمت له البيعة دخل الناصر قصره واحتجب فيه عن الناس وانغمس في لذاته مصطبحا ومغتبقا الى شعبان من سنة عشر وستمائة فمات مسموما بتدبير وزرائه عليه في ذلك ، قال : وكانت وفاته يوم الاربعاء الحادي عشر من شعبان المذكور .

وقال ابن خلكان : تقول المغاربة ان الناصر رحمه الله كان قد أوصى الى عبيده المشتغلين بحراسة بستانه بمراكش أن كل من ظهر لهم بالليل فهو مباح الدم لهم ، ثم أراد أن يختبر قدر أمره عندهم فتكر وجعل يمشي في البستان ليلا فعندما رأوه جعلوه غرضا لرماحهم ، فجعل يقول : أنا الخليفة أنا الخليفة ؛ فما تحققوه حتى فرغوا منه والله أعلم بصحة ذلك .

قلت : الصحيح في وفاة الناصر ما ذكره الوزير ابن الخطيب في رقم الحلال قال : « ثم صرف الناصر وجهه الى غزو الاندلس في عزم لم يبلغ اليه ملك قبله ، ولما احتل رباط الفتح من سلا نزل به الموت فتوفي ليلة الثلاثاء عاشر شعبان سنة عشر وستمائة فانحل العزم وتفرقت الجموع (١) والبقاء لله وحده .

(١) وذكر صاحب كتاب المعجب في تلخيص اخبار المغرب وهو ابو محمد عبد الواحد المراكشي انه اختلف في سبب وفاته واصلح ما بلغه في ذلك انه اصابته سكتة من ورم في دماغه وذلك يوم الجمعة لخمس خلون من شعبان فاقام ساكتا لا يتكلم يوم السبت واحد والاثنين واثار عليه الاطباء بالفصد فابى ذلك وتوفي يوم الاربعاء لعشر خلون من شهر شعبان من سنة 610 ودفن يوم الخميس، صلى عليه خاصة الحشم اهـ.

الخبر عن دولة أمير المؤمنين يوسف المنتصر بالله

ابن الناصر بن المنصور رحمه الله

لما ملك محمد الناصر لدين الله بويج ابنه أبو يعقوب يوسف بن محمد بن يعقوب المنصور وهو ابن ست عشرة سنة ، ولقب بالمنتصر بالله ؛ وغلب عليه الوزير أبو سعيد ابن جامع ومشيخة الموحدين ، فقاموا بأمره ؛ واستبدوا عليه ؛ وتأخرت بيعة الشيخ أبي محمد عبد الواحد بن أبي حفص من إفريقية لصغر سن المنتصر ، ثم وقعت المحاولة من الوزير ابن جامع وصاحب الأشغال عبد العزيز بن أبي زيد فوصلت بيعته حينئذ ، واشتغل المنتصر عن تدبير الأمر والجهاد بما يقتضيه الشباب .

وعقد للسادات على عمالات ملكه ؛ فعقد للسيد أبي إبراهيم اسحق بن يوسف بن عبد المومن - ويلقب بالظاهر - على فاس وأعمالها ، وهو أخو المنصور ووالد عمر المرتضى الآتي ذكره . وعقد لعنه السيد أبي اسحق بن المنصور على اشيلية وما أضيف إليها ، ولعنه ابن عبد الله محمد بن المنصور على بلنسية وشاطبة وأعمالها ؛ ولعنه أبي محمد عبد الله بن المنصور على مرسية ودانية وأعمالهما . وبعث معه الشيخ أبا زيد بن يركان وكان من أشياخ الموحدين ودهاتهم .

وفي دولة المنتصر هذا فشل أمر الموحدين وذهبت ريحهم ، وأشرفت دولتهم على الهرم ؛ واستولى الفتن على المعقل التي أخذها المسلمون ؛ وهزم حامية الاندلس في كل جهة ؛ واستبدت السادة بالاطراف ، والتأتت الأمور بالاندلس والمغرب أجمع . أما الاندلس فتكالب العدو عليها وفناه حماها ؛ وأما المغرب فبخلاء كثير من قراه وأمصاره من وقعة العقاب .

ثم ظهرت بنو مرين بجهة فاس سنة ثلاث عشرة وستمائة ؛ وكانوا موطنين بصحراء فيجيج وما والاها ، فافتحموا المغرب في هذه السنين لخلائه من الحامية ، واكتسحوا بساطله بالفارات ؛ وانحازت رعاياه الى

المعاقل والحصون ؛ وكثرت الشكايات بهم الى المنتصر ؛ وهو مقيم بمراكش فكتب الى السيد ابي ابراهيم صاحب فاس يامره بغزوهم ، فخرج اليهم وهو ببلاد الريف ؛ فأوقعوا به وقعة شنعاء كانت باكورة فتحهم ، وعاد السيد مقلولا الى فاس ؛ وأصحابه عراة بين يديه يخصفون عليهم من ورق النبات المعروف بالمشعلة ؛ فسميت السنة سنة المشعلة ، وكانوا قد أسروا السيد أبا ابراهيم ثم عرفوه فأطلقوه . ثم صمدت بنو مرين بعدها الى تازا فقلوا حاميتها ؛ وعظمت شوكتهم بالمغرب على ما نذكره بعد ان شاء الله .

وفي سنة أربع عشرة وستمائة هزم المسلمون بقصر أبي دانس من الاندلس ، وهي من الهزائم الكبار التي تقرب من هزيمة العقاب ؛ لان العدو كان قد نزل قصر أبي دانس وحاصره ، فخرج اليه جيش اشيلية وجيش قرطبة وجيش جيان وحشود بلاد غرب الاندلس لاستنقاذ قصر أبي دانس ؛ وكان ذلك بأمر المنتصر ، فساروا يؤمون العدو ؛ فلم تقع عينهم على عينه الاوقد خامر قلوب المسلمين الرعب وولوا الادبار لما كان قد رسخ في نفوسهم من بأسه يوم العقاب ، فتكالب العدو بعدها على المسلمين وتمرس بهم وهان عليه أمرهم ، وخشعت نفوسهم له . ولما فروا منه في هذه الحرجة ركبهم بالسيف وقتلهم عن آخرهم ، ورجع الفئس الى قصر أبي دانس فحاصره حتى افتحمة عنوة وقتل جميع من به من المسلمين .

وفي سنة ثمان عشرة وستمائة توفي صاحب افريقية الشيخ أبو محمد عبد الواحد ابن أبي حفص ؛ فبايع الموحدون بافريقية ابنه أبا زيد عبد الرحمن ، فقام بالامر وأطفأ النائرة ؛ وأفاض العطاء ومهد النواحي ورتب الامور حتى ورد كتاب المنتصر من مراكش لثلاثة أشهر من ولايته بتأخيره وتولية السيد أبي العلاء الاكبر مكانه ، وهو ادريس بن يوسف بن عبد المومن . فقدم افريقية في ذي القعدة سنة ثمان عشرة وستمائة ، ووالى الهزائم على ابن غانية النائر بافريقية حتى شرد الى الصحراء ، وأبو العلاء

هذا هو الذي بنى البرجين اللذين على باب المهديّة وحصنها ، وهو الذي بنى برج الذهب باشبيلية أيام ولايته عليها في دولة أبيه ، وأقام أبو العلاء بافريقية إلى أن توفي بتونس منها في شعبان سنة عشرين وستمائة .

واستولى على افريقية بعده ابنه أبو زيد بن ادريس ؟ وساءت سيرته في الناس ، وأقام على ذلك إلى دولة العادل عبد الله بن المنصور صاحب مراکش فعزله وولى مكانه عبد الله بن عبد الواحد بن أبي حفص .

ثم غلب عليه أخوه أبو زكريا يحيى بن عبد الواحد بن أبي حفص ، وتداول ملك افريقية بنوه من بعده ؟ واستبدوا بها واقتطعوها عن نظر بني عبد المومن أصحاب مراکش ، فلم تعد اليهم بعد .

وأما يوسف المنتصر فإنه استمر مقيما بمراكش على لذاته إلى أن توفي ، وكان من خبر وفاته أنه كان مولعا باتخاذ الحيوان واستتاجه ؛ فكان يوتى إليه بأصناف البقر من الأندلس فيرسلها في بستانه الكبير من حضرة مراکش ، ويحمل بعضها على بعض للتنازل ؛ فخرج ذات يوم للتطوف على تلك البقر والنظر إليها ، فتوسط قطيعا منها وقد ركب نثيا فأنكرته بقرة شرود كانت في ذلك القطيع فطعنته في صدره طعنة أتت عليه من حينه ، وذلك في عشي يوم السبت الثاني عشرة من ذي الحجة سنة عشرين وستمائة ولم يخلف إلا حملا من جارية له .

قال ابن خلكان : لم يكن في بني عبد المومن أحسن وجهها من المنتصر ولا أبلغ في المخاطبة ، إلا أنه كان مشغوبا براحته ؛ فلم يبرح عن حضرته فضعت الدولة في أيامه والله تعالى أعلم .



الحبر عن دولة أمير المؤمنين عبد الواحد المخلوع ابن يوسف

ابن عبد المؤمن رحمه الله



لما هلك المنتصر في التاريخ المتقدم اجتمع الوزير ابن جامع والموحدون وبايعوا للسيد أبي محمد عبد الواحد بن يوسف وهو أخو المنصور .
 قال ابن أبي زرع : بايعوه على كره منه بقبة المنصور من قسبة مراکش وهو يومئذ في سن الشيخوخة ، وكان عالما فاضلا متورعا ؛ فاستقام له الامر نحو شهرين ، وخطب له في جميع أعمال الموحيدين ما عدا مرسية ؛ فان ابن أخيه السيد أبا محمد عبد الله بن المنصور الملقب بالعدل كان واليا عليها ، وكان وزيره بها الشيخ أبا زيد بن يرجان المعروف بالاصفر ؛ وكان من دهاة الموحيدين ، وكان المنصور رحمه الله اذا رآه يستعذ بالله من شره ؛ ويقول ما ذا يجرى على يدك من الفتن يا أصفر ؛ وكان من خبره أنه لما بويح المخلوع أمر باطلاق ابن يرجان لانه كان محبوبا على ما عند ابن خلدون ، فاطلق ثم صده ابن جامع عن ذلك ، وانفذ أخاه أبا اسحق في الاسطول ليغربه الى ميورقة ، فلاذ ابن يرجان حينئذ بعبد الله بن المنصور صاحب مرسية ، ونزل منه منزلة الوزير واغراه بالتوثب على الامر ، وشهد له انه سمع من المنصور رحمه الله العهد له بالخلافة من بعد الناصر . وقال له فيما قال : انك احق بالخلافة من عبد الواحد ، أنت ولد المنصور وأخو الناصر وعم المنتصر ، ولك الرأي وحسن السياسة والحزم . ولو دعوت الموحيدين الى بيعتك لم يختلف عليك اثنان .

وكان الناس على كره من ابن جامع وولاة الاندلس يومئذ كلهم بنو المنصور ، فأصغى اليه عبد الله هذا ؛ وكان مترددا في بيعة عمه ؛ فبرز الى مجلس حكمه ؛ واستدعى من بمرسية وأعمالها من الموحيدين والفقهاء والاشياخ فدعاهم الى بيعته ؛ فبايعوه وتسمى بالعدل ؛ وكان اخوته ابو

العلاء الاصغر صاحب قرطبة وأبو الحسن صاحب غرناطة وأبو موسى صاحب مالقة فبايعوه سرا ، وكان أبو محمد بن أبي عبد الله بن أبي حفص بن عبد المؤمن المعروف بالياسي صاحب جيان وقد عزله المخلوع بعنه ابي الربيع بن ابي حفص فانتقض وباع للعاذل ، وزحف مع ابي العلاء صاحب قرطبة وهو أخو العادل الى اشيلية وبها عبد العزيز أخو المنصور والمخلوع ، فدخل في دعوتهم ؛ وامتع السيد أبو زيد بن أبي عبد الله أخو الياسي عن بيعة العادل وتمسك بطاعة المخلوع ، وخرج العادل من مرسية الى اشيلية فدخلها مع أبي زيد بن يرجان ، وبلغ الخبر الى مراکش فاختلف الموحدون على المخلوع ؛ وبادروا بعزل ابن جامع وتغريبه الى هسكورة لكراهيتهم له ، وجرت خطوب أفضت الى خلع عبد الواحد وقتله .

وفي القرطاس : أن عبد الواحد العادل كتب الى أشياخ الموحدين الذين بحضرة مراکش يدعوهم الى بيعته وخلع عبد الواحد ، ووعدهم على ذلك الاموال الجزيلة والمنازل الرفيعة والولايات الجلييلة ، فسارعوا الى ذلك، ودخلوا على عبد الواحد وتهددوه بالقتل الا ان يخلع نفسه ويباع للعاذل ؛ فأجابهم الى ذلك ؛ فخرجوا عنه ، ووكلوا بالقصر من يحفظه ، وكان ذلك يوم السبت الحادى والعشرين من شعبان سنة احدى وعشرين وستمائة .

فلما كان يوم الاحد بعده دخلوا على عبد الواحد القصر وأحضروا القاضى والفقهاء والاشياخ فأشهد على نفسه بالخلع وباع للعاذل ؛ ثم دخلوا عليه بعد مضى ثلاث عشرة ليلة من خلعته فخنقوه حتى مات ؛ وانتهبوا قصره واستولوا على امواله وحرимه ، فكان عبد الواحد هذا اول من خلع وقتل من بنى عبد المؤمن ، وصار اشياخ الموحدين لخلفائهم كالاتراك لبني العباس ؛ فكان فعلهم ذلك سببا لذهاب ملكهم وانقراض دولتهم . والله تعالى لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم . وكانت وفاة عبد الواحد المخلوع خامس رمضان المعظم سنة احدى وعشرين وستمائة .

الخبر عن دولة أبي محمد عبد الله العادل ابن المنصور رحمه الله

—————

بويح له البيعة الاولى بمرسية من بلاد الاندلس منتصف صفر سنة
احدى وعشرين وستمائة . وتلقب بالعادل فى أحكام الله ؛ ثم خلى له
الامر وباعه كافة الموحدين ؛ وخطب له بحضرة مراکش وأخر شعبان
من السنة المذكورة .

وتوقف عن بيعته السيد أبو زيد بن أبى عبد الله أخو الياسى كما
ذكرناه آنفاً ، وكان واليا على بلنسية وشاطبة ودانية ؛ ولما رأى السيد أبو
محمد الياسى أخاه السيد أبا زيد توقف عن بيعه العادل وضبط بلاده
ثار هو ببياسة وما انضاف اليها من قرطبة وجيان وقيجاطة وحصون الثغر
الوسط وتلقب بالظافر ؛ وانما دعى الياسى لقيامه من بياسة ؛ فوصات
بيعة الموحدين من مراکش الى العادل ومعها كتاب أبى زكريا يحيى ابن
الشهيد شيخ هنتانة بقصة المخلوع وما كان من امره ، فصادف وصولها
هيجان هذه الفتنة فشغل العادل بها عن مراکش ، وبعث أخاه السيد أبا
العلاء الاصغر وهو ادريس ابن المنصور فى جيش كثيف الى الياسى
فحاصره ببياسة . ولما اشتد عليه الحصار أظهر الطاعة والانقياد وباع
للعادل حتى اذا أفرج عنه أبو العلاء عاد الى النكت ؛ وبعث الى الفتنش
يستنصره على العادل ؛ وضمن له أن ينزل له عن بياسة وقيجاطة ؛ فكان
أول من سن اعطاء الحصون والبلاد للفرنج . فوجه اليه الفتنش بجيش من
عشرين ألفا . ولما توافقت لديه جموع الفرنج نهض من قرطبة يريد
اشبيلية حتى اذا دنا منها خرج اليه السيد أبو العلاء
الاصغر - وهو الذى دعى بعد بالمأمون - فالتقوا وادتلوا قتالا شديدا ؛
فانهزم السيد أبو العلاء واستولى الياسى والفرنج على محله بما فيها من
أثاث وسلاح ودواب وغير ذلك .

ولما رأى العادل ما وقع بأخيه وجنده خشى أن يتفاقم داء الياسى

ويمتد عباب فنته الى مراكش ؛ فترك أخاه أبا العلاء قبالة وعبر البحر الى
العدوة . ولما احتل بقصر المجاز دخل عليه عبد الله بن عبد الواحد بن أبي
حفص المدعو بعبو فقال له العادل كيف حالك ؟ فأنشده :

حال متى علم ابن المنصور بها جاء الزمان الى منها تائباً

فاستحسن ذلك منه وولاه افريقية . وهذا البيت لابى الطيب المتنبى
وانما تمثل به عبو لموافقة اسم منصور فيه لاسم والد العادل فحسن
التمثيل به .

وانتهى العادل فى سيره الى سلا فاقام بها وبعث عن شيوخ جشم
عرب تامسنا ، وكان لابن يرجان عناية واختصاص بهلال بن حميدان أمير
الحلط ، فتناقل جرمون بن عيسى أمير سفيان عن الوصول الى العادل ، ثم
بإسار العادل الى مراكش وقاسى فى طريقه اليها من العرب شدائد ، ثم
دخلها واستوزر أبا زيد بن عبد الواحد بن أبي حفص وتغير لابن يرجان ،
ففسد باطنه وسعى فى افساد الدولة ، وغلب أبو زكريا بن الشهيد شيخ
هتانة ؛ ويوسف بن على شيخ تينمل على أمر العادل . ثم خالفت عليه
عرب الحلط وهسكورة ، وعاثوا فى نواحي مراكش ؛ وخربوا بلاد دكالة
فخرج اليهم ابن يرجان فلم يغن شيئا ، فانفذ اليهم العادل عسكريا من
الموحدين لنظر ابراهيم بن اسمعيل ابن الشيخ ابى حفص فانهزم وقتل ،
واضطربت الاحوال على العادل ؛ وخرج ابن الشهيد ويوسف بن على
الى قبائلهما للحشد ومدافعة هسكورة والعرب ؛ فانفقا أيضا على خلع العادل
واضطربت الامور .

ولما انتهى الى أبي العلاء صاحب الاندلس خبر اخيه العادل وما هو
فيه بمراكش من الاضطراب دعا لنفسه باشيلية فبوع بها ، وأجابه أكثر
اهل الاندلس ؛ وتلقب بالأمون وباع له السيد أبو زيد صاحب بنسيسة
وهو أخو الياسى ، وكان ذلك فى أوائل شوال سنة أربع وعشرين
وسلمانية .

ولما تمت بيعته كتب الى الموحدين الذين بمراكش يدعوهم الى بيعته
ويعلمهم باجتماع اهل الاندلس والموحدين الذين بها عليه ؛ ووعدهم فسي
ذلك ومناهم ، فكان منهم بعض توقف ؛ ثم اجتمع رأيهم على مبايعته وخلع
أخيه العادل ؛ فدخلوا عليه قصره وسألوه أن يخلع نفسه فامتنع ؛ فوثبوا
عليه ودرسوا رأسه في خصة ماء كانت هناك وقالوا له : لا نفارقك او تشهد
على نفسك ؛ الخلع . فقال : اصنعوا ما بدا لكم والله لا أموت الا امير
المؤمنين . فوضعوا عمامته في عنقه وخنقوه ورأسه في الخصة حتى فاظ ؛
وكان خيرا فاضلا رحمه الله ؛ وكانت وفاته في الحادي والعشرين من
شوال سنة أربع وعشرين وستمائة . وكتبوا بيعتهم الى أبي العلاء المأمون ؛
ويمنوا بها اليه مع البريد ؛ ثم بدا لهم في بيعة المأمون بعد انفصال البريد
عنهم فنكثوها ، وباعوا يحيى بن الناصر بن المنصور واضطربت الاحوال
بالمغرب والاندلس ؛ وطما عجب الفتن بهما وكان ما نذكره .

الخبر عن دولة المأمون بن المنصور ومزاحمة يحيى بن الناصر له

كان المأمون وهو ابو العلاء ادريس بن يعقوب المنصور لما بلغه انتقاض
الموحدين والعرب بالحضرة على أخيه وتلاشى أمره دعا لنفسه باشييلة
وبايعة اهل الاندلس والموحدين بالحضرة كما قلنا ، ثم لما انفصل البريد
بيده من الحضرة ندم الموحدون على ذلك لما يعلموه من شهامته وصرامته
وتخلقه بأخلاق الحجاج بن يوسف ، وتخوفوا ان يأخذهم بدم عمه عبد
المنزلوع ؛ ثم أخيه عبد الله العادل ، فاتفق رأيهم على مبايعة يحيى بن الناصر
ابن المنصور وهو شاب غر كما يقل عذاره ، وانما وقع اختيارهم عليه
ليكون أطوع لهم ، فان سنة يومئذ كانت سنة عشرة سنة ؛ فبايعوه بجامع
المنصور من قسبة مراكش بعد صلاة العصر من يوم الاربعاء الثامن

والعشرين من شوال سنة اربع وعشرين وستمائة، وامتنع عرب الخلط
 وقبائل هسكورة من بيعته وقالوا : قد بايعنا المأمون فلا تنكث بيعته ؛ وتأخر
 قدوم المأمون الى مراکش وبقي بالاندلس لاسباب يأتي شرحها ؛ وأقام يحيى
 بمراكش واستتب أمره بها بعض الشيء ، وجهز جيشا من الموحيدين
 واجند الى قتال الخلط وهسكورة ؛ وهم يومئذ في طاعة المأمون ، فانهزم
 جيش يحيى وقتل منه خلق كثير وعاد مفلولا الى مراکش ، ثم اطلع يحيى
 على مداخلة أبي زيد بن يرجان للعرب وهسكورة في الغارة على مراکش
 واطلع على ذلك أيضا أبو زكريا يحيى بن الشهيد فقتل أبا زيد بن يرجان
 وابنه عبد الله ، ونصب رؤوسهما على باب الكحل وطوف أجسادهما
 بأسواق المدينة ؛ ثم اضطربت الاحوال على يحيى وانتقضت البلاد ، وغارت
 الاسعار وعم الخراب والفساد بلاد المغرب ؛ واستحوذ بنو مرين على ضواحيه
 وضائقوا الموحيدين في كثير من أمصاره ، واقترضوا جبايته ونبتت الثوار
 في الأقطار على ما نذكره

ثورة محمد بن أبي الطواجين الكتامي بجبال غمارة

ولما كانت سنة خمس وعشرين وستمائة نار بجبال غمارة محمد بن
 أبي الطواجين الكتامي المنتبى ، وكان أبوه من قصر كرامة منقبضا عن
 الناس ؛ وكان ينتحل صناعة الكيمياء ، فكان يلقب بأبي الطواجين لكثرة
 الظروف التي كان يستعملها في ذلك بزعمه . وتلقن ذلك عنه ابنه هذا ،
 ثم ارتحل الى سبتة ونزل على بنى سعيد بأحوازها ، وادعى صناعة الكيمياء
 فتبعه الغوغاء ، ثم ادعى النبوة وشرع الشرائع وظهر انواعا من الشعبذة
 فكثرت تابعوه ، ثم اطلعوا على خبثه فبذوا اليه عهده ؛ وزحفت اليه عساكر
 سبتة ففر عنهم ؛ ثم قتله بعض البرابرة غيلة بوادي لاو بين بلاد بنى سعيد

وبلاد بنى زيات ؛ وابن أبي الطواجين هذا هو الذي تسبب في قتل الشيخ
أبي محمد عبد السلام بن مشيش رضى الله عنه على ما نذكره بعد أن
شاء الله .



أخبار الثوار بالاندلس وما آل إليهم أمر الموحدين بها



لما ضعف أمر الموحدين بالمغرب وكثرت الفتن في أقطاره ونواحيه ، وانتزى
السادات منهم بنواحي الاندلس كل في عمله واستظهر كل واحد منهم على
أمره بالطاغية ونزلوا له عن كثير من الحصون فسدت من أجل ذلك ضمائر أهل
الاندلس عليهم ، وتصدى للثورة على الموحدين محمد بن يوسف بن هود
الجداميي ملوك الطوائف بسرقسطة ، وكان يؤمل لها وربما امتحنه الموحدين
لذلك مرات ، فخرج في نفر من الاجناد سنة خمس وعشرين وستمائة ؛
وجهاز اليه والى مرسية يومئذ السيد أبو العباس بن أبي عمران موسى بن
يوسف بن عبد المؤمن عسكريا فهزمهم ، وزحف الى مرسية فدخلها واءتقل
السيد بها ؛ وخطب للخليفة المستنصر العباسي صاحب بغداد ، وفي ذلك يقول
ابن الخطيب في رقم الحلال عند ذكره لبني هود هولاء :

وكان من أعقابه الأمير محمد بن يوسف الاخير
وكان باسلا شديد الباس وبائع المستنصر العباسي

ثم زحف اليه السيد ابو زيد بن محمد بن ابي حفص بن عبد المؤمن وهو
أخو اليباسي المتقدم ذكره من شاطبة وكان واليا بها كما مر ، فهزمه ابن هود
ورجع الى شاطبة واستجاش بالمأمون ، وهو يومئذ باشيلية ؛ فخرج في العساكر
ولقيه ابن هود فانهزم ، واتبعه المأمون الى مرسية فحاصره مدة . وامتعت عليه
فأقلع عنه ورجع الى اشيلية . ثم انتقض على السيد أبي زيد بلبنسية زيان
ابن ابي الحملات مدافع بن ابي الحجاج يوسف بن سعيد بن مردنيش ، وخرج

عنه الى ابدية وذلك سنة ست وعشرين وستمائة ؛ وكان بنى مردنيش هؤلاء أهل نصابية وأولى بأس وقوة ؛ فتوقع أبو زيد اختلال امره ، وبعث اليه ولاطفه في الرجوع فأبى ، فخرج ابو زيد من بلنسية ولحق بطاغية برشلونة ، ودخل في دين النصرانية والعياد بالله ؛ وباع أهل شاطبة لابن هود ؛ ثم تابعت بلاد الاندلس على بيعته ، ودخل في طاعته أهل قرطبة واسبيلية بعد رحيل المأمون عنهم الى مراکش ؛ ولم يبق للموحدين بالاندلس سلطان .

ثم في سنة تسع وعشرين وستمائة ثار محمد بن يوسف بن نصر المعروف بابن الاحمر بحصن ارجونة من أعمال قرطبة ؛ ودعا لابى زكرياء الحفصى صاحب افرقية . ثم دخل في طاعته أهل قرطبة ؛ وتنازع ابن الاحمر وابن هود رئاسة الاندلس ، وتجادبا حبل الملك بها ؛ وكانت خطوب استولى لطاغية فيها على كثير من حصون الاندلس ، ثم استقر قدم ابن الاحمر في الملك وأورثه بنيه من بعده والله غالب على أمره .



قدوم أبي العلاء المأمون بن المنصور من الاندلس إلى مراکش وما اتفق له في ذلك



قد تقدم لنا ان الموحدين بمراكش خنقوا العادل وبايعوا أخاه المأمون ، وبعد انفصال البريد بالبيعة ندموا وبايعوا ابن أخيه يحيى بن الناصر ؛ فوصلت بيعة الموحدين الى المأمون ، وهو يومئذ باشبيلية ، فسر بها وأمر بأقربائها على منابر الاندلس ، ثم أخذ في التجهيز والحركة الى مراکش دار ملكهم ؛ فسار حتى اذا وصل الى الجزيرة الخضراء اتصل به الخبر أن الموحدين قد نكثوا بيعته ، وبايعوا ابن أخيه يحيى . فوجم لذلك واطرق مليا ثم انشد متمثلا بقول حسان رضى الله عنه :

لتسمعن وشيكا في ديارهم الله أكبر ياترات عثماننا

ثم كتب من حينه الى ملك قشتالة يستنصره على الموحدين ويسأله (١) أن يبعث له جيشا من الفرنج يجوز بهم الى العدو لقتال يحيى ومن معه من الموحدين فشرط عليه صاحب قشتالة أن يعطيه عشرة حصون مما يلي بلاده يختارها هو وأن يبنى بمراكش اذا دخلها لجيش النصارى الذين معه كنيسة يظهرن بها دينهم ويضربون فيها نواقيسهم لصلواتهم ، وأن من أسلم منهم لا يقبل منه اسلامه ويرد الى اخوانه فيحكمون فيه باحكامهم الى غير ذلك ؛ فأسعفه المأمون في جميع ما طلبه منه .

وكان يحيى بن الناصر صاحب مراكش لما رأى اختلال أحواله بها كما فنا ومبايعة أكثر أهل المغرب لعنه المأمون خرج فارا بنفسه الى تينمل ؛ وكان ذلك في جمادى الآخرة سنة ست وعشرين وستمائة ؛ ولما فر يحيى عن الخضرة قدم شياخ الموحدين الذين بها واليا يضبطها للمأمون ريثما يقدم عليهم . وجددوا له البيعة ؛ وكتبوا اليه يخبرونه بفرار يحيى الى الجبل ؛ ويرغبون اليه في القدوم عليهم ، وكتب اليه أيضا هلال ابن حميدان امير الخلل ؛ واستمر يحيى معتصما بالجبل أربعة أشهر ، ثم بداله فعاد الى مراكش وقتل عامل المامن الذى قدمه الموحدين بها ؛ واستمر بها نحو سبعة أيام ، ثم خرج الى جبل جليز وعسكر به ؛ وأقام منتظرا لقدم المأمون ودفاعه عن مراكش . ثم بعث صاحب قشتالة الى المأمون جيشا من اثني عشر الفا برسم الخدمة معه والمقاتلة دونه على الشروط المتقدمة ، وكان وصولهم اليه في رمضان سنة ست وعشرين وستمائة ؛ ثم عبر بهم من الجزيرة الخضراء الى سبتة فى ذى القعدة من السنة المذكورة ، وهو أول من أدخل عسكر الفرنج أرض المغرب واستخدمهم بها . فأراح بسبتة أياما ثم نهض الى مراكش حتى اذا دنى منها لقيه يحيى بجيوش الموحديين وذلك عشى يوم السبت الخامس والعشرين من ربيع الاول من السنة الداخلة ؛ فانهزم يحيى وفر الى الجبل وقتل كثير من جيشه .

(١) انظر ما كتبه المؤلف فى هذه المسألة فى كتاب كشف العين عن ليوث بن مرين أثناء كلامه على دولة السلطان تاشفين الموسوس بن أبى الحسن المرينى .

ودخل المأمون حضرة مراكنس وبايعه الموحدون ، وصعد المنبر بجامع
 المنصور - وكان علامة ادبياً بليغاً - فخطب الناس ولعن المهدي على المنبر وقال:
 لا تدعوه بالمهدي المعصوم وادعوه بالغوي المذموم ؛ ألا لا مهدي الا عيسى ،
 وانا قد نبذنا امره النحس. ولما انتهى الى آخر خطبة قال: معشر الموحدين
 لا تظنوا أنني انا ادريس الذي تدرس دولتكم على يده ، كلا انه سيأتي
 بعدي ان شاء الله.

ثم نزل وأمر بالكتب الى جميع البلاد بمحو اسم المهدي من السكة والخطبة
 وتغيير سنته التي ابتدعتها للموحدين وجرى عليها سلفهم ؛ ونعى عليها النداء
 لتصلاة باللغة البربرية وزيادته في أذان الصبح ؛ ولله الحمد ، وغير ذلك من
 السنن التي اختص بها المهدي ، وأمر بتدوير الدراهم التي ضربها المهدي مربعة
 وقال كل ما فعاه المهدي وتابعه عليه أسلافنا فهو بدعة ولا سبيل الى ابقائه ،
 وأبدأ في ذلك وأعاد .

ثم دخل قصره فاحتجب عن الناس ثلاثاً ؛ ثم خرج في اليوم الرابع فأمر
 بأشياخ الموحدين وأعيانهم فحضرُوا بين يديه ؛ فقال لهم يا معشر الموحدين
 انكم قد أظهرتم علينا العناد . وأكثرتم في الارض الفساد ؛ ونقضتم العهد
 وبذلتهم في حربنا المجهود ، وقتلتم الاخوان والاعمام ؛ ولم ترقبوا فيهم الا
 ولاذمام . ثم أخرج كتاب بيعتهم الذي بعثوا به اليه ؛ واحتج عليهم بنكتهم
 الذي نكثوا بعده ؛ فقامت الحجة عليهم فبهتوا وسقط في ايديهم والتفت الى قضية
 المكيدى - وكان بازائه قد قدم معه من اشبيلية - فقال له: ما ترى ايها القاضي
 في أمر هؤلاء الناكثين ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ان الله تعالى يقول : « ومن
 نكث فانما ينكث على نفسه » الآية . فقال المأمون : صدق الله العظيم فاننا نكثنا
 فيهم بحكم الله « ومن لم يحكم بما نزل الله فاولئك هم الظالمون » ثم أمر
 بجميع أشياخ الموحدين وأشرفهم فسحبوا الى مصارعهم وقتلوا من عندهم
 آخرهم ولم يبق على كبيرهم ولا صغيرهم حتى أنه أنى بابن أخت له صغير
 يقال ان سنه كان ثلاث عشرة سنة وكان قد حفظ القرآن ، فلما قدم للقائد

قال له : « يا أمير المؤمنين اعف عنى ثلاث » قال ما هن ؟ قال : « صغر سنى ؛
 وقرب رحمى ، وحفظى لكتاب الله العزيز » فيقال ان المأمون نظر الى القاضي
 كالمستشير له وقال له : « كيف ترى قوة جأش هذا الغلام وأقدامه على الكلام
 لى هذا المقام ؟ » فقال القاضي : « يا أمير المؤمنين انك ان تذرهم يضلوا عبادك
 ولا يلدوا الا فاجرا كفارا » فأمر به فقتل رحمه الله ، ثم امر بالرؤوس فعلقت
 بدائر سور المدينة .

ذكر ابن أبى زرع انها كانت تتيق على أربعة آلاف رأس وكان الزمان زمن
 يظ فنتت بها المدينة وتأذى الناس بريحتها ، فرفع اليه ذلك فقال : « ان ههنا
 مجانين وأن تلك الرؤوس حروز لهم لا يصلح حالهم الا بها . وانها لعطرة
 عند المحبين وتنته عند البغضين » ثم أنشد :

| | |
|------------------------------|----------------------------|
| أهل الحراية والفساد من الورى | بالقطع والتعليق فى الاشجار |
| فساده فيه الصلاح لغيره | يعزون فى التشبيه للذكار |
| فرؤوسهم ذكرى اذا ما أبصرت | فوق الجذوع وفى ذرى الاسوار |
| وكذا القصاص حياة أرباب النهى | والعدل مألوف بكل جوار |
| لو عم حلم الله سائر خلقه | ما كان أكرهم من أهل النار |

وهذه الفتكة التى ارتكبها المأمون من الموحدين انست فتكة الحارث بن
 ظالم ؛ والبراض الكنانى والحجاف بن حكيم ، وهى التى استأصلت جمهورهم ؛
 وامانت نخوتهم ، وأذن المأمون للنصارى القادمين معه فى بناء الكنيسة وسط مراكش
 على شرطهم المتقدم فضربوا بها نواقيسهم . وكانت الكنيسة فى الموضع المعروف
 بأسجينة .

وقبض على قاضى الجماعة بمراكش وهو ابو محمد عبد الحق بن عبد الحق
 تقيده ودفعه الى هلال بن حميدان الحلطى فحبسه حتى أفدى منه بستة
 آلاف دينار .

وأقام المأمون بمراكش خمسة أشهر ؛ ثم نهض الى الجبل لقتال يحيى
 بن الناصر ومن معه من الموحدين ، وذلك فى رمضان سنة سبع وعشرين

وستمائة . فالتقى معه على الموضع المعروف بالكاعة ، فانهزم يحيى وقتل من
عسكره ومن أهل الجبل خلق كثير سبق من رؤوسهم إلى مراكش أربعة فرقة
آلاف رأس .

وفي هذه السنة استبد الأمير أبو زكريا ابن الشيخ أبي محمد بن أبي حفص
الهناتى بفريقية وخلع طاعة الموحدين .

وفي سنة ثمان وعشرين بعدها نفذت كتب المأمون إلى سائر البلاد بالامر
بالمعروف والنهي عن المنكر . وفيها خرجت بلاد الاندلس كلها من ملك
الموحدين . ونفاهم عنها ابن هود لثأر بها وقتلهم العامة في كل وجه .

وفي سنة تسع وعشرين بعدها خرج على المأمون أخوه السيد أبو موسى
عمران بن المنصور بمدينة سبته وتسمى بالمؤيد ؛ فاتصل الخبر بالمأمون
فخرج إليه ، وبلغه في طريقه ان قبائل بني فازاز ومكلائه قد حاصروا مكانة
وعانوا في نواحيها ؛ فسار اليهم وحسم مادة فسادهم ؛ وعاد إلى سبته فحاصر بها
أخاه السيد أبو موسى مدة فلم يقدر منه على شيء ، وكانت سبته من أحصن
مدن المغرب ؛ ولما طالت غيبة المأمون عن الحضرة اعتمى يحيى بن الناصر
الفرصة فنزل من الجبل واقتمها مع عرب سفيان وشيخهم جرمون بن
عيسى ؛ ومعهم أبو سعيد بن وانودين شيخ هتاتة ، وعانوا فيها وهدموا كنيسته
النصارى التي بنيت بها وقتلوا كثيرا من يهودها وسبوا أموالهم ، ودخل يحيى
القصر فحمل منه جميع ما وجد به إلى الجبل .

واتصل الخبر بالمأمون وهو على حصار سبته ، فارتحل عنها مسرعا إلى مراكش
وذلك في ذى الحجة من السنة المذكورة ؛ ولما ابعده عن سبته عبر أبو موسى
صاحبها إلى الاندلس فبايعه ابن هود وأعطاه سبته ؛ فعوضه ابن هود عنها بالمرية
فكان السيد أبو موسى بها إلى ان مات .

واتتهى الخبر إلى المأمون وهو فى طريقه بأن ابن هود قد ملك سبته ،
فنوالت عليه الفجائع فمرض أسفا ومات بوادى العبيد وهو قافل من حصن
سبته ، وكانت وفاته في آخر يوم من سنة تسع وعشرين وستمائة .

وكانت أيامه أيام شقاء وعناء ومنازعة ، افرقت دولة الموحدين فيها فرقتين ؛
فرقة معه وفرقة مع يحيى بن الناصر

وكان محق دولة الموحدين واستئصال أركانها وذهاب نخوتها على يده ،
نالوا ولو لا ان الامور قد استحالت الى ما ذكر لكن المأمون موافقا لابيہ المنصور
فى كثير من الحلال ؛ ومتبعا سننه فى الاحوال

وكان المأمون فصيح اللسان ؛ تقيها ، حافظا للحديث ضابطا للرواية ، عارفا
بالقراءات ، حسن الصوت والتلاوة ، مقدا فى علم اللغة والعربية والادب
وأيام الناس ؛ كاتباً بليغاً حسن التوقيع لم يزل سائر أيام خلافته يسرد كتب
الحديث مثل البخارى والموطأ ، وسنن ابي داود ؛ وكان مع ذلك شهماً حازماً
مقدماً على عظماء الامور ؛ ولى الخلافة والبلاد تضطرم ناراً . والممالك قد توزعت
الثوار ؛ فكان المأمون اذا فكر فى حال الثوار وما آل اليه حال الدولة معهم
رما دهاه من كثرتهم ينشد متمثلاً :

تكاثرت الظبا على خداس فما يدري خداس ما يصيد
يشير الى حاله معهم ؛ وانه لم يدري ما يتلافى من ذلك والله تعالى أعلم .



الخبر عن دولة أبي محمد عبد الواحد الرشيد بن المأمون

ابن المنصور رحمه الله



لما هلك المأمون بويج ابنه عبد الواحد ولقب بالرشيد .

قال ابن ابي زرع: بويج له بالخلافة بوادى العبيد ثانى يوم من وفاة ابيه
وهو الاحد فاتح محرم سنة ثلاثين وستمائة ، وسنه يومئذ اربع عشرة سنة ؛
وكان الذين اخذوا له البيعة كانون بن جرمون السفينى ؛ وشعيب بن اوقايل
الهسكورى ، وفرنسيل قائد جيش الفرنج ، فانه لما مات المأمون كتمت جاريته بعد
موته واسمها حباب ، وكانت فرنجية الاصل ؛ ومن دهاة النساء وعقلائهن وهى
(الاستقصا - نانى - 16)

أم الرشيد ؟ فاستدعت هؤلاء النفر الثلاثة وكانوا عمدة جيش المأمون يركب كل واحد منهم في ازيد من عشرة آلاف من قومه وأعوانه ؛ ولان أهل الحُل والعقد من الموحدين قد اتت عليهم فتكت المأمون ، فجاؤا اليها فأعلمتهم بموت الخليفة ، ورغبت اليهم في بيعة ابنها الرشيد والقيام معه وبذلت لهم على ذلك اموالا جمعة ، ووعدتهم مع ذلك انهم اذا فتحوا الحضرة - وكان يحيى قد استولى عليها كما قلنا - تجعلها لهم فيئا ؛ فبايعوه ، واخذوا البيعة له على سواهم . فباع الناس طوعا وكرها خوفا من سيوفهم .

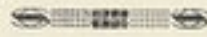
ولما تم أمره جعل أباه في تابوت وقدمه أمامه وسار الى مراکش ؛ وسمع يحيى واهل مراکش بما شرطته حباب للمقواد الثلاثة من جعل مدينتهم فيئا ، فخرجوا لقتال الرشيد بأجمعهم .

واستخلف يحيى على مراکش ابا سعيد بن وانودين ، والقي الجمعان فاقتتلوا فانهزم يحيى وقتل اكثر من معه ، وصبح الرشيد مراکش فتحصن منه أهلها فأمّنهم وصالح قائد الفرنج واصحابه على فيئا بخمسة آلاف دينار ودخل الرشيد مراکش واستقر بها ؛ وكان قد وصل في صحبة عمه السيد ابو محمد سعد بن المنصور ؛ فحل من تلك الدولة بمكان ، وكان اليه التدبير والحل والعقد وبعد استقرار الرشيد بمراكش قدم عليه عمر بن اوقاريط . النهسكوري صحبة اولاد المأمون الذين كانوا باشيلية ، ونفاهم ابن هود عنها وكان ابن اوقاريط هذا منحرفا عن المأمون ايام حياته فذم بصحبة هؤلاء الاولاد وقدم على الرشيد فتقبله ؛ واتصل بالسيد ابي محمد وحسنت منزله لديه ثم لما هلك السيد أبو محمد لحق ابن اوقاريط بقومه ومعتصمه ؛ وكتنف وجه الخلاف ، واخذ بدعوة يحيى بن الناصر ؛ واستنفر له قبائل الموحدين ؛ ونهض اليهم الرشيد سنة احدى وثلاثين وستمائة ؛ واستخلف على الحضرة صهره أبا العلاء ادريس ، وصعد اليهم الجبل فأوقع يحيى وجموعه بمكانهم من هزرجة واستولى على معسكرهم ؛ ولحق يحيى ببلاد سجلماسة ، وانكفا الرشيد راجعا الى حضرته ، واستأمن له كثير من الموحدين الذين كانوا مع

يحيى فأمّنهم ولحقوا بحضرته ؛ وكان كبيرهم أبو عثمان سعيد بن زكريا
 القدميوى ؛ وجاء الباقر بن علي اثره بعد ان شرطوا عليه اعادة ما كان ازالة
 المأمون من رسوم المهدي وسننه فأعيدت . واطمأنوا لاعادة رسوم الدعوة المهدية
 واستقامت الاحوال فى هذه الايام ؛ الى أن كان ما نذكره .



فتنة الخلط مع الرشيد واستيلاؤهم على حضرة مراكنش



كان مسعود بن حميدان كبير الخلط قد أغراه عمر بن أوقاريط بالخلاف
 لصحبة بينهما، وكان مدلا بيباسه وكثرة جموعه، يقال ان الخلط كانوا يومئذ
 يناهزون اثني عشرة الف فارس سوى الرجل والاتباع والحشود ، فمرض
 مسعود فى الطاعة وتناقل عن الوفاة الى الحضرة .

ولما علم بعقد الموحدين واجتماع كلمتهم على الرشيد غاظه ذلك وأخذ فى
 السعى للفرقة والتمتات بينهم ، فاعمل الرشيد الحيلة نسي استدعائه ؛ وصرف
 عساكره الى بعض الجهات حتى خلا لمسعود الجو وذهب عنه الريب ؛ واستقدمه
 الرشيد فأسرع اللحاق بالحضرة ؛ وقدم معه معاوية عثم عمر بن اوقاريط ،
 فقبض على معاوية وقتل لحينه ، واستدعا الرشيد ابن حميدان الى المجلس
 الخلافي الحديث فتقبض عليه وعلى خمسة وعشرين من اصحابه من كبار
 الخلط وقتلوا ساعتئذ بعد جولة وهيعة، وقضى الرشيد حاجة فى نفسه منهم
 ولما بلغ خبر مقتلهم الى قومهم قدموا عليهم يحيى بن هلال بن حميدان ؛
 وأجلبوا على سائر النواحي ؛ وأعلنوا بدعوة يحيى بن الناصر ، واستقدموه
 من مكانه بقاصية الصحراء ، وداخلهم فى ذلك عمر بن اوقاريط ؛ وزحفوا
 لحصار مراكنش ، وخرجت العساكر لقتالهم ومعهم عبد الصمد بن يلوان ؛
 فدافع ابن اوقاريط بجموعه فى تلك العساكر فانهزموا ؛ وأحيط بجند النصارى
 فقتلوا ، وتفاقم الامر بالحضرة وعمدت الاقوات ، واعتزم الرشيد على الخروج

الى جبل الموحدين ؟ فخرج اليها وسار منها الى سجلماسة فملكها ، واشتد
الحصار على مراکش ، وافتحمها يحيى بن الناصر وأنصاره من الخلل وهسكورة
فنهبوا وساء أثرهم فيها ؛ واضطربت أحوال الخلافة بها ، وتغلب على السلطان
السيد أبو ابراهيم بن أبي حفص الملقب بأبي حافة ؛ وهذه الفتن
كانت سنة اثنتين وثلاثين وستمائة .

هجوم نصارى جنوة على مدينة سبتة وحصارهم إياها

وفي هذه السنة اعنى سنة اثنتين وثلاثين وستمائة نازل الفرنج الجنويون
سبتة بأجفان لا تحصى ؛ ونصبوا عليها المنجنيقات والآلات المعدة للحصار ،
واستمروا على ذلك الى ان دخلت سنة ثلاث وثلاثين بعدها ؛ فلم يقدروا منها
على شيء ؛ ولا اشتد الحصار على أهل سبتة صالحوا الفرنج فى الإفراج عنهم
بأربعمائة ألف دينار فقبلوا ؛ وأقلعوا عنهم بعد الحصار الشديد والتضييق العظيم

عود الرشيد إلى مراکش وفرار يحيى عنها إلى بني معقل ومقتله بهم

وفي هذه السنة أعنى سنة ثلاثة وثلاثين وستمائة خرج الرشيد من سجلماسة
بقصد مراکش ؛ وخطب جرمون بن عيسى وقومه من سفيلان فأجابوه ؛ وعبروا
وإلى أم الربيع ؛ وبرز اليه يحيى فى جموعه . والتقى الفريقان فانهزمت
جموع يحيى واستحر القتل فيهم ؛ ودخل الرشيد الى الحضرة ظافرا ؛ وأشار
ابن أوقاريط على الخلل بالاستصراخ بآبن هود صاحب الاندلس والاخذ
بدعوته ؛ فنكثوا ببيعة يحيى وبعثوا وفداهم الى ابن هود صحبة ابن أوقاريط ؛

فاستقر هناك ولم يرجع اليهم قولا، فعلم الخلط انها حيلة من ابن اوقاريط
وانه تخلص من الورطة .

وخرج الرشيد من مراكش وفر الخلط امامه، وسار الى فاس واقام بها
اياما، وفرق في فقهاها وصلحائها اموالا ورباعا مغللة. وسرح الوزير السيد ابا
محمد الى غمارة وغازاز لجباية اموالهما .

وكان يحيى بن الناصر لما نكث الخلط بيعته لحق بعرب معقل فأجاروه
ووعده النصر واشتعلوا عليه في المطالب فاسف بعضهم بالمنع فأغتااله في جهة
تازا، وسبق رأسه الى الرشيد بفاس؛ فبعثه الى مراكش وأوعز الى نائبه بهن
أبي علي بن عبد العزيز بقتل العرب الذين كانوا في اعتقاله وهم حسن بن زيد
شيخ العاصم، وقائد ابنا عامر شيخا بنى جابر فقتلهم، وانكفأ الرشيد راجعا
الى حضرته سنة اربع وثلاثين وستمائة.

وكان ابن اوقاريط لما فصل ابن هود صاحب الاندلس أقام عنده الى هذه السنة
فركب البحر في اسطول من أساطيل ابن هود وقصد مدينة سلا - وبها يومئذ
السيد أبو العلاء صهر الرشيد - فنزلها وكاد يغلب عليها ثم رجع عنها بلا طائل
وفي سنة خمس وثلاثين بعدها بايع أهل أسيلية للرشيد ، ونقضوا طاعة
ابن هود؛ وتولى كبر ذلك أبو عمر بن الجدي؛ ووصل وفداهم الى الحضرة
ومروا في طريقهم بسبته ، فافدى اهلها بهم في بيعة الرشيد ، وقدموا على
الحضرة؛ وولى عليهم الرشيد ابا علي بن خلاص منهم ، وانصرف وفد أسيلية
وسبته راضين .

واستقدم الرشيد رؤساء الخلط وكانوا راجعوا طاعته بعد مقتل يحيى تقدموا
عليه وتقبض عليهم، وبعث عساكره فاستباحوا حللهم واحياتهم، ثم امر بقتل
مشيختهم وقتل معهم ابن اوقاريط ، وكان أهل اشيلية قد بعثوا به اليه فقطع
دابرهم .

وفي سنة ست وثلاثين وستمائة وصلت بيعة محمد بن يوسف بن نصر
المعروف بابن الاحمر الثائر بالاندلس على ابن هود وكان قد بايع اولاً ابا
زكريا الحفصي صاحب افريقية ثم بدا له فرد البيعة الى الرشيد .

استيلاء العدو على قرطبة

وفي هذه السنة كان استيلاء العدو - دمره الله - على مدينة قرطبة قاعدة بلاد الاندلس ودار مملكتها. وذلك يوم الاحد الثالث والعشرين من شوال من السنة المذكورة.

وفي سنة سبع وثلاثين بعدها انتشر بنو مرين ببلاد المغرب واشتدت شوكتهم به، وزحف اليهم الرشيد فهزموه، ثم زحف ثانية وثالثة فهزموه. واقام في محاربتهم سنتين ورجع عنهم الى الحضرة ، فاشتد عدوانهم بالمغرب ؛ وألحوا على مكناسة حتى اعطوا الاتاوة لبني حماسة منهم ، واتصل غلبهم في نواحيها .
وفي سنة تسع وثلاثين وستمائة قتل الرشيد كاتبه ابن المومياي لمداخلة له مع بعض السادة وهو عمر بن عبد العزيز بن يوسف، ووقف الرشيد على كتبه بخذله غلط الرسول بها فدفعها بدار الخلافة فوُتعت الى الرشيد فقتاه .



وفات الرشيد رحمه الله

مات الرشيد رحمه الله غريقا في بعض صهاريج بستانه بحضرة مراكنس وذلك يوم الخميس تاسع جمادى الآخرة سنة أربعين وستماية ، ويقال انه أخرج من الماء حيا فحم لوقته ومات .

وذكر أبو عبد الله أكنسوس ان غرق الرشيد كان في البركة الكبرى التي بدار الهناء من أجدال اليوم ، قال : وكان يقال لها البحر الاصفر لان ملوك بني عبد المؤمن الذين أنشأوها كانوا يرسلون فيها الزوارق والفلك الصغار بقصد النزهة والفرجة. والله تعالى اعلم.



الخبر عن دولة أبي الحسن السعيد على بن المأمون بن المنصور رحمه الله



لما هلك الرشيد ببيع أخوه لآبيه أبو الحسن على المدعو السعيد بتعيين أبي محمد بن وانودين ، وتلقب بالعتضد بالله واستوزر السيد أبا اسحق ابن السيد أبي ابراهيم بن يوسف بن عبد المؤمن . ويحيى بن عطوش ، وتقبط على جملة من مشيخة الموحدين واستصفي أموالهم ، واصطنع لنفسه رؤساء العرب من جشم ؛ واستظهر بجموعهم على أمره ، وكان شيخ سفيان كانون بن جرموز كبير مجلسه ؛ وكان ضرر بنى مرين قد تفاقم بالمغرب وداؤهم قد اعضل ، فخرج السعيد سنة اثنتين واربعين وستمائة لتمهيد بلاد المغرب ، فانتهى الى سجلماسة ، وكان صاحبها عبد الله بن زكريا الهزرجي قد انتقض عليه فقتله واستولى عليها ثم رجع حتى نزل اثقرمدة من أرض فاس .

وعقد المهادنة مع بنى مرين وفضل الى مراكش ، فكانت هدنة على دخن فلم يلبث الا يسيرا حتى عاود النهوض اليهم سنة ثلاثة واربعين بعدها ، واستخلف السيد أبا زيد ابن السيد أبي ابراهيم أبا الوزير المذكور آنفا على مراكش ، واستعمل أخاهما السيد أبا حفص وهو المرتضى على سلا ، وسار نحو بنى مرين ؛ فجمع له أميرهم أبو بكر بن عبد الحق جموع زناتة وصمد نحوهم حتى اذا تراء الجمعان وتهيأ القوم للقاء خالف كانون بن جرمون الى آزموور فاستولى عليها وغلب الموحدين عليها ، فرجع السعيد ادراجه فسي اتباعه ، ففر كانون عنها فاعترضه السعيد فوقع به ، واستلحم كثير من قومه سفيان واستولى على ما كان لهم من مال وماشية ، ولحق كانون بنى مرين ؛ ورجع السعيد الى الحضرة .

ثم تقدم الامير أبو بكر بن عبد الحق المريني الى مكناسة فضايقها ؛ وخطب طاعة أهلها ، فارت العامة بمكناسة على واليها من قبل السعيد فقتلوه . وحذر شيوخها وكبرائها من سطوته فحولوا الدعوة الى الامير أبي زكريا الحفصي صاحب افريقية ، وكان استبد على بنى عبد المؤمن ورام التغلب حتى

على كرسيتهم بمراكش ؛ فبايعه أهل مكناسة بمواظاة الامير أبى بكر بن عبد الحق . فانه كان يدعوا اليه فى أول أمره ، وكذا أخوه السلطان يعقوب بن عبد الحق من بعده ثم استقل بنفسه واستبد بأمره عند ما تم له ملك المغرب حسبما نقصه بعد ان شاء الله .

وفى هذه السنة بعث أهل اشيلية وأهل سبتة بطاعتهم للامير أبى زكريا الحفصى أيضا ، وبعث أبو على بن خلاص صاحب سبتة اليه بهدية مع ابنه فى اسطول أنشأه لذلك ففرق عند اقلاعه من المرسى ، وقبل هذه المدة يسير كان الامير أبو زكريا الحفصى قد تغلب على تلمسان وبايعه صاحبها يغمراسن بن زيان العبد الوادى ؛ وهو جد ملوك بنى زيان أصحاب تلمسان والمغرب الاوسط ؛ فعظم قدر أبى زكريا بسبب هذه البيعات التى انتالت عليه من سائر الجهات ؛ وحدثته نفسه بالتوئب على كرسى الخلافة بمراكش ، وغص بنو عبد المؤمن بمكانه ؛ وعظم عليهم استبداده ثم طمعه فى كرسيتهم وقرارة عزهم مع أنه ما كان الا جدولا من بحرهم وفرعا من دوحهم ؛ والامر كله لله .



نهوض السعيد من مراكش إلى غزو الثوار بالمغربين ومحاصرته يغمراسن بن زيان وما آل إليه الامر من مقتله رحمه الله



ما بلغ السعيد وهو بمراكش استبداد الامير أبى زكريا بن أبى محمد عبد الواحد بن أبى حفص الهنتانى بافريقية ومبايعة أمراء الجهات له أعمال نظره فى الحركة الى هؤلاء الثوار والتهوض لتدوين هذه الاقطار .

وكان السعيد شهما حازما يقظا بعيد الهمة، فنظر فى اعطاف دولته وفاوض الملا من الموحدين فى تثقيف أطرافها وتقويم أودها ؛ وحرك همهم ؛ واتار حفاظهم ، وأراهم كيف اقطع عنهم الامر شيئا شيئا ؛ فابن أبى حفص اقطع افريقية ؛ ويغمراسن ابن زيان اقطع المغرب الاوسط ثم أقام فيه الدعوة

الحفصية ، وابن هود اقتطع الاندلس وأقام فيها دعوة بني العباس ، وابن الاحمر بالجانب الآخر منها مقيم للدعوة الحفصية أيضا ، وهؤلاء بنو مرين قد تغلبوا على ضواحي المغرب ثم سمو الى تملك امصاره ، وان سكتنا على هذا فيوشك أن يخل الامر ؛ وتقرض الدولة ، فذامروا وتداعوا الى النهوض اليهم فحشد السعيد الجنود. وجهز العساكر وازاح عنهم ، واستنفر عرب المغرب وما يليه ، واحتشد كافة المصامدة .

ونهب من مراكش آخر سنة خمس وأربعين وستمائة يريد مكناسة وبني مرين أولا ، ثم تلمسان ويغمراسن ثانيا ؛ ثم افريقية وابن أبي حفص ثالثا . ولما نزل بوادي بهت اخذ في عرض عساكره وتمييزها ، فخرج الامير أبو بكر ابن عبد الحق من مكناسة ليلا وحده يتجسس الاخبار فأشرف على جموع السعيد فرأى ما لا قبل له به ؛ فعاد الى قومه وأفرج للسعيد عن البلاد ، وتلاحقت به بنو مرين من أماكنها التي كان الامير أبو بكر أنزلهم بها ؛ واجتمعوا عليه بحصن تازا ، وطامن بلاد الريف .

وتقدم السعيد الى مكناسة فخرج اليه أهلها يطلبون منه العفو ، وقدموا بين أيديهم الشيخ الصالح أبا علي منصور بن حرزوز ، وتلقوه بالصبيان من المكاتب على رؤوسهم الالواح وبين أيديهم المصاحف ، وخرج النساء حاسرات يطلبن العفو فعفا عنهم .

ثم ارتحل الى تازا في اتباع بني مرين ، وانتقل أبو بكر بن عبد الحق المريني يزنانسن ثم راجع نظره في مسألة الموحدين والدخول في أمرهم ؛ فبعث بيعة الى السعيد وهو يومئذ بتازا مع جماعة من وجوه بني مرين قبلها السعيد وعفا لهم عما سلف ؛ فسأله وفتحهم أن يستكفي بالامير أبي بكر في أمر تلمسان وصاحبها يغمراسن بن زيان ، وقد كتب اليه الامير أبو بكر أيضا بذلك يقول : « يا أمير المؤمنين ارجع الى حضرتك وقونى بالجيش وأنا أكفيك أمر يغمراسن وأفتح لك تلمسان » ؛ فاستشار السعيد وزراره فقالوا : « لا تفعل فإن الزناتي أخو الزناتي لا يخذله ولا يسلمه » ، فكتب اليه السعيد بأن يعث اليه جماعة

من قومه يعسكرون معه، فأمدّه الامير أبو بكر بخمسمائة من قبائل بني مرين
وعقد عليهم لابن عمه أبي عياد بن أبي يحيى بن حمامة وخرجوا تحت
رايات السعيد ونهض من تازا يريد تلمسان .

وعند ابن ابي زرع ان السعيد لما فرغ من امر مكناسة عسكر بظاهر فاس
وهناك أته بيعة بني مرين ؛ قال : ثم أرتحل السعيد عن فاس في الرابع عشر
من محرم سنة ست وأربعين وستمائة ؛ وحسف القمر تلك الليلة خسوفاً
كلياً ؛ وأصبح السعيد غادياً يريد تلمسان ؛ فلما ركب فرسه أنكسرت لواؤه
المنصوري فتطير ونزل ؛ ولم يرتحل الا في اليوم السادس عشر من الشهر
المذكور .

ولما سمع يغمراسن بأقبال السعيد اليه خرج من تلمسان في عشيرته وقومه
من سائر بنى عبد الواد ، وتحملوا بأهليهم وأولادهم الى قلعة تامزردكت
قبلة وجدة فاعتصموا بها ؛ ووفد على السعيد الفقيه عبدون وزير يغمراسن
مؤدياً للطاعة وساعياً في مذاهب الخدمة ومتولياً من حاجات الخليفة بتلمسان
ما يدعوه اليه ويصرفه في سبيله ، ومعتذراً تخلف يغمراسن عن الوصول ، الى
حضرة السعيد ؛ فليج السعيد في شأنه ولم يعذره ، وأبى الا مباشرة طاعته
بنفسه ؛ وساعده في ذلك كانون بن جرمون السفيناني صاحب الشورى
بمجلسه ومن حضر من الملا ، وردوا الفقيه عبدون الى يغمراسن ليستقدمه
فتأقّل يغمراسن عن القدوم خشية على نفسه .

واعتمد السعيد الجبل في عساكره حتى أناخ بها في ساحة القلعة وأخذ
بمخنقهم ثلاثة أيام ، وفي اليوم الرابع ركب مهجراً في وقت القبلولة على
حين غفلة من الناس ليتلوف بالقلعة ، ويتقرى مكانها ؛ فبصر به فارس من
بنى عبد الواد يعرف بيوسف الشيطان كان أسفل الجبل بقصد الحراسة ،
واتفق أن يغمراسن بن زيان وابن عمه يعقوب بن جابر كانا قريبين منه ؛
فعرفوا السعيد فانقضوا عليه من بعض الشعاب أمثال العقبان ، وطعنه يوسف
الشيطان فكبه عن فرسه ، وعمد يعقوب بن جابر الى وزيره يحيى بن علوش

قتله ؟ ثم استلحموا لوقتهم مواليه ناصحا من العلوج ، وغنبرا من الحصيان ؛ وقائد جند النصارى ، وهو أخو القمط. ووليدا يافعا من ولد السعيد ، ويقال ؛ انما كان ذلك يوم عبي السعيد العساكر وصعد الجبل للقتال وتقدم أمام الناس ، فاقطعه بعض الشباب المتوعرة في طريقه ؛ فتوآب عليه هؤلاء الفرسان وكان ما ذكرناه. وذلك منسليخ صفر سنة ست واربعين وستمائة وانتهى الخبر الى المحلة فارتجت وماجت ، وأخذ أهلها فى الفرار ؛ وبادر يغمراسن الى السعيد فنزل اليه وهو صريح على الارض ، فحيا ، وفناد وأقسم له على البراءة من دمه ، والسعيد رحمه الله واجم بمصرعه بوجود نفسه الى ان فاظ ، وانتهب المعسكر بجملته .

واستولى بنو عبد الواد على ما كان به من الاخوية الحسنة والفازات الرفيعة ، واختص يغمراسن بفسطاط السلطان ، فكان له خالصة دون قومه ؛ واستولى على الدخيرة التى كانت فيه منها مصحف عثمان بن عفان رضى الله عنه ، يزعمون أنه أحد المصاحف التى اتسخت لعهد خلافته ؛ وانه كان فى خزائن قرطبة عند ولد عبد الرحمن الداخل ، ثم صار فى ذخائر لتونة فما صار اليهم من ذخائر ملوك الطوائف بالاندلس ، ثم صار الى خزائن الموحد بن من يد لتونة .

قال ابن خلدون : وهو لهذا العهد فى خزائن بنى مرين فيما استولوا عليه من ذخيرة آل زيان ، وذلك عند غلب السلطان أبى الحسن المرينى على تلمسان سنة سبع وثلاثين وسبعمائة كما تذكره اه .

وقد تقدم لنا الخبر عن هذا المصحف العثمانى وفيه مخالفة لبعض ما هنا ، وسيأتى لنا فى دولة السلطان يوسف بن يعقوب بن عبد الحق المرينى ما يخالف ذلك كله والله أعلم بحقيقة الامر .

ومن الذخائر التى صارت ليغمراسن من فسطاط السعيد العقد المتفلسم من خرزات الياقوت الفاخر والدر النفيس المشتمل على مئين متعددة من حصائه . وكان يسمى بالعبان .

ثم صار الى بنى مرين أيضا الى أن تلف في البحر عند غرق الاسطول
بالسلطان أبي الحسن بمرسى بجاية مرجعة من تونس حسبما نذكره بعد الى
دخائر من امثاله وطرف من اشباهه مما يستخلصه الملوك لانفسهم ويعتدونه
من ذخائرهم .

ولما سكنت الفتنة وركد عاصف تلك الهيئة نظر يغمراسن في شأن موارد
الحليفة فجهزه ورفع على أعواده ، فافه بالعباد بمقبرة الشيخ أبي مدين رضى
الله عنه . ثم نظر في شأن حرمه وأخته تاغزونت الشهيرة الذكر بعد ان
جاءها واعتذر اليها مما وقع ، وأصبحهن جملة من مشيخة بنى عبد الواد الى
مأمنهن ، فألقوهن بدرعة من تخوم طاعتهم فكان ليغمراسن بذلك حديث جميل
في الابقاء على الحرم ورعى حقوق الملك . وأما أهل محلة السعيد فانهم بعد
نهوضهم تداعوا واجتمعوا الى عبد الله بن السعيد ، وقتلوا قاصدين مراکش .
واتصل الخبر بالامير أبي بكر بن عبد الحق وهو يومئذ ببني يزسن ، وقدمت
عليه الحصاة التي كان وجهها مع السعيد ، فتحقق الخبر ؛ وانتهاز الفرصة
لى الموحدين فاعترض عسكرهم بجبهات تازا ، قتل عبد الله بن السعيد واستلبهم
واستولى على ما بقى من أناتهم ، ثم جد السير الى مكناسة فدخلها وملكها ؛
ولحق فل الموحدين بمراكش ، فبايعوا عمر المرتضى كما نذكره ان شاء الله .



الخبر عن دولة أبي حفص عمر المرتضى ابن السيد أبي ابراهيم
ابن يوسف بن عبد المؤمن رحمه الله



لما توفى أبو الحسن السعيد كان عمر المرتضى واليا من قباه بقصبة رباط
انفتح من سلا كما قدمنا ، فاجتمع الموحدون بجامع المنصور من قصبة مراكش
وعقدوا له البيعة وبعثوا بها اليه ، ونهض هو متوجها الى مراكش فلقبه وفتحهم
أناء طريقه بامسنا ، واجتمع عليه أشياخ العرب فبايعوه أيضا واستقام أمره

وتلقب بالمرتضى ، وعقد لعقوب بن كانون على بنى جابر ؛ ولعمه يعقوب بن جرمون على عرب سفيان بعد ان كان قومه قدموه عليهم ، ودخل الحضرة واستوزر ابا محمد بن يونس من قرابته . وقبض على حاشية السعيد . ثم وصل أخوه السيد أبو اسحق الذى كان وزيرا للسعيد من قبل ناجيا من وقعة تامزردكت آخذا على طريق سجلماسة فاستوزره أيضا وأسند اليه أمره واستولى أبو بكر بن عبد الحق أمير بنى مرين بعد مهلك السعيد على رباط تازا ومكناسة ، ثم استولى سنة سبع وأربعين وستمائة على فاس وأعمالها ؛ فاقطع عن المرتضى بلاد الغرب كلها ولم يبق له الا بلاد الحوز من سبلا الى السوس .

ولاول دواة المرتضى كان استيلاء العدو على اشيلية احدى قواعد الاندلس فان طاغية قشتالة وهو الاصبنيول خذله الله حاصرها سنة خمس وأربعين وستمائة . وفى يوم الاثنين الخامس من شعبان من السنة بعدها ملكها صاحبها بعد منازلتها حولا كاملا وخمسة أشهر ، وانتقل كرسى المملكة الاسلامية بالاندلس الى غرناطة وذلك فى دولة بنى الاحمر .

وفى سنة تسع وأربعين وستمائة ملك الامير أبو بكر المرينى سلا ورباط الفتح ، ووفد على المرتضى بمراكش موسى بن زيان الونكاسى وأخوه على بن زيان من قبيل بنى مرين ، وأغروه بقتال بنى عبد الحق فاسعفهم . ولما انتهى الى أمان ايملولين أشاع يعقوب بن جرمون السفياى قضية الصلح بينهما ، واصبح راحلا وقد استولى الجزع على قلوب الجيش ، فانفضوا ووقعت الهزيمة من غير قتال ، ووصل المرتضى الى الحضرة وأغضى لعقوب عما صدر منه .

وفى سنة خمسين وستائة استرجع المرتضى سلا ورباط الفتح من يد بنى مرين .

وفى سنة احدى وخمسين بعدها فر من حاشية المرتضى على بن يدر من بنى اداسن ولحق ببلاد السوس وتحصن ببعض جبالها ثم حاصر تارودانت

قاعدة بلاد السوس فاستولى عليها ، واستخدم الشبانات وذوى حسان من عرب
 معقل ، وأطاعته قبائل جزولة واستفحل أمره ، واستولى على بسائط السوس
 فوجه اليه المرتضى عدة جيوش فهزم البعض وقتل البعض ، ثم جاء ابو دبوس
 من بعد المرتضى فهض اليه ، وحاصره بعض حصونه قرب تارودانت .
 ولما اشتد عليه الحصار رغب فى الافالة ومعاودة الطاعة فقبل ذلك منه أبو
 دبوس وأقلع عن حصاره وعاد الى الحضرة . ولما استولى بنو مرين على مراكش
 سنة ثمان وستين وستمائة استبد على بنى يدر هذا عليهم وتملك قطر السوس
 واستولى على تارودانت وسائر قرأه ومعاقله ، وأرهف حده للعرب وسامهم
 الهضيمة ، فزحفوا اليه وقتلوه فى السنة المذكورة . ثم توارث قطر السوس
 من بعده جماعة من عشيرته ، واستمر ملكهم عليه الى زمان السلطان ابى الحسن
 المرينى فغلبهم عليه وانقرض امرهم .



رجع الى اخبار عمر المرتضى

وفى سنة اثنتين وخمسين وستمائة خرج ابو الحسن بن يعلو قائد المرتضى
 فى جيش من الموحدين الى تامسنا ليكشف احوال العرب ومعه يعقوب بن
 شيخ بنى جابر فقبض عليه وعلى وزيره ابن مسلم وطير بهما الى الحضرة معتقلين
 وفى سنة ثلاث وخمسين بعدها خرج المرتضى من مراكش لاسترجاع
 فاس واعمالها من يد بنى مرين المتغلبين عليها ، واحتفل فى الاحتشاد ،
 وبالغ فى الاستعداد ، فكان جيشه ثمانين ألف فارس من الموحدين والعرب
 والاغزاز وأهل الاندلس والفرنجة فسار حتى نزل جبل بنى بهلول قبلة فاس
 وكانت هبة بنى مرين وناموسهم قد تمكن من قلوب جيش المرتضى ، فكانوا
 منذ قربوا من أحواز فاس لا ينامون الا غراراً ، فانطلق ذات ليلة فرس لبعض
 الجنديين وجرى بين الاخوية ، وجرى الناس خلفه ليأخذوه ؛ فظن أهل المحلة

ان بنى مرين قد أغاروا عليهم ؟ فركبوا خيولهم ، وماج بعضهم فى بعض ؟
وانقلبوا منهزمين لا يلوون على شىء .

واتصل الحبر بأبى بكر بن عبد الحق وهو بفاس فخرج للوقت واحتوى
على جميع ما فى محلة الموحدين من الاخوية والائات والسلاح والمال ، ومر
المرتضى على وجهه فدخل مراكنش فى جمع قليل من الاشياخ والافرنج
واقام بها واعرض عن بنى مرين وتسلى عنهم سائر ايامه وازدادت شوكة
الموحدين ضعفا .

واستبد أبو القاسم العزفى بسببة واستتب أمره بها ، وتوارث الرياسة بها
عشيرته من بعده زمانا الى ان غلبهم عليها بنو مرين .

وفى سنة خمس وخمسين وستمائة استولى أبو بكر بن عبد الحق عني
سجلماسة ، وتقبض على واليها عبد الحق بن اسكوا بمداخلة خديم له يعرف
بمحمد القطراني ، وشرط على الامير أبى بكر أن يكون هو الوالى عليها
فأمضى له شرطه ، وأنزل معه بها جماعة من رجالات بنى مرين حتى اذا هلك
أبو بكر بن عبد الحق أخرجهم محمد القطراني واستبد بأمر سجلماسة وراجع
دعوة المرتضى ، واعتذر اليه ؟ واشترط عليه الاستبداد فأمضى له شرطه الا فى
أحكام الشريعة ، وبعث أبا عمر بن حجاج قاضيا من الحضرة وبعض السادة
لنظر فى القضية ؟ وقائدا من النصارى بعسكر للحماية ، فاعمل القاضى ابن
حجاج الحيلة فى قتل القطراني ، وتولى الفتك به قائد النصارى ؟ واستبد
السيد بأمر سجلماسة بدعوة المرتضى .

واستفحل أمر بنى مرين اثناء ذلك . ونزل الامير يعقوب بن عبد الحق
بسانط تامسنا ، فسرح اليهم المرتضى عساكر الموحدين لنظر يحيى بن عبد
الله بن وانودين ؟ فأجفلوا الى وادى أم الربيع ، واتبعهم الموحدون وألحوا عليهم
فعطف عليهم بنو مرين واقتتلوا ببطن الوادى فانهزمت عساكر الموحدين ،
وغدر بهم بنو جابر ؟ وكان فى مسيل الوادى كدى يحسر عنها الماء فتبدو
كانها ارجل ، فسميت الواقعة من اجل ذلك بام الرجلين وذلك فى سنة

ستين وستمائة . وبقي المرتضى يعالج أمر علي بن يدر الثائر بالسوس الى
سنة اثنتين وستين وستمائة . فأقبل الامير يعقوب بن عبد الحق في جموع بني
مرين حتى نزل على مراكش ، واتصل الحرب بينه وبين الموحدين بظاهرها
أياما ؛ هلك فيها عبد الله بن يعقوب بن عبد الحق ، فبعث المرتضى الى أبيه يعقوب
بالتعزية ولاطفه ؛ وضرب اتاوة يبعث بها اليه في كل سنة ، فرضى يعقوب
وارتحل عنها ؛ وقيل ان مقتل عبد الله بن يعقوب كان سنة ستين قبل وقعة
أم الرجلين والله تعالى أعلم .



انتقاض أبي دبوس على المرتضى واستيلائه على مراكش ومقتل المرتضى عقب ذلك

لما ارتحل بني مرين عن مراكش بعد مهلك عبد الله بن يعقوب فر من
الحضرة قائد حروب المرتضى وابن عمه وهو السيد أبو العلاء ادريس الملقب
بأبي دبوس ابن السيد أبي عبد الله محمد ابن السيد أبي حفص عمر بن عبد
المؤمن ، لسعاية تمكنت فيه عند المرتضى ؛ وانه يطلب الامر لنفسه ؛ فأحس
أبو دبوس بالشر ولحق يعقوب بن عبد الحق فأدركه عند مقدمه الى فاس
قافلا من منازل مراكش ، فأقبل عليه الامير يعقوب وبالغ في اكرامه ، فطلب
منه أبو دبوس الاعانة على حرب المرتضى ؛ وكان بطلا محربا وضمن له فتح
مراكش واشترط له المقاسمة فيما يغلب عليه من السلطان وما يستفيده من
الذخيرة والمال . فأمده الامير يعقوب بخمسة آلاف من بني مرين ، وبالكفاية
من المال ؛ وبالمستجد من آلة الحرب من طول وبنود ونحو ذلك ، وكتب له
مع ذلك الى عرب جشم - وأميرهم يومئذ علي بن أبي علي الخلطي - أن يكونوا
معه يدا واحدة ، فسار أبو دبوس حتى وصل الى سلا فكتب منها الى العرب
وأشياخ الموحدين والمصامدة الذين في طاعة المرتضى يدعوهم الى بيعته ،

ويعدهم ويمنيهم ؛ فتلقته وفود العرب والهساكرة وسنهاجة آزموور بعض الطريق فبايعوه ؛ وساروا معه حتى نزل بلاد هسكورة . ثم كتب الى خاتمه من وزراء المرتضى أن يعلموه بحال البلد والدولة فراجعوه أن اسرع السير واقبل ولا تخشن شيئا ، فانا قد فرقنا الجند في أطراف البلاد وهذا وقت انتهاز الفرصة . فزحف أبو دبوس الى مراکش حتى اذا أنتهى الى أغمات وجد بها الوزير أبا زيد بن يكيث في جيش من حاميتها ، فاجزه الحرب فانهزم ابن يكيث وقتل عامة أصحابه .

وسار أبو دبوس يوم مراکش ومعه سفيان وبنى جابر وكبيرهم يومئذ علوش بن كانون السفيناني ، فلما دنوا من مراکش أغار علوش على باب الشريعة منها والناس في صلاة الجمعة حتى ركز رمحه بمصراع الباب . ودخلت سنة خمس وستين وستمائة والمرتضى بمراكش غافل عن شأن أبي دبوس ، والاسوار خالية من الحامية والحراص . تقصد أبو دبوس باب أغمات وتصور البلد من هنالك ودخل المدينة على حين غفلة من أهلها ، وصمد إلى القصة فأتحمها من باب الطبول واستولى عليها .

وقال ابن أبي زرع : ان دخول أبي دبوس مراکش كان من باب الصالحة وذلك ضحى يوم السبت الثاني والعشرين من المحرم سنة خمس وستين وستمائة ، والصالحة التي أضيف اليها هذا الباب هي بستان كبير من جملة بساتين اجدال دار الخلافة بمراكش ولا زال هذا البستان مشهور بهذا الاسم الى الآن ، وهو من انشاء عبد المؤمن بن علي رحمه الله ؛ فقد ذكر الشيخ أبو عبد الله بن محمد عذارى الاندلسي في كتاب «البيان المعرب عن أخبار المغرب» : ان بستان المسرة الذي بظاهر جنان الصالحة أنشأه عبد المؤمن بن علي كبير الموحدين . قال : وهو بستان طوله ثلاثة اميال وعرضه قريب منها فيه كل فاكهة تشتهي ، وجلب اليه الماء من أغمات واستنبط له عيوناً كثيرة .

قال ابن اليسع : وما خرجت أنا من مراکش في سنة ثلاث واربعين وخمسائة الا وهذا البستان الذي غرسه عبد المؤمن يبلغ مبيع زيتونه وفواكهه

ثلاثين ألف دينار مؤمنة على رخص الفاكهة بمراكش . اه
قلت: ولشهرة هذا البستان وموقعه من الناس لهجت به صبيانهم وسجعوا به
فيقولون : « يا جردة مالحة ، أين بت سارحة ؟ في جنان الصالحة » في أسجاع
غير هذه تجرى على السنة الصبيان . والله اعلم .



رجع الى خبر ابي دبوس

قال ابن أبي زرع : لا اقتحم أبو دبوس مراكش سار حتى وقف بباب
البنود من القصة فغلقت الابواب دونه ، وقام عبيد المخزن عليها يقاتلون .
ولما رأى المرتضى أن أبا دبوس قد التحف معه كساء دار الملك خرج من
القصر ناجيا بنفسه من باب الفاتحة ومعه الوزير ابو زيد بن يعلو الكومي ،
وأبو موسى ابن عزوز الهنتائي ، ثم انتقل منها الى كدميوه ، ثم الى نغشاوة
ثم لحق آخرها بأزمور ونزل على صهر له من بني غطوش كان واليا عليها من
قبله . وكان ابن عطوش هذا قد أسره العدو فافتكه المرتضى بمال جسيم
وزوجه ابنته وولاه أزمور . فلما وقعت عليه الكائنة بمراكش ذهب اليه
مستجيرا به ومطمئنا اليه فكان من جزائه له أن قبض عليه وقيده ، وكتب الى
أبي دبوس يعلمه بشأنه ؛ فكتب أبو دبوس اليه يستكشفه في شأن الذخيرة
فانكر المرتضى أن يكون قد اذخر شيئا وحلف على ذلك وامت اليه بالرحم
حتى كاد أبو دبوس يعطف عليه ، ثم أغراه خاصته به فوجه اليه من قتله في
الطريق وأتى اليه برأسه ، وسار ابن عطوش بفعلته هذه أظلم من الحيفقان
وكان مقتل المرتضى في العشر الاواخر من شهر ربيع الآخر سنة خمس
وستين وستمائة . وكان رحمه الله ينتمي الى التصوف والزهد والسورع ،
وتسمى بثالث العمرين ، وكان مولعا بالسماع لا يكاد يخلو منه ليلا ولا نهارا
وكان في أيامه رخاء مفرط لم ير أهل مراكش مثله .

وقال ابن الخطيب : كان المرتضى فاضلا خيرا عفيفا ، مغمدا السيف ؛
ماتلا الى الهدنة رحمه الله .



الخبر عن دولة أبي العلاء إدريس الواثق بالله المعروف بأبي دبوس



لما تقدم أبو دبوس حضرة الخلافة على المرتضى وفر المرتضى عنها ملكها
أبو دبوس واستتب أمره بها وبايعه كافة الموحدين واهل العقد والحل من الوزراء
والفقهاء والاشياخ ، وكان ذلك بجامع المنصور يوم الاحد الثالث والعشرين من
المحرم سنة خمس وستين وستمائة ، واستقل أبو دبوس بمملكة مراکش
واعمالها ، وتلقب بالواثق بالله ، والمعتمد على الله . وبذل العطاء ونظر في
الولايات ، ورفع المكوس عن الرعية .

ولما اتصل بالامير يعقوب بن عبد الحق ما كان من أبي دبوس واستيلائه على
لمملكة كتب اليه يهنئه بالفتح ، ويطلب منه أن يمكنه من الشرط الذي شرط
له ؛ فلما وصل اليه الكتاب أدركه النخوة ، وغلب عليه الكبر ؛ وقال للرسول :
قل ليعقوب بن عبد الحق يغتم سلامته ، ويبعث الى بيعته حتى أقره على ما بيده
والاغزوته بجنود لا قبل له بها ، فعاد الرسول الى الامير يعقوب ؛ وأبلغه الخبر
ودفع اليه كتاب أبي دبوس فاذا هو يخاطبه مخاطبة الخلفاء لعمالهم ، والرؤساء
لخدمتهم ، فتحقق الامير يعقوب نكته وغدره ، فنهض اليه في جموع بني مرين
وعساكر المغرب

فلما اشرف على مراکش خام أبو دبوس عن اللقاء وتحصن بداره ، واجأ
الى أسواره ، فتقدم الامير يعقوب حتى نزل على مراکش وحاصرها اياما وعاش
في نواحيها ، وانتسف ما حولها .

ولما رأى أبو دبوس ما نزل به منه كتب الى قريعة يغمراسن بن زيان صاحب
تلمسان يطلب منه أن يشغل عنه الامير يعقوب بما وراه من اعمال فاس والمغرب

وأسنى له الهدية فى ذلك، وأكد العهد فى الموالة والمناصرة، فأجابه يغمراسن الى ذلك. نهض من حينه فشن الغارات على ثغور المغرب، واضرم نار الفتنة بها. واتصل ذلك بالامير يعقوب وهو محاصر لمراكش، فرجع عوده على بدئه وسار الى يغمراسن فناجزه الحرب، وانتصف منه على ما ينبغى وحسم مادة فساده.

ثم كر راجعا الى مراكش فى شعبان سنة ست وستين وستمائة، ولما عبر وادى أم الربيع شن الغارات على النواحي، وبث السرايا فى الجهات، وطال عينه فى البلاد، وأبدأ فى ذلك وأعاد؛ حتى ضاقت صدور بنى عبد المؤمن بمراكش وتكدر عيشهم. فحرضهم أولياؤهم من عرب جشم، وأغروهم باستنهاض أبى دبوس لمدافة عدوه، ووعدوهم النصر من أنفسهم؛ فتحرك أبو دبوس لذلك؛ واشرايت نفسه الى القتال، فحشد وأبلغ؛ وبرز من الحضرة فى جيوش ضخمة وجموع وافرة.

ولما علم الامير يعقوب بخروجه ودنوه منه أظهر من نفسه العجز عن لقائه، وكر راجعا الى جهة بلاده، يستجره بذلك ليعد عن الحضرة ومددها. وتمادى أبو دبوس فى اتباعه حتى انتهى الى وادى ودغفو، فكر عليه الامير يعقوب والتحم القتال، وقامت الحرب على ساق؛ فلم تمض الا ساعة حتى انهزم الموحدون، وأطلق أبو دبوس عنانه للفرار يريد مراكش؛ فأدركه خيل بنى مرين؛ وتناولته رماحهم، وخر صريعا للبين وللهم؛ واحتز رأسه وجيء به الى الامير يعقوب فسجد شكرا لله تعالى. ثم بعث به الى فاس، وتقدم هو الى مراكش فاستولى عليها فى أوائل محرم سنة ثمان وستين وستمائة وفر الموحدون الذين كانوا بمراكش الى جبل تينملل، فبايعوا اسحق ابن أبى ابراهيم أخا المرتضى، فبقي ذبالة هنالك الى سنة أربع وسبعين وستمائة فقبض عليه؛ وجيء به الى السلطان يعقوب بن عبد الحق هو وابن عمه السيد أبو سعيد ابن أبى الربيع ووزيره القبائلى وأولاده قتلوا جميعا، وانقرضت دولة بنى عبد المؤمن من الارض، وذهبت محاسن مراكش يومئذ بذهاب دولتهم والبقاء

لله وحده لا رب غيره ولا معبود سواه.

ولنذكر ما كان في هذه المدة من الاحداث :

ففي سنة احدى وستمائة توفي الشيخ أبو العباس أحمد بن جعفر الخزرجي المعروف بالسبتي دفن مراکش ، وذلك يوم الاثنين الثالث من جمادى الآخرة من السنة المذكورة ، ودفن خارج باب تاغزوت : وكان شيخه أبو عبد الله الفخار من أصحاب القاضي أبي الفضل عياض .

وكان الشيخ أبو العباس رضى الله عنه جميل الصورة أبيض اللون حسن الثياب فصيح اللسان، قادرا على الكلام؛ لا يناظره أحد الا أفحمه . حتى كان مواقع الحجج من الكتاب والسنة موضوعا على طرف لسانه ، وكان مع ذلك حلما صبورا عطوفا ، يحسن الى من يؤذيه ؛ ويحلم عنمن يسفه عليه برا باليتامى والمساكين ، رحما بهم ؛ يجلس حيث أمكنه الجلوس من الاسواق والطرفات ويحض الناس على الصدقة ، ويأتى بما جاء فى فضلها من الآيات والانوار فتتال عليه من كل جانب ، فيفرقها على المساكين وينصرف . وكان له مع الله تعالى فى التوكل عليه عقدا أكيدا ، ومقام حميدا ؛ قد ظهر اثره على روضته المباركة بعد وفاته .

حدث أبو القاسم عبد الرحمن بن ابراهيم الخزرجي قال : بعثنى أبو الوليد بن رشد من قرطبة ، وقال لى : اذا رأيت أبا العباس السبتي بمراكش . فانظر مذهبه واعلمنى به . قال : فجلست مع السبتي كثيرا الى ان حصلت على مذهبه : فاعلمته بذلك ، فقال لى أبو الوليد هذا رجل مذهبه ان الوجود ينفعل بالوجود

وقال الوزير ابن الخطيب كان سيدى أبو العباس السبتي رضى الله عنه مقصودا فى حياته، مستغانا به فى الازمات، وحاله من أعظم الآيات الخارقة للعادة، ومبنى أمره على انفعال العالم عن الوجود، وكونه حكمة فى تأثر الوجود له فى ذلك أخبار ذائعة وامثال باهرة.

ولما توفى ظهر هذا الاثر على تربته، وانسحبت على مكانه عادة حياته ،
 ووقع الاجماع على تسليم هذه الدعوى وتخطى الناس مباشرة قبره بالصدقة
 الى بعثها له من اماكنهم على بعد المدى، وانقطاع الاماكن القصى، تحملهم
 اجنحة نياتهم ؛ فتهوى اليه بمقاصدهم من كل فج عميق ، فيجدون الثمرة
 المعروفة ، والكرامة المشهورة .

وفى سنة عشر وستمائة كان الوباء العظيم بالمغرب والاندلس .

وفى سنة ست عشرة وستمائة توفى الشيخ الفقيه الصالح أبو اسحق
 ابراهيم بن محمد السلمى البلفيقي، انتهى نسه الى العباس بن مرداس السامى
 صاحب رسول لله صلى الله عليه وسلم . كان أبو اسحق رحمه الله من كبار
 العلماء العاملين، والزهاد المحققين، مثابرا على الاجتهاد والانقطاع الى الله
 تعالى ؛ وظهرت عليه بلده المرية من عدوة الاندلس كرامات واجتمع عليه
 خلق كثير ، وشاع ذكره هنالك ؛ فوشوا به الى الخليفة صاحب مراكش
 وهو يوسف المنتصر الموحدى ، فكتب الى عامله على المرية يأمره بتوجيهه
 الشيخ أبى اسحق مكرما غير مروع .

ولما عزم العامل على توجيهه قام العامة والاتباع دون الشيخ وأرادوا ان
 يحولوا بينه وبين العامل ، فقال لهم الشيخ : « طاعة السلطان واجبة » ولما
 انتهى الى مراكش ودخل على المنتصر هابه وجله وندم على ما كان منه اليه،
 ثم بالغ فى اكرامه، وبعد ذلك مرض الشيخ ابو اسحق وتوفى فى السنة
 المذكورة واحتفل الناس لجنازته وحضرها الامراء والكبراء ، وكسر العامة
 نعشه واقتسموا اعداده تبركا به، وقبره مشهور بمراكش بسوق الدقيق منها
 وبقرب ضريحه مسجد جامع ينسب اليه والعامة تقول جامع سيدى اسحق
 بدون لفظ الكنية وليس كذلك.

وفى سنة سبع عشرة وستمائة كان الجراد والقحط والغلاء الشديد بالمغرب
 وفيها الف الفقيه أبو يعقوب يوسف بن يحيى التادلى المراكشى الدار عرف
 بابن الزيات كتابه المسمى « بالتشوف الى رجال التصوف »، وذكر فيه انه لم

يتعرض لذكر أحد من اولياء زمانه الاحياء غير انه ذكر ان من جملة اولياء زمانه الذين كانوا قيد الحياة الشيخ الصالح الصوفى ابا محمد صالح بن ينضارن بن عفيان الدكالى ثم الماجرى نزيل ربط اسفى. قال: وهو الآن يفتر من الجهاد، والمحافظة على المواصلة والاوراد، ومن كلامه الفقير ليس له نهاية الا الموت ، قال : وحدثني عنه تلامذته بعجائب من الكرامات والكلام على الحواطر ؛ وهو على سنن المشايخ الاول رضى الله عنه .

وفى سنة اثنتين وعشرين وستمائة توفى الشيخ أبو محمد عبد السلام بن مشيش رضى الله عنه ، وقيل فيما بعد ذلك الى سنة خمس وعشرين ؛ وتوفى رضى الله عنه شهيدا بجبل العلم من جبال غمارة وقبره هناك مشهور من أعظم مزارات المغرب.

وكان سبب شهادته أن محمدا بن أبى الطواجين الكسامى كان قد نار بتلك البلاد وانتحل صناعة الكيمياء ، ثم ادعى النبوة حسبما سلف وتبعه على ضلالتة طغاة غمارة والبربر. فكان عدو الله يفص بمكان الشيخ رضى الله عنه ، لما آتاه الله من شرف التقوى والاستقامة المؤيد بشرف النسب الصميم والعنصر الكريم ؛ فسول له الشيطان انه لا يتم أمر مخرقته فى تلك الناحية الا بقتل الشيخ ففس له جماعة من أتباعه وأشباعه فرصدوا الشيخ حتى نزل من خلوته فى سحر من الاسحار الى عين هنالك قرب الجبل المذكور فتوضأ منها وولى راجعا الى محل عبادته وارتقاب فجره فعدوا عليه وقتلوه ؛ ومن الشائع انه القى عليهم ضباب كيف أضلهم عن الطريق ودفعوا الى شواحق تردوا منها فى مهاوى سحيقة تمزقت فيها اشلاؤهم ولم يرجع منهم خبير.

والشيخ عبد السلام هذا هو ابن مشيش بن أبى بكر بن على بن حرمة بن عيسى بن سلام بتشديد اللام بن مزوار بفتح الميم وبالراء المهملة أخيرا ابن حيدرة واسمه على بن محمد بن ادريس بن عبد الله بن الحسن المننى ابن الحسن السبط ابن على بن أبى طالب رضى الله عنهم .

وفي هذه السنة أيضا استأسد العدو الكافر على المسلمين بالاندلس وتوالت له عليهم الهزائم بمواقع متعددة واستولى على كثير من الحصون واستلحم منهم عدة ألوف حتى خلت المساجد والأسواق .

وفي سنة أربع وعشرين وستمائة اشتد الغلاء بالمغرب والاندلس حتى بيع القفيز من القمح بخمسة عشرة دينارا ، وعم الجراد بلاد المغرب .
وفي سنة ست وعشرين وستمائة كان السيل العظيم بفاس هدم من سورها القبلي نحو مسافتين وهدم من جامع الاندلس ثلاثة بلاطات وهدم دورا كثيرة وفنادق متعددة من عدوة الاندلس .

وفي سنة ثلاثين وستمائة كان الغلاء ببلاد المغرب وكرر بها الجوع والوباء حتى بلغ القفيز من القمح ثمانين دينارا وخلصت الامصار من اهلها .
وفي سنة خمس وثلاثين وستمائة عاود الغلاء والوباء ارض المغرب فأكل الناس بعضهم بعضا وكان يدفن في الحفير الواحد المائة من الناس .
وفي سنة ست واربعين وستمائة وقع الحريق بأسواق فاس فاحترقت حارة باب السلسلة بأسرها الى حمام الرحبة وبالله تعالى العصمة والتوفيق .



تم الجزء الثاني

ويليه الجزء الثالث أوله ابتداء دولة بني مرين

فهرس الموضوعات

صحيفة

الدولة المرابطية

- ٣ الخبر عن الدولة الصنهاجية اللمتونية المرابطية واوليتها
الخبر عن رياسة يحيى بن ابراهيم الكدالي وما كان من أمره مع الشيخ
٥ ابي عمران الفاسي رحمهما الله
٧ الخبر عن دخول عبد الله بن ياسين أرض الصحراء وابتداء أمره بها
شروع عبد الله بن ياسين في الجهاد واعلانه بالدعوة وما كان من أمره
٩ في ذلك
١١ الخبر عن رياسة يحيى بن عمر بن تكلابن اللمتوني
١٢ الخبر عن غزو عبد الله بن ياسين ويحيى بن عمر سجماسة والسبب في ذلك
١٣ الخبر عن رياسة ابي بكر بن عمر اللمتوني وفتح بلاد السوس
فتح بلاد المصامدة وما يتبع ذلك من جهاد برغواطمة وفتح بلادهم
١٤ وذكر نسبهم
١٥ الكلام على برغواطمة
١٨ وفاة عبد الله بن ياسين
٢٠ غزو ابي بكر بن عمر بلاد المغرب سوى ما تقدم وفتحها اياها
٢٠ عود ابي بكر بن عمر الى بلاد الصحراء والسبب في ذلك
٢٢ الخبر عن دولة أمير المسلمين يوسف بن تاشفين اللمتوني
٢٣ وفاة زينب النغزاوية
٢٤ بناء مدينة مراكش
٢٥ فتح مدينة فاس وغيرها من سائر بلاد المغرب

- ٣٠ فتح سبتة وطنجة وما ترتب عليه من الجهاد بالاندلس
- ٣٣ الخبر عن الغزوة الكبرى بالزلاقة من ارض الاندلس
- ٣٤ فتح سبتة
- بقية اخبار امير المسلمين في الجهاد وما اتفق له مع ملوك الاندلس
- ٥٠ وكبيرهم ابن عباد
- ٥٧ بقية اخبار امير المسلمين في الجهاد سوى ما تقدم
- ٦١ الخبر عن دولة امير المسلمين ابي الحسن علي بن يوسف بن تاشفين
- خروج يحيى بن ابي بكر بن يوسف على عمه امير المسلمين علي بن
- ٦١ يوسف بن تاشفين
- ٦٣ اخبار الولاة بالمغرب والاندلس
- ٦٥ اخبار امير المسلمين علي بن يوسف في الجهاد وجواز اوله الى بلاد الاندلس
- ٦٦ استيلاء العدو على سرقسطة
- ٦٨ ولاية الامير تاشفين بن علي على بلاد الاندلس واخباره في الجهاد
- ٧٠ الخبر عن دولة ابي المعز تاشفين بن علي بن يوسف بن تاشفين اللمطوني
- ٧٤ الاحداث في ايام الامتوينيين
- ٧٤ وفاة ابي الفضل بن النحوي
- وفاته ابي العباس احمد بن محمد بن موسى بن عطاء الله المعروف
- ٧٥ بابن العريف
- ٧٦ وفاة ابي الحكم عبد السلام بن برجان اللخمي
- ٧٧ وفاة ابي ينور المشترائي دفين دكالة



❦ الدولة الموحدية ❦

| | |
|-----|---|
| | الخبر عن دولة الموحدين من المصانيد وقيامها على يد محمد بن تومرت |
| ٧٨ | المعروف بالمهدى |
| ٩٤ | بقية أخبار المهدي وبعض سيرته الى وفاته |
| ٩٦ | اول من احدث « اصبح والله الحمد » في اذان الصبح |
| ٩٧ | وفاة المهدي رحمه الله |
| ٩٨ | اصل كتاب الجفر |
| ٩٩ | الخبر عن دولة ابي محمد عبد المؤمن بن علي الكومي واوليتها |
| ١٠١ | بيعة عبد المؤمن بن علي والسبب فيها |
| ١٠٣ | غزوة عبد المؤمن الطويلة التي استولى فيها على المغربين |
| ١٠٧ | فتح مدينة فاس |
| ١٠٨ | فتح مراکش واستئصال بقية اللمتانيين |
| ١٠٨ | قصر بني العشرة بسلا |
| ١١٠ | حدوث لقب « أمير المؤمنين » بالمغرب |
| ١١٠ | ثورة محمد بن هود السلاوي المعروف بالماسي |
| ١١٣ | انتفاض أهل سبتة على الموحدين وخبر القاضي عياض رحمه الله معهم |
| ١١٦ | اخبار الاندلس وفتحها |
| ١١٨ | وفاة الامام ابي بكر بن العربي المعافري |
| ١١٩ | قدوم عبد المؤمن الى سلا ووفادة أهل الاندلس عليه بها |
| ١٢٠ | غزو افريقية وفتح مدينة بجاية |
| ١٢٢ | فتح المرية وبياسة وأبدة |
| ١٢٣ | قدوم عبد المؤمن الى سلا وتولية اولاده على النواحي بها |
| ١٢٤ | ايقاع عبد المؤمن بعبد العزيز وعيسى اخوى المهدي والسبب في ذلك |

- ١٢٥ ايقاع يحيى بن يغمور باهل لبلة واسرافه في ذلك
امر عبد المؤمن بتحريق كتب الفروع ورد الناس الى الاصول من
- ١٢٦ الكتاب والسنة
- ١٢٦ نقل المصحف العثماني من قرطبة الى مراکش وبناء جامع الكتبيين بها
- ١٣١ نكبة الوزير ابن عطية والسبب فيها
- ١٣٥ غزو افريقية ثانيا وفتح المهديّة وغيرها من اشغور
- ١٣٩ توظيف عبد المؤمن الخراج على أرض المغرب
- ١٤٠ بناء عبد المؤمن جبل طارق
- ١٤٠ بناء عبد المؤمن مدينة البطحاء
- ١٤١ عبور عبد المؤمن الى جبل طارق والسبب في ذلك
- ١٤٢ قدوم كومية قبيلة عبد المؤمن عليه بمراكش والسبب في ذلك
- استعداد عبد المؤمن للجهاد وانشاؤ الاساطيل بسواحل المغرب وما
- ١٤٣ يتبع ذلك من وفاته رحمه الله
- ١٤٥ بقية اخبار عبد المؤمن وسيرته
- ١٤٦ الخبر عن دولة يوسف بن عبد المؤمن بن علي
- ١٤٨ ثورة سبع بن منغفاد بجبل غمارة
- ١٤٩ بناء قنطرة تانسيفت
- ١٤٩ الجواز الاول لامير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن الى الاندلس بقصد الجهاد
- غزو أمير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن بلاد افريقية وفتح مدينة
- ١٥٢ قفصة والسبب في ذلك
- الجواز الثاني لامير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن الى الاندلس
- ١٥٣ برسم الجهاد وما يتصل بذلك من وفاته رحمه الله
- ١٥٦ بقية اخبار امير المؤمنين يوسف بن عبد المؤمن وسيرته
- ١٥٨ الخبر عن دولة أمير المؤمنين المنصور بالله يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي

- ١٥٩ خروج علي بن اسحق المسوفي المعروف بابن غانية على يعقوب المنصور
- ١٦٠ غلق ابواب المدن يوم الجمعة
- الخبر عن انتقال العرب من جزيرتهم الى ارض افريقية ثم منها الى
- ١٦١ المغرب الاقصى والسبب في ذلك
- ١٦٦ قصة جازية بنت سرحان
- ١٦٩ دخول عرب هلال وجسم المغرب الاقصى
- ١٦٩ معنى الغرب والحوز في عرف أهل المغرب
- الخبر عن بنى معقل عرب الصحراء من ارض المغرب وتحقيق نسبهم
- ١٧٩ وبيان شعوبهم وبطونهم
- ١٨١ الجواز الاول ليعقوب المنصور رحمه الله الى الاندلس بقصد الجهاد
- مراسلة السلطان صلاح الدين يوسف بن ايوب صاحب مصر ليعقوب
- ١٨١ المنصور رحمه الله والتماسه منه الاماطيل للجهاد
- ١٨٢ اختصاص أهل المغرب بالاماطيل الجهادية دون غيرهم
- ١٨٣ عود المنصور الى افريقية والسبب في ذلك
- ١٨٥ الغزوة الكبرى بالارك من بلاد الاندلس
- ١٩٣ ابن رشد الحفيد
- ١٩٤ ذكر ما شيدلا المنصور رحمه الله من الآثار بالمغرب واندلس
- ١٩٨ بقية اخبار المنصور وسيرته
- ١٩٩ أمر المنصور بقراءة البسمة في أول الفاتحة
- ٢٠٢ حكاية عجيبة
- ٢٠٣ وفاة المنصور رحمه الله
- ٢٠٤ حمة ابي يعقوب
- ٢٠٦ وفاة القاضي عياض رحمه الله
- ٢٠٦ وفاة الشيخ ابي الحسن بن حرزهم رحمه الله

| | |
|-----|--|
| ٢٠٧ | وفات الشيخ أبي شعيب دفين أزمو |
| ٢٠٩ | وفات ابن قرقول |
| ٢٠٩ | وفات الفقيه ابو الحسن الانصاري المتيطي |
| ٢١٠ | وفات الشيخ ابي يعزى |
| ٢١٠ | وفات الشيخ ابي الحسن ابن غالب دفين القصر |
| ٢١٠ | وفات الشيخ التاودى المعلم |
| ٢١١ | وفات الامام السهيلي |
| ٢١١ | وفات الشيخ الغماد دفين سلا |
| ٢١١ | وفات الشيخ يوسف بن علي دفين مراکش |
| ٢١٢ | وفات الشيخ ابي مدين |
| ٢١٣ | وفات الشيخ المهدوى صاحب كتاب الهداية |
| | الخبر عن دولة امير المؤمنين ابي عبد الله محمد الناصر لسدين الله بن |
| ٢١٤ | يعقوب المنصور بالله |
| | غزو الناصر بلاد افريقية وولاية الشيخ ابي محمد بن ابي حفص عليها |
| ٢١٤ | والسبب في ذلك |
| ٢١٧ | فتح جزيرة ميورقة |
| ٢١٨ | ثوراة ابن الفرس وما كان من امره |
| ٢٢٠ | غزوة العقاب التي محص الله فيها المسلمين |
| ٢٢٥ | وفات الناصر رحمه الله |
| | الخبر عن دولة امير المؤمنين يوسف المنتصر بالله الناصر بن المنصور |
| ٢٢٦ | رحمه الله |
| | الخبر عن دولته امير المؤمنين عبد الواحد المخاوع ابن يوسف بن عبد |
| ٢٢٩ | المومن رحمه الله |
| ٢٣١ | الخبر عن دولة ابي محمد عبد الله العادل ابن المنصور رحمه الله |

- ٢٣٣ الخبر عن دولة المأمون بن المنصور ومزاحمة يحيى بن الناصر له
 ٢٣٤ ثورة محمد بن ابي الطواجين الكتامي بجبال غمارة
 ٢٣٥ اخبار الثوار بالاندلس وما آل اليه امر الموحدين بها
 ٢٣٦ قدوم ابي العلاء بن المنصور من الاندلس الى مراکش وما اتفق له في ذلك
 ٢٤١ الخبر عن دولة ابي محمد عبد الواحد الرشيد بن المأمون بن المنصور رحمه الله
 ٢٤٣ فتنة الخياط مع الرشيد واستيلاؤهم على حضرة مراکش
 ٢٤٤ هجوم نصارى جنوة على مدينة سبنة وحصارهم اياها
 ٢٤٤ عود الرشيد الى مراکش وفرار يحيى عنها الى بنى معقل ومقتله بهم
 ٢٤٦ استيلاء العدو على قرطبة
 ٢٤٦ وفاة الرشيد رحمه الله
 ٢٤٧ الخبر عن دولة ابي الحسن السعيد علي بن المأمون بن المنصور رحمه الله
 نهوض السعيد من مراکش الى غزو الثوار بالمغربيين ومحاصرته
 ٢٤٨ يغمراسن بن زيان وما آل اليه الامر من مقتله رحمه الله
 الخبر عن دولة ابي حفص المرتضى بن السيد ابي ابراهيم بن يوسف
 ٢٥٢ ابن عبد المؤمن رحمه الله
 ٢٥٣ استيلاء العدو على اشبيلية
 ٢٥٤ رجوع الى اخبار عمر المرتضى
 ٢٥٦ انتفاض ابي دبوس على المرتضى واستيلاؤه على مراکش ومقتل المرتضى عقب ذلك
 ٢٥٨ رجوع الى اخبار ابي دبوس
 ٢٥٩ الخبر عن دولة ابي العلاء ادريس الواثق بالله المعروف بابي دبوس
 ٢٦١ وفاة الشيخ ابي العباس السبتي دفين مراکش رحمه الله
 ٢٦٢ وفاة الشيخ ابي اسحق البلقيني رحمه الله
 ٢٦٣ الشيخ ابو صالح دفين أسفى
 ٢٦٣ وفاة الشيخ عبد السلام بن مشيش رضى الله عنه

فهرس الاعلام والقبائل

| ابن برجان - ابو الحكم عبدالسلام | | حرف (ا) | |
|---------------------------------|--|------------------------|-------------------------------------|
| اللخمي ٧٦ ٧٧ ٢٠٧ | آدم عليه السلام ١٣٣ | ابن بشكوال ١٢٦ | آل البيت العبيديون ٢١٨ |
| ابن تميم الصنهاجي يحيى ٧٩ | آل زيان ٢٥١ | ابن جامع ١٠٨ | ابراهيم بن اسحق اللمتوني ٥٤ |
| ابن الجياني ١٠٧ | ابراهيم بن اسماعيل بن ابي حفص ٢٣٢ | ابن جنون ٧٣ | ابراهيم بن اسماعيل الخزرجي ٩٢ |
| ابن حبوس ٤٤ | ابراهيم بن تاشفين ٧١ ١٠٥ | ابن حزم ١٦٧ ١٨٠ | ابراهيم بن تاعماشت ٨٩ |
| ابن احماره ١٠٨ | ابراهيم بن جامع ١٠٧ | ابن الخطيب ٢٦ ٣٣ ٧٠ ٩٠ | ابراهيم بن ممشك ١٤٩ |
| ابن خلدون ٤ ٨ ١٠ ١٥ ١٦ | ابراهيم بن يحيى الكدالي ٦ | ٩٥ ٩٧ ١٨٨ ٢٠١ ٢١٧ ٢٢٥ | ابن ابي زرع ٢٩ ٣٥ ٤٩ ٥١ |
| ٢٣٥ ٢٥٩ ٢٦١ | ابن ابي زرع ٢٩ ٣٥ ٤٩ ٥١ | ابن خفاجة ٦٥ | ١٦٠ ١٥٨ ١٤٨ ٩٤ ٩٠ ٥٥ |
| ١٦ ١٥ ١٠ ٨ ٤ | ٢٠٣ ١٩٨ ١٨٨ ١٨٧ ١٨١ | ابن خلدون ٤ ٨ ١٠ ١٥ ١٦ | ٢٤١ ٢٣٩ ٢٢٩ ٢٢٥ ٢٠٥ |
| ٥٧ ٥٥ ٣٥ ٣٤ ٢٩ ٢٧ ٢٥ | ٢٥٨ ٢٥٧ ٢٥٠ | ٨٤ ٨٣ ٨٠ ٧٨ ٧٣ ٦٤ | ابن الاثير - عز الدين ٤ ٢٣ |
| ٩٨ ٩٧ ٩٠ ٨٩ ٨٦ ٨٥ | ٢٤٩ ٢٤٥ ٢٣٦ | ٩٩ ١٠٠ ١٠١ ١٠٣ ١٠٤ | ٣٥ ٣٧ ٤٠ ١٩١ ١٩٢ |
| ١٠٤ ١٠٣ ١٠١ ١٠٠ ٩٩ | ابن الاحمر محمد بن يوسف بن نصر ٢٤٩ ٢٤٥ ٢٣٦ | ١٥٢ ١٤٦ ١٣٦ ١١٩ ١١٦ | ١٨٥ ١٥١ ١٤٩ |
| ١٥٢ ١٤٦ ١٣٦ ١١٩ ١١٦ | ابن اذفونش ١٨٥ ١٥١ ١٤٩ | ١٧٦ ١٧٤ ١٧١ ١٦٦ ١٥٨ | ١٩١ ١٨٦ |
| ١٧٦ ١٧٤ ١٧١ ١٦٦ ١٥٨ | ابن الاطلس - عمر المتوكل على الله ٣٣ ٣٤ ٣٩ ٤٣ ٥٦ | ١٧٧ ١٧٩ ١٧٩ ١٧٩ ١٧٧ | ابن باجة - ابو بكر بن الصائغ ١٥٧ ٦٥ |
| ١٩١ ١٨٩ ١٨٣ ١٧٩ ١٧٧ | | ٢١٦ ٢٢١ ٢٢٩ ٢٥١ | |
| ٢١٦ ٢٢١ ٢٢٩ ٢٥١ | | ابن خلكان ٤ ٢١ ٣٥ ٤١ | |
| ٤٧ ٥٠ ٥٧ ٦٤ ٦٩ ٧٦ ٧٨ | | ٤٧ ٥٠ ٥٧ ٦٤ ٦٩ ٧٦ ٧٨ | |
| ٧٩ ٨٦ ٨٩ ٩٠ ٩٩ ١٠٠ | | ٧٩ ٨٦ ٨٩ ٩٠ ٩٩ ١٠٠ | |
| ١٤٤ ١٤٥ ١٥٦ ١٥٧ ١٨٥ | | ١٤٤ ١٤٥ ١٥٦ ١٥٧ ١٨٥ | |
| ١٨٩ ١٩٨ ١٩٩ ٢٠٠ ٢٠١ | | ١٨٩ ١٩٨ ١٩٩ ٢٠٠ ٢٠١ | |
| ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٦ ٢٢٥ | | ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٦ ٢٢٥ | |

| | |
|---------------------------------------|---|
| ابن القيسي ١٢٠ | ابن ذى النون - القادر ٣٣ ٤٤ |
| ابن الكلبي ١٧٩ | ابن ردمير ٣٥ ٦٥ ٦٧ |
| ابن مرج الكحل ٢١٧ | ابن رشيد ١٢٧ |
| ابن مردنيش ١٤٧ ١٤٩ | ابن رشيق البناء ٥٥ |
| ابن مرزوق - الخطيب ١٢٧ | ابن الرند ١٩١ |
| ابن مطروح القيسي ١٠٩ ١٥٦ | ابن الزيات ابو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي المراكشي ٧٤ |
| ابن منقذ ١٨٣ | ابن صاحب الصلاة ٨٢ |
| ابن المومياي ٢٤٦ | ابن صمادح ٤٤ ٥٥ |
| ابن النحوي - أبو الفضل يوسف | ابن عباد - المعتمد ٣١ ٣٢ ٣٣ |
| ابن محمد بن يوسف ٧٤ ٧٥ | ٣٤ ٣٥ ٣٧ ٣٨ ٣٩ ٤٠ ٤١ |
| ابن هود - محمد بن يوسف ٢٣٥ | ٤٢ ٤٤ ٤٥ ٤٦ ٤٧ ٤٨ ٤٩ |
| ٢٣٦ ٢٤٠ ٢٤٢ ٢٤٤ ٢٤٥ | ٥٠ ٥١ ٥٢ ٥٣ ٥٤ ٥٥ ٥٦ |
| ٢٤٩ | ابن عبد العزيز ٥٢ |
| ابن هود المستعين ٣٣ ٥٦ | ابن عبد العظيم الازموري ٢٥ |
| ابن اليسع ٢٥٧ | ابن عبد الملك ٧٧ ١٢٧ |
| ابن يغمور ٨٥ | ابن المنعم الحميري ٣٥ ٣٧ |
| ابو ابراهيم ١٠٧ ١٢٠ | ابن العريف - ابو العباس احمد |
| ابو ابراهيم اسحق بن عبد المؤمن | ابن محمد ٧٥ |
| الظاهر ٢٢٦ ٢٢٧ | ابن غانية - حياره بن اسحق ٢١٥ |
| ابو ابراهيم بن ابي حفص - أبو حافة ٢٤٤ | ابن غانية - عبد الله بن اسحق |
| ابو ابراهيم بن عبد المؤمن ١٤٧ | المسوفي ٢١٧ |
| ابو احمد بن عطية ١٣١ | ابن غانية - علي بن اسحق المسوفي |
| ابو اسحق ابراهيم بن محمد السليمي | ١٥٩ ١٦٠ ١٦٨ ١٨٤ ١٩٣ |
| البلفيقي ٢٦٢ | ابن غانية - محمد بن علي بن يحيى |
| ابو اسحق ابراهيم بن يعقوب | المسوفي ٦٨ ١٥٩ |
| الكانمي ١٩٧ | ابن غانية - يحيى بن اسحق المسوفي |
| ابو اسحق ابراهيم بن يوسف ابن | ٢١٤ ٢١٦ ٢١٧ ٢٢٧ |
| قرقول ٢٠٩ | ابن غانية - يحيى بن علي المسوفي |
| ابو اسحق بن ابي ابراهيم ٢٥٣ | ١٠٧ ١١٤ ١١٨ |
| ابو اسحق بن ابي ابراهيم بن يوسف | ابن الفخار ١٨٦ |
| ابن عبد المؤمن ٢٤٦ | ابن قتيبة ٩٨ |

- ابو اسحق بن جامع ٢٢٩
 ابو اسحق بن عبد المومن ١٤٧ ١٥٣
 ابو اسحق بن المنصور ٢٢٦
 ابو اسحق بن يوسف بن عبدالمومن ١٥٥ ١٥٤
 ابو الانصار عبد الله بن ابي غفير ١٧
 ابو بكر رض ١٦٤
 ابو بكر بن باجة - بن الصائغ ١٥٧
 ابو بكر بن اجد ١١٩ ٢٠٢
 ابو بكر بن جيش الباجي ١٢٣
 ابو بكر بن زهير ٢٠١ ٢٠٢
 ابو بكر بن زيدون ٣٩
 ابو بكر بن عبد الحق ٢٤٧ ٢٤٩
 ٢٥٠ ٢٥٢ ٢٥٣ ٢٥٥
 ابو بكر بن العربي المعافري - الامام ٥٨
 ابو بكر بن عمر اللمتوني ١٣ ١٤
 ١٥ ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٣
 ابو بكر بن علي بن يوسف بن
 تاشفين ٨٩ ٩٤
 ابو بكر بن غازي ١٧٢
 ابو بكر بن القصيرة ٤١ ٤٥
 ابو بكر بن ماخوخ ١٠٥
 ابو بكر بن مزدلي ١٠٤
 ابو بكر بن يوسف بن تاشفين ٤٩
 ابو بكر الطرطوشي ٥٥ ٧٩
 ابو بكر عبد الله بن ادهم ٣٩ ٤٠
 ابو بكر بن طفيل القيسي ١٢٣
 ١٢٧ ١٥٧ ٢٠٢
 ابو بكر يحيى بن مجير ١٥٦
 ابو ثابت المريني ١٦٩
- ابو جعفر احمد بن عطية ٧١ ١١١
 ١١٩ ١٢٢ ١٢٤ ١٣١ ١٣٢
 ١٣٤ ١٤٥
 ابو الحرث عبد الرحمن بن منقذ ١٨٢
 ابو حامد الغزالي - الامام ٥٥ ٥٧
 ٧٤ ٧٥ ٧٨ ٧٩ ٨١ ٩٠
 ١١٧ ٢١٠
 ابو الحجاج الميطي ٢٠٩
 ابو الحجاج يوسف بن قادس ٢٢٢
 ابو الحجاج يوسف بن عمر ١٤٦
 ابو الحجاج يوسف بن سليمان ١٢٣
 ابو الحسن بن ابي حفص ١٨١
 ابو الحسن بن ابي سعيد ١٧٥
 ابو الحسن بن غالب ٢١٢
 ابو الحسن بن المنصور ٢٣٠
 ابو الحسن بن يعلو ١٧١ ٢٥٤
 ابو الحسن السعيد علي بن المامون
 ابن المنصور ٢٤٧ ٢٤٨ ٢٥٠
 ٢٥٢
 ابو احسن السلوي ٢١٢
 ابو الحسن عبد الملك بن عياش
 ١٢٣ ١٩٦ ٢٠٢
 ابو الحسن علي بن حرزهم ٧٤
 ٧٦ ٢٠٧ ٢١٢
 ابو الحسن علي بن خلف القرشي ٢١٠
 ابو الحسن علي بن العزيز الجرجاني ١٧٠
 ابو الحسن علي بن عبد الله الميطي ٢٠٩
 ابو الحسن علي بن عبد المومن ١٢٣
 ١٥١

| | |
|------------------------------------|----------------------------------|
| ابو خرز يخلف بن خرز الاوربي ١٨٨ | ابو الحسن اللخمي ٧٤ |
| ابو الخطاب بن دحية ٢٤ ٢٠٠ | ابو الحسن المريني ١٢٩ ٢٥١ |
| ابو داود ٢٤١ | ٢٥٤ ٢٥٢ |
| ابو الربيع بن ابي حفص ١٩٣ ٢٣٠ | ابو الحسن علي بن يوسف بن |
| ابو الربيع بن عبد الله بن عبد | تاشفين امير المسلمين ٢٥ ٦١ |
| المومن ١٥٩ | ٦٢ ٦٣ ٦٥ ٦٧ ٦٨ ٦٩ ٧٠ |
| ابو الربيع بن عبد المومن ١٨٠ | ٧٢ ٧٥ ٧٦ ٨٣ ٨٤ ٨٥ ٨٦ |
| ابو زكرياء بن ابي حفص بن عبد | ٩٠ ٩١ ٩٣ ١٠٣ ١٥٩ |
| المومن ١٥٨ ٢٢٤ | ابو حسون الوطاسي ١٧٦ |
| ابو زكرياء بن عبد المومن ١٤٧ | ابو الحسن بن منصور ١٨٠ |
| ١٤٩ ١٥١ ١٥٣ | ابو حفص بن يعقوب بن عبد |
| ابو زكرياء يحيى بن الشهيد ٢٣١ | المومن ١٨٠ |
| ٢٣٢ ٢٣٤ | ابو حفص عبد الله بن ابي الانصار |
| ابو زكرياء يحيى بن عبد الواحد | ١٨ |
| ابن ابي حفص ٢٢٨ ٢٣٦ ٢٤٠ | ابو حفص عبد الله بن تافراكين ١٢٤ |
| ٢٤٨ ٢٤٧ ٢٤٥ | ابو حفص عمر بن عبد المومن ١٢٣ |
| ابو زكرياء يحيى بن عمر الممتوني ١٣ | ١٢٥ ١٤٥ ١٤٦ ١٤٩ ١٥٠ |
| ابو زكرياء يحيى بن احمد بن يحيى | ١٥٢ ١٥١ |
| ابن محمد بن عبد الملك بن طفيل ١٢٧ | ابو حفص عمر بن علي الصناكسي |
| ابو زيد بن ابي ابراهيم بن يوسف | ٨٥ ٩٢ |
| ابن عبد المومن ٢٤٧ | ابو حفص عمر بن واكالك ٧٣ ١٠٩ |
| ابو زيد بن ابي حفص بن عبد | ابو حفص عمر بن يحيى الهنتاني ٧١ |
| المومن ١٥١ ١٦٠ ٢١٥ | ٧٢ ٨٥ ٩٢ ١٠١ ١٠٥ ١٠٧ |
| ابو زيد بن ابي عبد الله محمد ٢٣٠ | ١٠٨ ١١١ ١١٣ ١١٤ ١١٩ |
| ٢٣١ ٢٣٢ ٢٣٥ | ١٢٠ ١٢٢ ١٣١ ١٣٦ ١٤٢ |
| ابو زيد بن ادريس ٢٢٨ | ١٤٦ ١٤٨ ١٥١ |
| ابو زيد بن المنصور ١٩٣ | ابو حفص عمر المرتضى الموحدى |
| ابو زيد بن يرجان ٢٢٦ ٢٢٧ | ١٧١ ١٧٣ ١٧٥ ٢٢٦ ٢٤٧ |
| ٢٢٩ ٢٣٠ ٢٣٢ ٢٣٤ | ٢٥٢ ٢٥٣ ٢٥٤ ٢٥٥ ٢٥٦ |
| ابو زيد بن يعلو الكومي ٢٥٨ | ٢٥٧ ٢٥٩ |
| ابو زيد بن يكيث ١٢٣ ١٤١ ٢٥٧ | ابو الحكام بن بطال ١٢٥ |
| ابو زيد عبد الرحمن بن الخطيب | ابو الحكم بن يرجان ٧٦ ٧٧ |
| السهيلى ٢١١ | ٢٠٧ |

- ابو زيد عبد الرحمن بن عبد الواحد
 ابن ابي حفص ٢٢٧ ٢٢٢
 ابو سالم المري ١٧٢ ١٧٦
 ابو سعيد بن ابي حفص ٢١٧
 ابو سعيد بن ابي الربيع ٢٦٠
 ابو سعيد بن جامع ٢٢١ ٢٢٢
 ٢٢٦ ٢٢٣ ٢٢٩ ٢٣٠
 ابو سعيد بن وانودين ٢٤٠ ٢٤٢
 ابو سعيد بن يعقوب ١٧٥
 ابو السعيد عثمان بن عبد المومن
 ١٢٢ ١٢٣ ١٢٥ ١٢٧ ١٤٧
 ١٤٩ ١٥١
 ابو سعيد يخلف بن الحسن ١٢٣
 ابو سليمان داود بن عائشة ٤٤
 ابو شعيب ايوب السارية ٧٧
 ٢٠٦ ٢١٣
 ابو الشيبص الخزاعي ١٠٠
 ابو صبيح طريف البرغواطي ١٦
 ابو الطاهر تميم بن يوسف بن
 تاشفين ٦١ ٦٣ ٦٤ ٦٨
 ابو طالب عقيل بن عطية ١٣٤
 ابو الطيب المتنبي ٢٣٢
 ابو عامر بن الجد ١٢٥
 ابو العباس احمد بن جعفر الخزرجي
 السبتي ٢٦١
 ابو العباس احمد بن رميلة القرطبي
 ٤٨ ٤٥
 ابو العباس احمد بن عبد السلام ٢٠٠
 ابو العباس احمد بن عبد السلام
 الكرواني ١٥٧
 ابو العباس احمد المنصور السعدي
 الذهبي ١٣٠ ١٧٦ ٢٠٢
 ابو العباس بن ابي عمران ٢٣٥
- ابو العباس بن العريف ٢١٠
 ابو العباس المقرئ ٢٦ ١٩٧
 ٢٠٢ ٢٠٤
 ابو عبد الله احمد المستظهر بالله
 العباسي ٥٨ ٦٠
 ابو عبد الله اكنسوس ٢٤٦
 ابو عبد الله بن ابي حفص ١٩٣
 ابو عبد الله بن ابي حفص بن عبد
 المومن ٢١٨
 ابو عبد الله بن اصبح - ابن
 المناصف ٧٤
 ابو عبد الله بن الصقر ٢٠٢
 ابو عبد الله بن صنايد ١٨٧ ١٨٩
 ابو عبد الله بن يوسف بن عبد
 المومن ١٥٤
 ابو عبد الله التاودي - المعلم ٢١٠
 ابو عبد الله الدقاق ٢١٢
 ابو عبد الله عبد العزيز بن شداد ٧٩
 ابو عبد الله محمد بن ابراهيم ١٤٧
 ابو عبد الله محمد بن ابراهيم بن
 جامع ١٥٤ ١٦٠
 ابو عبد الله بن ابراهيم المهدوي ٢١٣
 ابو عبد الله محمد بن اسحق
 امغار ٢٦
 ابو عبد الله محمد بن تيفاوت ٥
 ابو عبد الله محمد بن الحاج
 اللمتوني ٥٦ ٦٣ ٦٤
 ابو عبد الله محمد بن زلفي ٦٣
 ابو عبد الله محمد الطلاع ٧٤
 ابو عبد الله محمد بن عبد المومن ١٢٣
 ١٤٤ ١٤٦
 ابو عبد الله محمد بن علي بن
 مروان ١٩٩

- ٢٥٧ ٢٥٦ ٢٥٤ ابو دبوس
 ٢٦٠ ٢٥٩ ٢٥٨
 ٢٤٨ ٢٤٥ ابو علي بن خلاص
 ٢٤٥ ابو علي بن عبد العزيز
 ٢٤٩ ابو علي بن منصور بن حرزوز
 ١٤٨ ابو علي الحسن بن عبد المؤمن
 ١٥١
 ابو علي منصور بن ابراهيم المسطاسي
 ٢٠٦
 ابو عمران الفاسي ٦ ٧
 ١٥١ ابو عمران بن عبد المؤمن ١٥٠
 ابو عمر بن الجند ٢٤٥
 ابو عمران موسى بن ثمار ٩٢
 ابو عمرو بن حجاج ٢٥٥
 ابو عمر بن دحية ٢٠٠
 ١٧٦ ابو عنان المريني ١٧٢ ١٧٣
 ابو عياد ١٧١
 ابو عياد بن يحيى بن حمامة ٢٥٠
 ابو غفير محمد بن معاد البرغواطى
 ١٧
 ١١٨ ابو الغمر بن عزرون ١١٦
 ١١٩
 ابو الفتوح الحسنى ١٦٧
 ١٧٢ ابو الفضل بن ابي سالم المريني
 ابو الفضل بن طاهر ٢٠٢
 ١٧٦ ابو الفضل بن عبد العزيز المريني
 ابو الفضل التيفاسي ٢٠١
 ابو الفضل عياض بن موسى (القاضي)
 ٢٠٦ عياض ١١٥ ١١٤ ١٠٤
 ٢٦١ ٢٠٩
 ابو القاسم بن حمد بن ٧٥ ٧٧
 ابو القاسم بن محمد الوزير الغساني
 ٢٠٢
 ١٩٩ ابو عبد الله محمد بن عذارى
 ٦٦ ابو عبد الله محمد بن فاطمة
 ابو عبد الله محمد بن فرج
 الكومي ١٣٩
 ٢٢٦ ابو عبد الله محمد بن المنصور
 ابو عبد الله محمد بن يحيى - ابن
 البراء ٥٩
 ابو عبد الله محمد التيفاسي ١٤٥
 ابو عبد الله محمد العياشي ١٧٧
 ابو عبد الله محمد الناصر بن
 المنصور ١٠٦ ١٧٢ ١٩٥ ٢٠٣
 ٢١٤ ٢١٥ ٢١٧ ٢١٨ ٢١٩
 ٢٢١ ٢٢٣ ٢٢٤ ٢٢٥ ٢٢٦
 ٢٢٩
 ابو عبد الله اليفرينى ١٣٠
 ابو عثمان سعيد بن زكرياء
 القدميوى ٢٤٣
 ابو عثمان سعيد بن ميمون
 اصنهاجى ١٢٣
 ابو عطية بن مهلهل الخلطي ١٧٥
 ابو عقيل بن عطية ١٣٢ ١٣٤
 ابو العلاء ادريس ٢٤٥
 ابو العلاء ادريس الاصغر المأمون
 ابن المنصور ١٦٨ ١٧١ ١٧٣
 ١٧٤ ٢٣٠ ٢٣١ ٢٣٢ ٢٣٣
 ٢٣٤ ٢٣٥ ٢٣٦ ٢٣٨ ٢٣٩
 ٢٤٠ ٢٤١ ٢٤٢ ٢٤٣
 ابو العلاء ادريس الاكبر بن يوسف
 ابن عبد المؤمن ٢١٧ ٢٢٧
 ابو العلاء المعري ٩٨
 ابو العلاء الواثق بالله ادريس بن
 محمد بن عمر - ابن عبد المؤمن

| | |
|-------------------------------------|---------------------------------|
| ابو محمد عبد الله العادل بن المنصور | ابو القاسم التجيبي ١٢٧ |
| ١٧٤ ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٣١ ٢٣٢ | ابو القاسم عبد الرحمن ابراهيم |
| ٢٣٣ | الخزرجي ٢٦١ |
| ابو محمد عبد الله بن عبد المومن | ابو القاسم علي بن احمد الجرجاني |
| ١٢١ ١٢٣ ١٤٦ | ١٦٤ |
| ابو محمد عبد الله الونشريسي | ابو الكمال تميم بن زيري اليفرنى |
| البشير ٨٢ ٨٣ ٨٨ ٨٩ | ١٨ |
| ٩٣ ٩٤ | ابو محمد بن عبد الله بن ابي حفص |
| ابو محمد عبد المجيد بن عبدون ٥٦ | ابن عبد المومن البياسى ٢٣٠ |
| ابو محمد عبد المومن بن علي ٧٠ | ابو محمد بن ابي حفص الهنتاني |
| ٧١ ٧٢ ٧٣ ٨١ ٨٢ ٨٩ ٩٢ | ١٤١ ١٥٨ ١٨٩ ٢١٥ ٢٢٠ |
| ٩٤ ٩٧ ٩٩ ١٠٠ ١٠١ ١٠٢ | ٢٢٦ ٢٢٧ |
| ١٠٣ ١٠٥ ١٠٦ ١٠٧ ١٠٨ | ابو محمد بن ابي حفص بن عبد |
| ١٠٩ ١١١ ١١٢ ١١٣ ١١٤ | المومن ١٥٢ |
| ١١٥ ١١٦ ١١٧ ١١٩ ١٢٠ | ابو محمد بن حامد الكاتب ٤ |
| ١٢١ ١٢٢ ١٢٣ ١٢٥ ١٢٦ | ابو محمد بن عطوش ١٦٠ |
| ١٢٧ ١٢٨ ١٣١ ١٣٢ ١٣٤ | ابو محمد بن يونس ٢٥٣ |
| ١٣٥ ١٣٨ ١٣٩ ١٤٠ ١٤١ | ابو محمد الحسن بن علي اليازورى |
| ١٤٢ ١٤٣ ١٤٤ ١٤٥ ١٤٦ | ١٦٥ ١٦٤ |
| ١٤٧ ١٥٢ ١٥٧ ١٩٥ ٢١٤ | ابو محمد سعيد بن المنصور ٢٤٢ |
| ابو محمد بن يونس ٢٥٣ | ٢٤٥ |
| ابو محمد عبد الواحد بن ابي حفص | ابو محمد صالح الدكالى ٢٦٣ |
| ٢١٥ | ابو محمد عبد السلام بن مشيش |
| ابو محمد عبد الواحد بن يوسف | ٢٦٣ ٢٣٥ |
| ٢٢٩ | ابو محمد عبد الحق بن عبد الحق |
| ابو محمد عبد الواحد الحضرمى ٩٢ | ٢٣٩ |
| ابو محمد عبد الواحد الرشيد بن | ابو محمد عبد الحق بن وانودين |
| المأمون بن المنصور ١٧٣ ٢٢٩ | ١٢٣ |
| ٢٤٢ ٢٤٣ ٢٤٤ ٢٤٥ ٢٤٦ | ابو محمد عبد الحلیم المراسى |
| ابو محمد المعتز بالله ١٢ | (انغاماد) ٢١١ |
| ابو مدين شعيب بن الحسن الانصارى | ابو محمد عبد الله بن سليمان ١٢٣ |
| ٢١٢ ٢١٣ ٢٥٢ | ابو محمد عبد الله بن سليمان |
| ابو مروان عبد الملك المصودى ٤٨ | الانصارى - ابن حفص الله ٢١٧ |

| | |
|----------------------------------|--------------------------------|
| ابو مسلم الخراساني ٩٤ | ابو ينور الدكالي ٢١٤ |
| ابو مسلم وزير يعقوب بن محمد | ابو ينور المشتراي ٧٧ |
| ابن قيطون ٢٥٤ | ابو يوسف يعقوب بن ابي حفص |
| ابو المعز تاشفين بن علي اللمتوني | عمر بن عبد المومن ١٦٠ |
| ٦٩ ٧٠ ٧١ ٧٢ ١٠٣ ١٠٤ | ابو يوسف يعقوب - المنصور - |
| ١٠٥ ١٠٧ ١١١ ١١٥ | ابن يوسف - ابن عبد المومن ٢٦ |
| ابو منصور عيسى بن ابي الانصار ١٧ | ١٠٧ ١١٩ ١٥٦ ١٥٧ ١٥٨ |
| ابو موسى بن ثمار ٩٢ | ١٥٩ ١٦٠ ١٦٨ ١٨٠ ١٨٢ |
| ابو موسى عمران بن المنصور ٢٣٠ | ١٨٤ ١٨٥ ١٨٦ ١٨٧ ١٨٨ |
| ٢٤٠ | ١٨٩ ١٩١ ١٩٢ ١٩٣ ١٩٤ |
| ابو موسى بن عزرون الهنتاني ٢٥٨ | ١٩٥ ١٩٦ ١٩٧ ١٩٨ ١٩٩ |
| ابو هاشم بن المعتمد بن عباد ٤٦ | ٢٠١ ٢٠٢ ٢٠٣ ٢٠٤ ٢٠٥ |
| ابو الوليد الباجي ٥٩ | ٢١٣ ٢١٤ ٢١٧ ٢١٨ ٢٢٦ |
| ابو الوليد بن رشد - الحفيد ٦٨ | ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٤١ |
| ١٥٧ ١٩٣ ٢٠١ ٢٠٢ ٢٦١ | الاتراك ٢٣٠ |
| ابو يحيى بن ابي حفص ١٨٨ | الايبيج ١٧٠ |
| ١٨٩ ١٩٠ | احمد بن ابراهيم ١٧٥ |
| ابو يحيى بن تاشفين ٦٧ | احمد بن خراسان ١٣٦ |
| ابو يحيى علي بن ابي عمران | احمد بن يوسف المستعين بالله ٦٦ |
| التينملي ٢١٨ | احمد الصقلي ١٦٠ |
| ابو يحيى بن يكيث ٨٥ | اخضر بن عامر ١٧٩ |
| ابو يعزى يلنور بن ميمون ٢١٠ | اخو القمط ٢٥١ |
| ٢١٢ ٢١٣ | الادارسة ١٧ |
| ابو يعقوب يوسف بن عبد المومن | ادريس بن عبد الحق المريني ١٦٩ |
| ١٢٧ ١٢١ ١٤٥ ١٤٦ ١٤٧ | الاذفونش ٣٤ ٣٧ ٣٨ ٣٩ |
| ١٤٩ ١٥٠ ١٥٢ ١٥٣ ١٥٦ | ٤٠ ٤١ ٤٢ ٤٣ ٤٤ ٤٥ |
| ١٥٧ ١٥٨ ١٥٩ ٢٠٥ | ٤٧ ٤٨ ٤٩ ٥٠ ٥٢ ٥٣ ٥٤ |
| ابو يعقوب يوسف بن علي البتلي ٢١١ | ٦٥ ١٨٦ |
| ابو يعقوب يوسف بن محمد بن | اذفونش بن بطرة ٦٤ |
| يعقوب بن المنصور - المنتصر بالله | اذفونش بن سانجة ١٥٣ |
| ٢٢٦ ٢٢٨ ٢٢٩ ٢٣٠ | اساري الاتراك ٢٠٦ |
| ابو يعقوب يوسف بن يحيى التادلي | اساري الفرنج ١٩٥ |
| ابن الزيات ٢٦٢ | اسحق بن ابي ابراهيم ٢٦٠ |

| | |
|------------------------|----------------------------|
| اهل تكرارت ١٠٦ | اسحق بن علي اللمتوني ١٣١ |
| اهل تامسنا ١٧ | اسحق بن علي بن يوسف ٧٠ |
| اهل تلمسان ٢١٣ | ١٠٩ ٧٤ ٧٢ |
| اهل تونس ١٣٦ ٢١٤ ٢١٦ | الاسماعلية ١٦٢ |
| اهل جبل درن ٧٠ | اسماعيل بن ابراهيم ١٦٢ |
| اهل الجزيرة ٤١ | اسماعيل بن الشريف - ملك |
| اهل درعة ١٢ | المغرب ٢٦ |
| اهل درن ٩٣ | الاشراف الزيدانيون ١٣٠ |
| اهل الدمنة ٣٠ | الاشعرية ٨٢ ٨٠ |
| اهل زويلة ١٣٥ | الاصبنيول ٢٥٣ ٦٤ |
| اهل سبتة ١٠٨ ١١٤ ١١٥ | الاغزاز ٢٧ ١٥٤ ١٨٧ ١٨٩ |
| ٢٤٨ | ٢٥٤ |
| اهل سجلماسة ١٢ ١٠٧ ١١١ | الافرنج ٣٢ ٣٥ ٣٧ ٤٠ ٤١ |
| اهل سلا ١١٠ | ٤٢ ٤٤ ٥٠ ٥٤ ٥٦ ٦٣ |
| اهل السنة ١٦٤ | ٦٥ ٦٦ ٦٨ ٦٩ ١٢٢ ١٣٥ |
| اهل السوس الاقصى ١٨٠ | ١٣٧ ١٣٨ ١٣٩ ١٤٧ ١٤٩ |
| اهل شاطبة ٢٣٥ | ١٥٥ ١٨١ ١٨٢ ١٨٤ ١٨٥ |
| اهل شريس ١١٧ | ١٨٦ ١٨٩ ١٩٢ ٢٢٣ ٢٢٤ |
| اهل شلب ١٢٠ | ٢٣١ ٢٣٧ ٢٤٤ ٢٥٤ |
| اهل الصحراء ٥٧ | افريقش ٣ |
| اهل العدوتين ٧٠ | امراء الاندلس ٥١ ٦٧ |
| اهل فاس ٢١٣ | امراء الطوائف ٦٠ |
| اهل قرطبة ٤٠ ١١٨ ٢٣٦ | امم الاندلس ٥ |
| اهل القيروان ٢١٥ | الاموية ١٧ |
| اهل لبلة ١٢٥ | الياس بن صالح البرغواطى ١٦ |
| اهل مدائن مكناسة ٢٨ | اهل اشبيلية ١١٧ ٢٤٥ ٢٤٨ |
| اهل مراکش ٧٠ ١٣١ ٢٤٦ | اهل اغمات ٩٣ |
| اهل المشرق ٢٠٤ | اهل افريقية ١٢١ ١٣٧ |
| اهل المغرب ٣٦ ٨٠ ٨٣ ٩٩ | اهل الاندلس ٣٣ ٣٦ ٣٧ ١١٩ |
| ٢١٠ ٢٠٤ ١٦٩ | ١٢٦ ١٨٤ ١٨٧ ٢٢٢ ٢٣٣ |
| اهل مكناسة ٢٤٧ | ٢٣٥ |
| اهل المهديّة ١٢٨ | اهل بطليوس ١٤٨ |
| اهل نفيس ١١٣ | اهل البيت ٨١ ٩٧ |

بنو جرْمون ١٧٣
 بنو جشم ١٦٣ ١٦٥ ١٦٨
 ١٧١ ١٧٠
 بنو جعفر بن ابي طالب ١٧٩
 بنو الحرث ١٦٣ ١٧٩
 بنو حسن ١٧٧
 بنو الحسن ١٧٩
 بنو حمامة المريسيون ١٦٩ ٢٤٦
 بنو حمود ٢٨ ٣٠
 بنو خزروج بن فلفل المغربيون ١٢
 بنو دخير ٣
 بنو دريد ١٦٧
 بنو الرند ١٥٢
 بنو رهينة ٣٠
 بنو رياح ١٦٩
 بنو زغبة ١٥٨
 بنو زياد ٣
 بنو زيري بن مناد الصنهاجي ١٢٠
 ١٦٤ ١٥٢ ١٣٥
 بنو سعيد ٢٣٤
 بنو سليم ١٦٣ ١٦٦ ١٧٨
 ١٧٩
 بنو الشهيد ١٩٠
 بنو صبيح ٢١٠
 بنو عابد ٩٩
 بنو عامر ١٧٧
 بنو العباس ٥٨ ١٠٩ ٢٣٠
 ٢٤٩
 بنو عبد الحق ٢٥٣
 بنو عيد المدائن ١٨٠
 بنو عبد المؤمن ٩٩ ١٠٠ ١٥٢
 ٢٤٨ ٢٤٦ ٢٣٠ ٢٢٨ ١٧٢
 ٢٦٠

اوربة ١٤٧ ١٥٤
 اولاد جرْمون ١٧٢
 اولاد مطاع ١٧٤ ١٧٧
 اويس القرني ٢١٠

حرف (ب)

باديس بن حبوس الصنهاجي ١١٨
 البتر ١٠١
 البجلية ١٤
 البخاري ٢٤١
 بدران بن محمد المسوفي ١١٦ ١١٨
 براهرة صناكة ١٧١
 البرانس ٩١
 البربر - البرابر ٣ ٤ ١٥ ١٧
 ٣٢ ٨٢ ٨٤ ١٠٣ ١٤٤ ١٥٤
 ١٦١ ١٧١ ١٧٢
 برغواطة ١٤ ١٥ ١٧ ١٨ ١٩
 ٧٨ ١٠٨ ١١٣ ١١٤
 البرعانس ٣٥ ٦٦
 البشنكس ٣٢
 بكار بن ابراهيم ٢٧
 بلكين بن زيري بن مناد الصنهاجي
 ١٧
 بنو اذفونش ٦٤
 بنو امغار ٢٥
 بنو أمية ١٠٩ ١٢٦
 بنو باداسن ٢٥٣
 بنو بادس ٥٣
 بنو توجين ١٠٤
 بنو جابر ١٧١ ١٧٢ ٢٥٣ ٢٥٤
 ٢٥٧ ٢٥٥
 بنو جامع ١٥٢
 بنو الجراح ١٦٧

| | |
|-------------------------------|-----------------------------|
| بنو ومانو ١٠٤ ١٠٥ | بنو عبد الواد ١٠٤ ١٠٦ ١٧٥ |
| بنو يادين ١٠٦ | ٢٥٢ ٢٥١ ٢٥٠ |
| بنو يحفش ٢٧ | بنو عبيد ١٦٤ |
| بنو يدر ٢٥٤ | بنو عسكر المريونيون ١٦٩ |
| بنو يزناسن ٢٥٢ | بنو عطية المغراويون ١٢ |
| بنو يعلى بن محمد بن صالح ١٨ | بنو عطوش ٢٥٨ |
| بنو يفرن ١٥ ١٨ ٢٠ ٢٢ | بنو عقيل ١٧٠ |
| ٢٩ ٢٣ | بنو عفو ١٧٠ |
| بنو يلومي ١٠٤ ١٠٦ | بنو غانية المسوفيون ١٥٩ ٢١٧ |
| البيروج ١٩١ ٢٢١ | بنو فاتن ١٤٢ |
| بهلولة ٢٧ | بنو فشتال ٣ |
| | بنو قرة ١٧٠ |
| | بنو كعب بن سليم ١٧٨ |
| | بنو مدرار المكناسيون ١٢ |
| | بنو مراسن ٢٩ |
| حرف (ت) | بنو مريسن ١٠٦ ١٠٨ ١٦٩ |
| تابوت بنى اسرائيل ١٢٩ | ٢٢٧ ٢٢٦ ١٧٥ ١٧٣ ١٧١ |
| تاشقين بن ماخوخ ١٠٥ | ٢٥٠ ٢٤٩ ٢٤٧ ٢٤٦ ٢٣٤ |
| الترمذي ٢١٢ | ٢٥٥ ٢٥٤ ٢٥٣ ٢٥٢ ٢٥١ |
| تكرارين ١٧٧ | ٢٦٠ ٢٥٩ |
| تلجين بن علي ١٨٨ | بنو معاوية ١٧٠ |
| تميم بن بلكين ٥٣ ٥٥ | بنو معقل ١٧٥ ١٧٨ ١٧٩ |
| تميم بن المعز الصنهاجي ٤٩ | بنو معنصر المغراوي ٢٨ |
| تميم بن معنصر المغراي ٢٨ | بنو مكود ٣٠ |
| تميم بن يوسف ٣٠ | بنو المنصور ٢٢٩ |
| تولى اليحفسي ٢٧ | بنو منقذ ١٨٢ |
| | بنو موسى ٣ |
| حرف (ث) | بنو هلال ١٦٣ ١٦٤ ١٦٨ ١٦٩ |
| الثعالبة ١٠٠ ١٨٠ | ١٧٩ ١٧٠ |
| تعلب بن سجير ١٨٠ | بنو هود الجداميون ٦٦ ٢٣٥ |
| ثمود ١٣٣ | بنو وارث ٣ |
| | بنو ورتنطو ٥ |
| حرف (ج) | بنو ورياكل ٨٠ |
| جابر بن جشم ١٧١ | |
| جابر بن يوسف العبد الوادي ١٨٨ | |

حسين بن منصور ١٨٠
حمير ٣ ٤
حنظلة بن صفوان الكلبي ١٦

حرف (خ)

خالد بن الوليد ١١١
خرزون بن فلغل بن خزر المغراوي ١٢
الخلط ١٧٠ ١٧٣ ١٧٤ ١٧٥
١٧٧ ٢٢٢ ٢٣٤ ٢٣٧ ٢٤٣
٢٤٤ ٢٤٥
الخنساء ١٦٣
اخيفقان ٢٥٨

حرف (د)

داود بن عائشة ٣٠ ٤٦
دريد بن الصمة ١٦٣
دكالة ٧٧
الدولة الاموية ١٢
دولة الامويين ٣٠
دولة بني الاحمر ٢٥٣
دولة بني امية ٣٣
دولة بني الرند ١٥٣
دولة بني العباس ١٦٣
دولة بني عبد المومن ٢٦٠
دولة بني مرين ٢٦
دولة الترك ١٧٦
دولة بني زيري ٣
الدولة الحمودية ٣٣
الدولة السعدية ٢٦
دولة الشرفاء السعديين ١٧٦
دولة صنهاجة ١٥٢

جازية بنت سرحان ١٦٦ ١٦٧
جرمون بن رياح ١٨٨ ١٨٩
جرمون بن عيسى السفياي ١٧٢
١٧٣ ٢٣٢ ٢٤٠ ٢٤٤
جزولة ١٤ ٢٠ ٢٧
جشم ١٦٨ ١٧٠ ١٧٢ ٢٣٢
٢٤٧
جعفر بن ابي طالب ١٧٩
جعفر الصادق ٩٨
جلال بن محمد ١٨٠
الجلالقة ٣٢ ٤٢ ٦٤
جهينة ١٧٩
الجوعري ٢٠٥

حرف (ح)

الحاجب سكوت البرغواطي ٣٠
حاجة ١٤
الحرث ١٧٤
الحرث بن ظالم ٢٣٩
الحرث بن العزيز الصنهاجي ١٠٨
حباب ٢٤٢
الحجاج بن يوسف ٢٣٣
الحجاف بن حكيم ٢٣٩
حسان بن مختار ١٨٠ ٢٣٦
حسن بن زيد ١٧١ ٢٤٥
الحسن بن سرحان ١٦٦ ١٦٨
الحسن بن علي الصنهاجي ١٢٠
١٣٥ ١٣٦ ١٣٧ ١٣٩
الحسن بن عمر ١٧٢
الحسين بن علي ١٣٣
حسين بن علي الورديفي ١٧٢
حمامة بن مطهر ١٠٤ ١٠٦

| | | | | | | | |
|-----|-----|-----|-------------------|-----|----|----|----------------------------|
| ٤٥ | ٤٤ | ٤٢ | الصحراويون | ٣١ | ٣٠ | ٢٨ | سكوت البرغواطى |
| | | | صدينة ٢٧ | | | | السلطين ١٢٢ |
| | | | صطفورة ٩٩ | | | | سليمان بن ابراهيم ١٧٥ |
| | | | انصفرية ١٥ | | | | سليمان بن خلوف ٩٢ |
| | | | الصقالبة ٣٠ | ٩٠ | | | سليمان بن عبد الله الكامل |
| | | | صناكة ١٧١ | ١٠٦ | | | سليمان بن محمد بن وانودين |
| | | | صنم قادس ٢٠٦ | | | | سنة الاحماس ٢٠٥ |
| ١١ | ١٠ | ٩ | ٥ | ٤ | ٣ | | سنة اكرواو ١٨٤ |
| ٧٨ | ٧٠ | ٤٧ | ٣٥ | ٢٧ | ٢٠ | ١٩ | سنة المشعلة ٢٢٧ |
| ١٤٨ | ١٤٧ | ١٣٧ | ١٢١ | ١٠٥ | | | سير بن ابى بكر الممتونى ٢٣ |
| | ٢٢٠ | ١٦٥ | ١٥٤ | ١٥٢ | | | ٣٠ |
| | | | | | | | ٥٥ ٥٤ ٥٣ ٥١ ٥٠ |
| | | | صنهاجة آزموور ١٥٦ | | | | ٦٥ ٥٦ |
| | | | | | | | سير بن الحاج ١٠٦ ٧٣ |

حرف (ض)

ضرى بن زجيك ٩٩

حرف (ط)

الطالبيون ١٧٩
 طاهر بن كباب ١٠٥ ٧٠
 طيبى ١٦٧

حرف (ظ)

الظاهرى العبيدى ١٦٤

حرف (ع)

عامر الزعيم ١٨٩ ١٩٠
 العاصم ١٧٠ ١٧١
 عامر بن محمد الهنتانى ١٧٦
 عامل بن مهيب ١١٩
 عائشة بنت ابى عطية ١٧٥
 العباس بن بختى ٣١
 العباس بن عطية التوجينى ١٨٨
 العباس بن مرداس رض ٢٦٢

حرف (ش)

شافية ٢٠٤
 الشبانان ١٨٠
 شبابة بن مختار ١٨٠
 الشريف الغرناطى ١٩٦ ٢٠٤
 شكر بن ابى الفتوف الشريف بن
 هاشم ١٦٦ ١٦٧
 شعيب عليه السلام ٢١٣
 شعيب بن اوقاريط الهسكورى ٢١٣
 شمعون بن يعقوب ١٥
 الشيخان: البخارى ومسلم ١٣٠
 الشيعة ٤ ١٧ ١٦٤ ١٦٥

حرف (ص)

صالح بن طريف البرغواطى المتنبى
 ١٥ ١٦ ١٨
 صالح بن عمران ٣١
 الصباح ١٧٩

| | |
|-----------------------------------|----------------------------------|
| حفص ٢٢٨ ٢٣٢ | العباس بن محمد بن الحسن بن علي |
| عبد الله بن محمد بن الرند ١٥٢ | ابن ابي طالب ٧٨ |
| عبد الله بن محمد بن فاطمة ٦٣ | عبد الحق بن ابراهيم ٨٥ ٨٦ |
| عبد الله بن مزدلي ٦٧ | عبد الحق بن اصكو ١٥٥ |
| عبد الله بن المعتمد بن عباد ٤٤ ٤٦ | عبد الحق بن محيو ١٦٩ |
| عبد الله وتومت - والد المهدي ٧٨ | عبد الحق بن منغقاد ١٠٨ |
| عبد الله بن ياسين الجزولي ٧ | عبد الرحمن بن ابي يفلوسن المريني |
| ٨ ٩ ١٠ ١٢ ١٣ ١٤ ١٥ | ١٧٤ ١٧٢ |
| ١٨ ١٩ | عبد الرحمن بن حموية تاج الدين |
| عبد الله بن يعقوب بن عبد الحق ١٥٦ | السرخسي ١٨٥ |
| عبد الله بن المستعين بن هود | عبد الرحمن الناصر بن معاوية |
| عماد الدولة ٦٦ | الداخل ٥ ٣٨ ١١٠ ١٥١ |
| عبد الملك المقطر ١٨ | عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن |
| عبدون ١٥٠ | الفرس - المهر ٢١٨ |
| عبيد الله بن شجير ١٨٠ | عبد الرحيم البياسي - القاضي |
| عبيد الله المعتزلي ١٥ | الفاضل ١٨٢ |
| عبيد الله المهدي الشيعي ١٤ ١٠٩ | عبد السلام بن محمد الكومي ١٣٢ |
| عثمان بن عفان ١٢٦ ١٢٧ ٢٠٦ | ١٤١ |
| عثمان بن محمد ١٨٠ | عبد العزيز بن ابي زيد ٢٢٦ |
| عثمان بن نصر ١٦٩ | عبد العزيز بن تومت ١٢٤ |
| عدنان ١٦٢ | عبد العزيز المريسي ١٧٢ ١٧٦ |
| العرب ١٥ ٦٧ ٨٢ ١٢٠ ١٢١ | عبد الله بن ابي بكر محمد بن |
| ١٣٥ ١٣٧ ١٤٨ ١٤٩ ١٥٢ | العربي المعافري ٥٨ ١١٧ |
| ١٦١ ١٦٢ ١٦٣ ١٦٥ ١٦٧ | عبد الله بن ابي زيد بن برجان ٢٣٤ |
| ١٧٢ ١٧٨ ١٨٤ ١٨٥ ١٨٧ | عبد الله بن اسماعيل بن الشريف |
| ١٨٨ ١٨٩ ١٩٠ ٢٠٥ ٢١٥ | (ملك المغرب) ١٣٠ |
| ٢٢٠ ٢٢٣ ٢٣٢ ٢٣٤ ٢٤٥ | عبد الله بن بلكين ٥٣ ٥٥ |
| ٢٤٧ ٢٥٤ ٢٥٦ | عبد الله بن حبوس الصنهاجي ٣٩ |
| عرب افريقية ٤٠ ١٦١ | عبد الله بن الزبير ١٢٧ |
| عرب تامستا ٢٣٢ | عبد الله بن زكرياء الخزرجي ١٤٧ |
| عرب جشم ٢٦٠ | عبد الله بن السميد ١٥٢ |
| عرب الخلط ٢٣٢ | عبد الله بن سليمان ١٢٥ |
| عرب سفيان ٢٤٠ ٢٥٣ ٢٥٧ | عبد الله بن عبد الواحد بن ابي |

| | | | | |
|-----|------------------------|-----|-----|-------------------|
| ١٧٢ | عمر بن عبد الله الوزير | ٢٤٩ | ١٨٠ | عر بالمغرب الاقصى |
| | عنبر الخصى ٢٥١ | ٢٥٤ | ٢٤٥ | ١٧٨ |
| | عواج بن هلال ١٧٥ | | | ١٧٩ |
| | عياد بن ابي عياد ١٧١ | | | ١٧٩ |
| | عيسى بن تومرت ١٢٤ | | | ٨٠ |
| | عيسى بن عطية ١٧٥ | | | ١٧٥ |

حرف (غ)

| | | | | |
|-----|------------------------|-----|-----|-----|
| ١٥٢ | غانم بن محمد بن مردنيش | | | ٢١٤ |
| | غزوة الزلاقة ٥٠ | | | ٨٠ |
| ١٨٧ | ١٥٨ | ١٤٧ | ٢٩ | ٢٥٦ |
| | | | ١٩٠ | ٣٠ |
| | | | ١٦١ | ١٥٩ |
| | | | | ٢٥٣ |

حرف (ف)

| | | | | |
|-----|--------------------|-----|-----|-----|
| | فرنجة الجزيرة ١٤٩ | | | ١٤ |
| | فرنجة صقلية ١٣٥ | | | ١٥٣ |
| | فرنسيل ٢٤١ | | | ٢٠٦ |
| | فزارة بن ذبيان ١٧٩ | | | ٢١٥ |
| ١١٩ | ٦٤ | ٦٣ | ٣٢ | ١٧٣ |
| ١٩٢ | ١٩١ | ١٨٥ | ١٤١ | ١٧٥ |
| ٢٢٧ | ٢٢٤ | ٢٢٣ | ٢٢٢ | ٢٥٦ |
| | | | ٢٣١ | ١٤٥ |

حرف (ق)

| | | | | |
|-----|--------------------------|-----|-----|-----|
| | قائد وقائد ١٧١ | | | ١٨٠ |
| ١٢٠ | القائم بن يحيى بن العزيز | ٢٤٤ | ٢٤٣ | ٢٤٢ |
| | القائم العباسي ١٦٥ | | | ٢٤٥ |
| | القاسم بن محمد ٢٨ | | | ٨٥ |
| ٢٢٣ | ٦٧ | ٢٩ | ٢٣ | ١٦٤ |
| | قبائل برغواطية ١٥ | | | ٣٠ |
| | قبائل بنى توجين ١٨٨ | | | ١١٦ |
| | قبائل بنى عبد الواد ١٨٨ | | | ٢٤٦ |

| | |
|-----|---------------|
| ٢٥٠ | ٢٤٧ |
| ٣ | كتامة |
| ١٧٨ | ١٠ ٨ ٧ ٥ ٣ |
| ٢٥٨ | ٩٣ ٨٥ |
| ١٥٧ | كروان |
| ١٧٤ | الكلابة |
| ٤ | كنعان بن حام |
| ٩٣ | كنفيسة |
| ١٨٠ | كهلان |
| ١٥٨ | ١٤٢ ١٠١ ٩٩ ٨١ |
| ٧٩ | الكيا الهراسي |

حرف (ل)

| | | | | | |
|-----|-----|-----|------------------------------|-----|-----|
| ١٣ | ١١ | ١٠ | ٧ | ٥ | ٣ |
| ٧٠ | ٦٤ | ٦١ | ٥٦ | ٥٤ | ٢٨ |
| ٨٩ | ٨٦ | ٨٥ | ٧٨ | ٧٣ | ٧١ |
| ١٠٦ | ١٠٥ | ١٠٤ | ٩٤ | ٩٣ | |
| ١٧٨ | ١١٦ | ١١٤ | ١٠٨ | | |
| | | | اللمتونيين | ١٠٨ | |
| ١٥ | | | لقوط بن يوسف بن علي المغراوي | | |
| | | | لماية | ٢٧ | |
| | | | لمطة | ١٠٩ | |
| | | | لواتة | ٢٧ | ١٧٢ |
| | | | ليلى | ١٦٦ | |

حرف (م)

| | |
|-----|----------------------------|
| ١٦٧ | ماضي بن مقرب |
| ٨٣ | مالك بن وهيب الاندلسي |
| ٨٧ | ٨٥ ٨٤ |
| ٥٤ | المأمون بن المعتمد بن عباد |
| ١٤٠ | المأمون بن المنصور الذهبي |
| ١٧٦ | مبارك بن ابراهيم |

(الاستقصا - ثاني - ١٩)

| | |
|-----|---------------------|
| ٢٤٠ | قبائل بني فازاز |
| ١٨٨ | قبائل بني مرين |
| ١١١ | قبائل تامسنا |
| ١٦٨ | قبائل جشم |
| ١١١ | قبائل دكالة |
| ١٥٤ | ١٠٤ ٢٨ |
| ٩٤ | ٨٠ ٦١ ١١ |
| ٢٢٠ | ١٥٤ ١٤٣ |
| ١٨٨ | ٢١ |
| ٢٥ | قبائل المصامدة |
| ٣١ | ٢٧ ٢٥ ١٧ |
| ٢٢٠ | ١٨٩ ١٨٧ ١٤٠ ١١٥ |
| ٢٢٠ | قبائل الموحديين |
| ١٨٨ | قبائل مغراوة |
| ٩٣ | قبائل هرغة |
| ٢٣٤ | ١٨٨ |
| ١٦٩ | قبائل هلال بنو عامر |
| ٢٦٠ | القبائلي |
| ١٤٣ | قبيلة كومية |
| ١٤٢ | قبيلة تينملل |
| ١٦٣ | ١٦٢ |
| ١٣٣ | قذار |
| ١٦٠ | قراقوش الغزي |
| ١٦٣ | القرامطة |
| ١٧٠ | قرة |
| ٥٩ | قريش |
| ١٧٩ | قضاة |
| ١٥١ | ٥٤ |
| ١٦٦ | قيس |
| ٩٩ | قيس عيلان |

حرف (ك)

| | |
|-----|----------------|
| ٢٤١ | ١٧٣ |
| | كانون بن جرمون |

| | | | | | |
|-----------------------------------|-----|-----|-----|-----|-----------------------------------|
| محمد بن معقل ١٧٩ | ٢٢٣ | ٢٢٠ | ١٨٩ | ١٨٨ | المنطوعة |
| محمد بن منغقاد ١٨٨ | | | | | مجاهد العامري ٣٤ |
| محمد بن ميمون ٧١ ١٠٥ | | | | | المحاسبي ٢١٢ |
| محمد بن هود بن عبد الله السلوي | ٢١٢ | | | | محمد بن ابراهيم الانصاري |
| الماسي ١١٠ ١١١ ١١٣ ١١٤ | ٢٣٤ | | | | محمد ابو الطواجين الكتامي |
| ١١٧ ١٣١ | | | | | ٢٦٣ |
| محمد بن يحيى بن فانو ١٠٤ | ١٥٩ | | | | محمد بن اسحق المسوفى |
| محمد بن يوسف بن وانودين ١٥٣ | | | | | محمد بن اسود ٨٣ |
| محمد بن يغمور الهرغى ٢١٦ | | | | | محمد بن تميم الكدالى ٢٣ |
| محمد بن يوسف ١٨٤ | | | | | محمد بن تومرت - مهدي الموحدين |
| محمد الشيخ المهدي السعيدى ١٧٦ | ٧٩ | ٧٣ | ٧٢ | ٧٠ | ٢٥ |
| محمد القطراني ٢٥٥ | ٨٧ | ٨٦ | ٨٥ | ٨٤ | ٨١ |
| محيوا بن ابي بكر بن حمامة المرينى | ٩٥ | ٩٤ | ٩٣ | ٩١ | ٨٨ |
| ١٨٨ | ١١٧ | ١١٥ | ١٠١ | ١٠٠ | ٩٧ |
| محيى الدين بن عربى الحاتمي ١٩٣ | ٢١٣ | ١٤٧ | ١٤٤ | ١٣٣ | ١٣٢ |
| ٢٠٠ | | | | | ٢٤٣ ٢٣٨ |
| مختار بن محمد ١٨٠ | | | | | محمد بن تينغمر المسوفى ٣٢ |
| المخضب بن عسكر ١٠٨ | | | | | محمد بن الحجام ١١٩ |
| مدرك التلكاني ٢٣ | | | | | محمد بن سليمان ٨٥ |
| مداسة ٣ | | | | | محمد بن شكر بن ابي الفتوح |
| مديونة ٢٧ | | | | | الحسنى ١٦٧ |
| المرابطون ٩ ١٠ ١٢ ١٣ ١٤ | | | | | محمد بن الطلاع ٣٨ |
| ١٥ ١٩ ٢٣ ٢٦ ٢٧ ٢٨ | | | | | محمد بن عائشة ٦٣ ٦٤ |
| ٣١ ٣٤ ٤٠ ٤٤ ٥٤ ٥٦ | | | | | محمد بن عبد الحق المرينى ١٧٣ |
| ٦١ ٦٧ ٧١ ٧٥ ٧٧ ٩٠ | | | | | محمد بن عبد الله - ملك المغرب ٢٦ |
| ٩٢ ٩٣ ٩٦ ١٠٣ ١٠٤ ١٠٧ | | | | | محمد بن عبد الله بن العاضد ٢١٨ |
| ١١٤ ١١٥ ١١٦ ١١٧ ١١٨ | | | | | محمد بن علي بن الحاج ١٤١ |
| ١٢٢ ١٢٤ | | | | | محمد بن علي الكومى ١٤١ |
| مرزدغ الصنهاجى ١٤٧ | | | | | محمد بن قلاوون - الملك الناصر ١٧٥ |
| مزدلى بن تيلكان ٣١ ٥٦ ٦٢ ٦٦ | | | | | محمد بن كانون ١٧٣ |
| المستنصر بالله العبيدى ١٦٤ ١٦٥ | | | | | محمد بن مبارك ١٧٦ |
| المستنصر العباسى ٢٣٥ | | | | | محمد بن مردنيش ١٢٢ ١٤١ |
| مستراتة ٣ | | | | | محمد بن مزدلى ٦٦ |

| | | | | |
|----------------------------------|-----|-----|---------------------------|-------|
| المقدم ١٧٠ | ١٧٤ | ١٧٣ | مسعود بن حميدان | ٢٤٣ |
| مكلاثة ٢٤٠ | | | | |
| مكتاسة ٢٩ | | | مسعود بن سلطان ١٦٩ | |
| المكيدى - القاضى ٢٣٨ | | | مسعود بن كانون ١٧٣ | |
| ألمشمون ٢١ ٣٥ ٧٣ ٨٢ | ١٢ | | مسعود بن وانودين المغراوى | ١٣ ٢٨ |
| ١٧٨ ١٦٨ ١٦٠ ١٢٥ ١٠٩ | | | مسفيوة ٨٥ | |
| ملك ينبلونة ٢٢١ | | | المسناوى ١٣٠ | |
| ملوك الاندلس ٣٤ ٢٦ ٣٧ ٤٩ | | | مسوفة ٣ ١٠ ١٠٤ ١٧٨ | |
| ٥١ ٥٣ ٥٧ | | | مشرف بن ابيج ١٧٠ | |
| ملوك البربر ١١٠ | | | المصامدة ١٣ ١٤ ١٦ ١٨ ٢٧ | |
| ملوك بنى عبد الواد ١٢٩ | | | ٢٩ ٣٠ ٦٧ ٧٨ ٨٥ ٨٦ | |
| ملوك الجلالقة ٦٤ | | | ٨٩ ٩٦ ٩٩ ١٠١ ١٤٢ ١٥٤ | |
| الملوك الحفصيون ١٥١ ٢١٦ | | | ١٧٤ ١٨٧ ١٨٨ ١٨٩ ١٩٠ | |
| ملوك زناتة ١٢ ١٧٨ | | | ٢٢٠ ٢٤٩ ٢٥٦ | |
| الملوك السعديون ١٣٠ | | | المصحف العقبانى ١٢٩ ١٣٠ | |
| ملوك شيزر ١٨٢ | | | المصحف العثمانى ١٢٦ ١٢٧ | |
| ملوك الطوائف ٣٨ ٥٥ ٥٦ ٢٥١ | | | ١٢٨ ١٢٩ ١٣٠ ٢٥١ | |
| ملوك العبيديين ١٦٤ | | | مصحف المهدي - الموحدى ١٢٩ | |
| ملوك الفرنج ١٩١ ١٩٣ | | | مضر ١٦٢ | |
| ملوك المغرب ١٨٣ | | | مظفر - القائد ١١٨ | |
| ملوك الموحدين ١٩٨ | | | معاد بن اليسع ١٧ | |
| المنتبات ١٨٠ | | | معاوية بن اوقاريط ٢٤٣ | |
| منبا بن منصور ١٨٠ | | | معاوية بن بكر ١٧٠ | |
| منديل بن عبد الرحمن المغراوى ١٨٨ | | | المعز بن باديس ١٦٤ ١٦٥ | |
| المنصور بن ابى عامر ١٢ ١٨ | | | المعز بن يوسف ٣٤ | |
| منصور بن محمد ١٨٠ | | | معنصر المغراوى ٢٧ | |
| منصور بن يعيش ١٧٤ | | | المغاربة ٢٢٥ | |
| مهدى بن تولى اليحفشى ٢٧ | | | مغراوة ١٣ ٢٢ ٢٨ ٢٩ ١٠٦ | |
| مهدى بن يوسف الكزنائسى ٢٧ | | | ١٥٤ | |
| ٢٨ | | | المغراويون ١٢ | |
| الموحدون ٢٦ ٧٠ ٧١ ٧٣ | | | المغيرة بن شعبة ١٣٣ | |
| ٨٦ ٨٩ ٩٢ ٩٣ ٩٦ ٩٧ | | | مغيلة ٢٧ | |
| ١٠١ ١٠٢ ١٠٤ ١٠٥ ١٠٧ | | | | |

| | | | | | | |
|----------------------|-----|-----|-----|-----|-----|-----|
| ٢٤٤ | ٢٣٤ | ١١٥ | ١١٤ | ١١١ | ١٠٩ | ١٠٨ |
| عشام بن عبد الملك ١٦ | | ١٢٢ | ١٢١ | ١١٩ | ١١٨ | ١١٦ |
| ٢٣٢ | ١٧٤ | ١٤٠ | ١٣١ | ١٢٩ | ١٢٥ | ١٢٤ |
| | ٢٣٩ | ١٤٧ | ١٤٦ | ١٤٣ | ١٤٢ | ١٤١ |
| | ١٧٧ | ١٥٩ | ١٥٤ | ١٥٣ | ١٥٠ | ١٤٨ |
| ١٨٨ | ١٠٨ | ١٧٢ | ١٧٠ | ١٦٩ | ١٦٨ | ١٦١ |
| ٢٤٠ | ٢٣٢ | ١٨٧ | ١٨٤ | ١٧٨ | ١٧٤ | ١٧٣ |
| | ٢٥٨ | ٢٠٣ | ١٩٩ | ١٩٣ | ١٩١ | ١٨٩ |
| | ١١١ | ٢٢٥ | ٢٢٣ | ٢٢١ | ٢٢٠ | ٢١٥ |
| | ١١٣ | ٢٣١ | ٢٣٠ | ٢٢٩ | ٢٢٧ | ٢٢٦ |

حرف (و)

| | | | | | | |
|----------------------|-----|-----|-----|-----|-----|-----|
| ٧ | ٦ | ٢٤٧ | ٢٤٣ | ٢٤٢ | ٢٣٩ | ٢٣٨ |
| واجاج بن زلو المظني | | ٢٥٥ | ٢٥٤ | ٢٥٢ | ٢٤٩ | ٢٤٨ |
| ١٨ | | | ٢٦٠ | ٢٥٩ | ٢٥٧ | ٢٥٦ |
| وانودين بن خزون ١٢ | | | | | | |
| واقعة ام الرجلين ١٧٥ | | | | | | |
| وحشي ١٣٣ | | | | | | |
| ورديفة ١٧٢ | | | | | | |
| وريقة ١٥ | | | | | | |
| وشاح بن هلال ١٧٥ | | | | | | |
| وقعة الارك ٢٢١ | ١٩٥ | | | | | |
| وقعة تامزدكت ٢٥٣ | | | | | | |
| وقعة الجلاب ١٤٧ | | | | | | |
| وقعة طريف ١٢٩ | | | | | | |
| وقعة العقاب ٢٢٦ | ٢٢٥ | ٢١٦ | | | | |

حرف (ي)

| | | | | | | |
|----------------------------|-----|-----|-----|-----|-----|-----|
| ٦ | ٥ | ٢٣٢ | ٢٣٠ | ٢١٠ | ١١٣ | ١١٢ |
| يحيى بن ابراهيم الكيدالي | | | | | | |
| ١٠ | ٨ | | | | | |
| يحيى بن ابي بكر بن يوسف بن | | | | | | |
| تاشفين ٦٢ | ٦١ | | | | | |
| ١٠٧ | | | | | | |
| يحيى بن ابي بكر الصحراوي | | | | | | |
| | ١١٤ | | | | | |
| ٢١٥ | | | | | | |
| يحيى بن ابي زكرياء الهزرجي | | | | | | |

حرف (ه)

| | | | | | | |
|---------------------|-----|-----|-----|--|--|--|
| ٩٧ | | | | | | |
| هرون بن سعيد العجلي | | | | | | |
| ٩٣ | ٨٥ | ٧٨ | | | | |
| هرقة | | | | | | |
| ٢٢١ | | | | | | |
| هرقل | | | | | | |
| ٢١٠ | | | | | | |
| هزيمة ايرجان | | | | | | |
| ٢٤٢ | | | | | | |
| عزرجة | | | | | | |
| ٢٥٦ | | | | | | |
| الهساكرة | | | | | | |
| ٢٣٢ | ٢٣٠ | ٢١٠ | ١١٣ | | | |
| هسكورة | | | | | | |

| | |
|--------------------------------------|----------------------------------|
| ٢١٩ | يحيى بن اسحق انكمار ١١١ |
| ٢٤٩ ٢٤٨ | يحيى بن تميم الصنهاجى ٧٩ |
| ٢٥٢ ٢٥٠ | يحيى بن سكوت - ضياء الدولة |
| ١٦٢ | ٣٤ ٣١ |
| ١١٨ ١١٧ | يحيى بن عبد الله بن وانودين ٢٥٥ |
| ١١٩ | يحيى بن العزيز الصنهاجى ٧٠ |
| يوسف بن ايوب - صلاح الدين | ١٣٥ ١٢١ ١٠٥ |
| ١٨٣ ١٨٢ ١٨١ | يحيى بن عطوش ٢٤٧ |
| يوسف بن بدر ١٠٤ | يحيى بن عمر بن تكلاكين الممتونى |
| يوسف بن تاشفين - امير المسلمين | ١٢ ١١ |
| ٢٥ ٢٤ ٢٣ ٢٢ ٢١ ١٤ | يحيى بن الناصر الموحدى ١٧١ |
| ٣٢ ٣١ ٣٠ ٢٩ ٢٨ ٢٧ | ٢٣٦ ٢٣٣ ١٧٤ ١٧٣ ١٧٢ |
| ٤١ ٤٠ ٣٨ ٣٧ ٣٦ ٣٣ | ٢٤٤ ٢٤٣ ٢٤٢ ٢٣٩ ٢٣٧ |
| ٤٨ ٤٦ ٤٥ ٤٤ ٤٣ ٤٢ | ٢٤٥ |
| ٥٦ ٥٥ ٥٢ ٥١ ٥٠ ٤٩ | يحيى بن هلال ٢٤٣ ١٧٤ |
| ٦١ ٦٠ ٥٩ ٥٨ ٥٧ | يحيى بن يغمور ١٠٤ ١٠١ |
| يوسف ١١٠ | ١٢٥ ١١٨ |
| يوسف بن سليمان ١٣٦ | يحيى بن عبد المؤمن ١٥٨ |
| يوسف بن يعقوب بن عبد الحق | يصليتن ١٢٤ ١٢٢ ١٠٦ |
| المرينى ٢٥١ | يعقوب بن جابر ٢٥٠ |
| يوسف بن علي بن عبد الرحمن بن وطاس ١٥ | يعقوب بن جرمون ٢٥٣ ١٧٣ |
| يوسف بن الناصر ٢٢٥ ٢١٥ | ٢٥٤ |
| يوسف بن مخلوق التينملى ١٠٨ | يعقوب بن عبد الحق المرينى ١٧١ |
| ١١٤ | ٢٥٩ ٢٥٦ ٢٤٨ ٢٢٤ ١٧٣ |
| يوسف بن وانودين ١٠٤ ٨٥ | ٢٦٠ |
| ١٠٨ ١٠٦ | يعقوب بن علي ١٧٤ |
| يوسف الشيطان ٢٥٠ | يعقوب بن كاتون ٢٥٤ |
| يوم الارك ١٩١ | يعقوب بن محمد بن قيطون ١٧١ |
| يوم العقاب ٢٢٧ ٢٢١ | ٢٢٨ |
| اليونان ٢٠٦ | يعلى بن الامير العباس بن بختى ٣٢ |
| يونس ١٣٣ | يعلى بن محمد المقرائى ٣٢ |
| يونس بن الياس ١٧ ١٦ | يعلى بن يوسف ٢٩ |
| | يعيش عامل الريف من قبل الناصر |

| | |
|----------------------------|--------------------------|
| بلاد سجلماسة ٢٤٢ | بلاد اربونة ٦٥ |
| بلاد السوس ١٣ ١٤ ٣٠ ٢٥٤ | بلاد افريقية ٤٩ ١٠٢ ١٢٠ |
| بلاد السودان ٣ ٥ ٨ ١٠ ١١ | ١٣٧ ١٣٦ ١٣٥ |
| ١٣ ١٩ ٢٢ ٦٠ ٧٣ | ١٤٦ ١٤٣ |
| بلاد الشام ١٦٣ | ١٨٤ ١٩٨ ٢٠٣ ٢١٦ |
| بلاد الشرق ٢٠٣ | بلاد الاندلس ١٥ ٣٢ ٤٠ ٤٣ |
| بلاد شرق الاندلس ٦٣ ٦٧ ١٥٠ | ٤٩ ٥١ ٥٥ ٦٦ ٦٧ |
| بلاد الصحراء ١٠ ١١ ٢٠ ٢٢ | ٧٠ ٧٥ ١٠٢ ١١٧ ١٢٦ |
| ٢٣ ٦٢ ١٧٨ | ١٢٨ ١٤٣ ١٤٩ ١٥٩ ٢٣١ |
| أبلااد الصحراوية ٥ | ٢٤٦ ٢٢٦ |
| بلاد الصعيد ١٧٩ | بلاد البربر ٣ |
| بلاد صنهاجة ١٩ | بلاد البرتغال ١٢٩ |
| بلاد طنجة ٣٠ ٣٤ | بلاد برغواطية ١١٤ |
| بلاد العدو ٤٩ ٦٨ ٧٣ | بلاد ابن اذفونش ١٩٣ |
| بلاد العرب ١٦٩ | بلاد ابن عباد ٥٢ |
| بلاد الغرب ٢٥٣ | بلاد ابن مردنيش ١٤٩ |
| بلاد غرب الاندلس ٦٦ ٦٨ ١٥٤ | بلاد بنى زيات ٢٣٥ |
| ٢٢٧ | بلاد بنى سعيد ٢٣٤ |
| بلاد غمارة ٢٨ ٢٩ ٣١ ١٤٧ | بلاد بنى عبد الواد ١٠٤ |
| بلاد الفرنج ٥٢ ٦٣ ٦٦ ٦٨ | بلاد بنى يزناسن ٣٢ |
| ٧٣ ١٤٣ ١٨٤ ١٩٢ ٢٢٠ | بلاد تادلا ١٨ ٢١ ١٠٢ |
| بلاد فندلاوة ٢٩ | بلاد تازا ١٠٩ |
| بلاد انقبلة ١٠ ٢٠ ٢٢٠ | بلاد تامسنا ١٥ ١٦٩ |
| بلاد قشتالة ٢٢١ | بلاد الجريد ٢١٤ |
| بلاد كدميو ١٤ | بلاد الجوف ٦٦ ٦٧ |
| بلاد المشرق ٧٩ | بلاد حاحة ١٧٤ |
| بلاد المغرب ٢٠ ٢١ ٢٢ ٢٧ | بلاد الحوز ١٦٩ ٢٥٣ |
| ٢٨ ٢٩ ٣١ ٥٠ ٦١ ٦٣ | بلاد درعة ١٣ ١٠٣ ١٧٧ |
| ٧٠ ٧٥ ٩٠ ١٠٣ ١٤٣ ١٧٨ | بلاد دكالة ٢٣٢ |
| ١٧٩ ١٩٢ ٢٠٠ ٢١٢ ٢٣٤ | بلاد ركراكة ٩٣ |
| ٢٤٦ ٢٤٧ ٢٦٤ | بلاد رودة ١٤ |
| بلاد المصامدة ١٠ ٧٠ ٩٢ ٩٣ | بلاد ائريف ٢٢ ٢٢٧ ٢٤٩ |
| بلاد مكلانة ٣٠ | بلاد زناتة ٢٠ ٣٢ ١٠٤ ١٠٦ |

| | | | | | |
|-----|-----|-----|-----|-----|--------|
| ٣٥ | ٣٢ | ٣١ | ٢٩ | ٢١ | تلمسان |
| ١٠٥ | ١٠٣ | ٨٢ | ٧١ | ٧٠ | ٦٢ |
| ١١٦ | ١١٥ | ١١٣ | ١٠٨ | ١٠٧ | |
| ١٣٩ | ١٢٩ | ١٢٥ | ١٢٣ | ١٢٠ | |
| ١٧٣ | ١٧١ | ١٥٨ | ١٤٩ | ١٤١ | |
| ٢٤٨ | ٢١٣ | ١٨٤ | ١٧٧ | ١٧٥ | |
| | ٢٥٩ | ٢٥١ | ٢٥٠ | ٢٤٩ | |

تمنيطيت ١٧٨

تنس ٣٢

توات ١٧٨

توزر ١٦١

| | | | | |
|-----|-----|-----|-----|------|
| ١٣٥ | ١٢٩ | ١٠١ | ٨٥ | تونس |
| ٢١٥ | ٢١٤ | ١٨٣ | ١٦٨ | ١٥١ |
| | ٢٥٢ | ٢٢٨ | ٢١٦ | |

تيكرارين ١٧٨

| | | | | | |
|-----|-----|-----|-----|-----|--------|
| ٨٦ | ٨٥ | ٨١ | ٧٢ | ٧٠ | تينملل |
| ١٠٢ | ١٠١ | ٩٧ | ٩٤ | ٩٣ | ٩٢ |
| ١٢٣ | ١٠٩ | ١٠٨ | ١٠٦ | ١٠٣ | |
| ٢٣٧ | ٢٣٢ | ١٥٦ | ١٤٤ | ١٢٩ | |

حرف (ث)

الثغر الاعلى ٤٤

ثغر الجزائر ١٣٥

حرف (ج)

جامع اسحق بمراكش ٢٦٢

جامع اشبيلية ١٥١

الجامع الاعظم باشبيلية ١٩٤

الجامع الاعظم بمراكش ١٩٤ ٢٥

جامع آلاندلس ٢٦٤ ٢١٩ ٢٩

جامع تينملل ١٠٢

جامع حسان بالرباط ١٩٥

جامع قرطبة ٧٥

بلاد مكناسة ٢٨

بلاد ملوية ٢٩

بلاد نول ١٩٨ ١٧٨ ١٢٩

بلاد الهبط ١٦٩

بلاد هزرجة ٩٣

بلاد مسكورة ٢٥٧

بلاد نفيس ٦

بليطة ٣٤

بلنسية ٦٧ ٦٤ ٦٣ ٥٦ ٤٩

٢٣٥ ٢٣١

بودة ١٧٨

بونة ١٢١

بياسة ٢٣١ ٥٤

بيت المقدس ١٨١

حرف (ت)

تادلا ١٠٩ ١٠٤ ٢١ ١٨ ١٥

١٨٠ ١٧٧ ١٧١ ١١٥

تارودانت ٢٥٤ ١٤

تازا ٢٤٥ ٢٢٧ ١٧٧ ١٤٧

٢٥٢ ٢٤٩

تاسلاخت ١٧

تاسبييت ١٧٨

تافيلايت ١٧٨

تاكرات ٩٩ ٧٢ ٣٢

تاكمارت ١٢٢

تامزردكت ٢٥٠

تامسنا ١٧٠ ١٣٠ ٣٠ ١٨

٢٥٤ ٢٥٢ ١٧٤

تاملوكلات ١٦

تاويرت ١٧٧

تفليس ٢٠٥

تكرور ١٩٨

رباط أسفى ٢٦٣
 رباط تازا ١١٠ ١٦٠
 رباط سلا ١١٩ ١٤٣
 رباط الفتاح ١١٩ ١٩٠ ٢٠٣
 ٢٠٦ ٢٢٥ ٢٥٢ ٢٥٣
 رحبة الحنطة بمراكش ٧٧
 رندة ١١٩ ١٥٣
 روضة المهدي ١٢٩
 الريف ٢٩

حرف (ز)

زقاق سبتة ١٨٧
 ازلاقة ٣٣ ٤٤ ٥٠
 الزهراء ٣٨
 زويلة - مدينة ١٣٧

حرف (س)

ساحل البحر المحيط ٢١
 ساحل تامسنا ١٥
 ساحل الخضراء ٣٤
 سبتة ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٣٤
 ٤٠ ٤٩ ٥٥ ٦٥ ١١٣ ١١٤
 ١٢٠ ١٢٢ ١٢٣ ١٢٥ ١٤٣
 ١٤٨ ١٥٤ ٢١٧ ٢٣٤ ٢٣٧
 ٢٣٩ ٢٤٠ ٢٤٤ ٢٤٥ ٢٤٨
 ٢٥٥
 سجلماسة ١٢ ١٣ ٢١ ٢٣
 ٢٨ ١٧٧ ١٧٩ ٢٤٤ ٢٤٧
 السجينة بمراكش ٢٣٩
 سرقسطة ٣٢ ٣٣ ٣٤ ٤٩
 ٥٦ ٢٣٥
 السقيفة ١٣٣
 سلا ١٨ ٥١ ١٠٨ ١٠٩ ١١٥

حصن العقاب ٢٢٣
 حصن القصر ١٤١
 حصن لبيط ٥١ ٥٢
 حصن المدور ٥٤
 حصن المرنكش ١٤١
 حلق المعمورة ١٤٣
 حمام الرحبة بفاس ٢٦٤
 حمة ابي يعقوب ٢٠٥
 حمة خولان ٢٠٥
 حمة وشنانة ٢٠٥
 الحوز ١٦٩

حرف (خ)

الخضراء ٣٤ ٤١ ٤٣ ٥١ ١٨١

حرف (د)

دار ابن عشرة بسلا ١٠٨
 دار المرابطين ٧
 دار الندوة ١٣٣
 دار الوضوء - ازاء جامع الاندلس
 ٢١٩
 دانية ٣٣ ١٣١ ٢٢٦ ٢٣١
 درعة ١٢ ١٣ ٣٠ ١١١ ١٧٨
 ٢٥٢
 دكالة ٧٧
 دمشق ١٢٧ ١٨٥ ٢٠٠ ٢٠٣
 الدمنة - مدينة ٣٠
 ديار مصر ١٨١

حرف (ر)

رابطة العباد ٢١٣
 رابطة الغار بمراكش ٢١٢
 رابطة ماسة ١١٠
 رابطة وهران ٧١

حرف (ص)

| |
|-------------------------|
| صحارى برقة ١٦٨ |
| صحارى المغرب الاقصى ١٧٨ |
| انصحراء ٥ ٧ ١٣ ٢١ ٢٢ |
| ٢٤ ٣٩ ٦٢ ١٦٠ ١٨٤ |
| ٢٢٧ ٢٥٣ |
| صحراء فجيج ٢٢٦ |
| الصخيرة ٥٤ |
| صعيد مصر ١٦٣ ١٦٥ |
| صفاقس ١٣٥ ١٣٧ |
| صفرو ٢٧ |
| صقلية ١٣٥ ١٣٨ |
| صلب الفتح ٧٢ |
| صلب الكلب ٧٢ |
| صنهاجة مفتاح ١٤٧ |
| صور ١٨٢ |

حرف (ط)

| |
|-------------------------|
| الطائف ١٦٣ |
| طرابلس الشام ١٨٢ |
| طرابلس الغرب ٨٠ ١٣٧ ١٦٠ |
| ٢١٤ |
| طرطوشة ٤٤ ٦٥ ١٣١ |
| طريف ١٢٩ ١٤٩ ٢٢٠ |
| طلايوت ٦٥ |
| طلبيرة ١١٩ ١٥٣ |
| طلمنكة ١٩٢ |
| طليطلة ٢٣ ٣٧ ٤١ ٤٩ ٥٢ |
| ٦٣ ٦٦ ٦٨ ١٤١ ١٥٣ ١٨٥ |
| ١٩٣ ١٩٢ |
| طنجة ٢٨ ٢٩ ٣٠ ٣١ ٦٠ |
| ١٠٧ ١٢٣ ١٤١ ١٤٣ |

| |
|------------------------|
| ١٢٣ ١٢٢ ١٢١ ١٢٠ ١١٩ |
| ١٥٣ ١٥١ ١٤٦ ١٣٦ ١٢٤ |
| ٢٠٣ ١٨٥ ١٧٨ ١٥٦ ١٥٤ |
| ٢٤٥ ٢٢٢ ٢٢٥ ٢١٧ ٢١١ |
| ٢٥٣ ٢٥٢ ٢٤٧ |
| سلبطرة ٢٢٣ |
| سهيل ٢١١ |
| السوس ٧ ١٤ ٨١ ٨٥ ٨٦ |
| ٢٥٣ ١٧٨ ١٧١ ١٤٣ ١١٠ |
| ٢٥٦ |
| السوس الاقصى ٧ ٦٠ ١٣٩ |
| ١٩٨ ١٧٨ |
| سوسة ١٣٧ ١٣٥ |
| السودان ٢٢ ١٩٨ |
| سوق الدقيق بمراكش ٢٦٢ |
| سوق العطارين بمراكش ٧٦ |
| سويقة ابن مصكوك ١٩٨ |
| سيرات ١٠٤ |

حرف (ش)

| |
|-----------------------|
| شاطبة ٢٣٥ ٢٢١ |
| الشام ١٢٧ ١٢٣ ١٦٧ ١٧١ |
| ١٨٣ ١٨٢ |
| شرق الاندلس ٦٠ ٦٢ ١٤١ |
| شريس ١١٧ ١١٩ |
| شدونة ١٥ ٣٢ |
| شفشاوة ١٤ |
| شقورة ٥٤ |
| شلب ١١٧ ١٨٤ ٢١٠ |
| شلف ٣ |
| شنترين ٦٥ ١١٨ ١٥٤ ١٨١ |
| شنتمرية ٦٨ ١١٨ |

| | | | | |
|-----|-----|-----|------------|-----|
| ٢٠٩ | ٢٠٤ | ١٩٥ | ١٨٤ | ١٨٣ |
| ٢١٩ | ٢١٤ | ٢١٣ | ٢١٢ | ٢١٠ |
| ٢٥٣ | ٢٥٠ | ٢٤٥ | ٢٢٧ | ٢٢٦ |
| | ٢٦٤ | ٢٦٠ | ٢٥٩ | ٢٥٥ |
| | | | فحص الضباب | ٦٨ |
| | | | فحص عطية | ٦٩ |
| | | | الفرات | ١٦٧ |
| | | | فلسطين | ١٦٤ |

حرف (ق)

| | | | | | | | |
|--|--|--|--|-------------------------|-----|-----|-------------|
| | | | | قابس | ٢١٥ | ١ | ٢٧ |
| | | | | قادس | | | ٢٠٦ |
| | | | | القاهرة | ١٦٥ | ١٦٤ | |
| | | | | قبر يعقوب المنصور | ٢٠٤ | | |
| | | | | قبائل برغواطية | | | ١٨ |
| | | | | قبائل صنهاجة | | | ١١ |
| | | | | القبلة | ١٤٣ | ٣٤ | |
| | | | | قرطبة | ٦٣ | ٥٤ | ٤٩ ٣٩ ٣٧ |
| | | | | | ١٠٧ | ٧٧ | ٧٦ ٦٨ ٦٧ ٦٥ |
| | | | | | ١٢٣ | ١٢٠ | ١١٩ ١١٨ ١١٤ |
| | | | | | ١٤٦ | ١٤١ | ١٢٧ ١٢٦ ١٢٥ |
| | | | | | ١٨٤ | ١٥٣ | ١٥١ ١٥٠ ١٤٨ |
| | | | | | ٢٣١ | ٢٣٠ | ٢١٧ ٢١٠ ٢٠١ |
| | | | | | | | ٢٦١ ٢٤٦ ٢٣٦ |
| | | | | قرمونة | ٢٢١ | ١٤١ | ١١٧ ٥٤ |
| | | | | قرية يليسكاون - بوسكارن | ٧٧ | | |
| | | | | قسنطينة | | ١٦٠ | ١٢١ |
| | | | | قشتالة | ٢٥٣ | | ٢٣٧ |
| | | | | القصبية بقرناطة | | ١١٨ | |
| | | | | القصبية بمراكش | ٢٢٣ | ٢٢٩ | ٧٣ |
| | | | | | | | ٢٥٨ ٢٥٢ |
| | | | | قصبية رباط الفتح | | ٢٥٣ | |
| | | | | قصبية كرجستان | | ٢٠٥ | |

حرف (ع)

| | | | | | |
|-----|-----|-----|-----|-----|----------------------------|
| ٦٩ | ٥٩ | ٥٣ | ٥٢ | ٤٩ | العدوة |
| | | ٢٣٢ | ١٨١ | ١٢٦ | ١٢٣ |
| ٥٦ | | | | | العدوتان - المغرب والاندلس |
| | | | | ١٤٦ | ١٣٥ ٧٨ |
| ٢٦٤ | ١٠٣ | ٢٩ | | | عدوة الاندلس |
| | ٢١٩ | ٢٩ | | | عدوة القرويين |
| | | | | | عدوة المغرب |
| | | | | | ٦٠ |
| | | | | | عكاه |
| | | | | | ١٨٢ |
| | | | | | عمان |
| | | | | | ١٦٣ |
| | | | | | عوسجة |
| | | | | | ٢٨ |
| | | | | | عين خميس |
| | | | | | ١٤٤ |
| | | | | | عين غبولة |
| | | | | | ١٤٤ |

حرف (غ)

| | | | | | | |
|--|--|--|--|--|-------------------|---------------------|
| | | | | | غانة | ١٩٨ |
| | | | | | الغرب | ١٦٩ |
| | | | | | غرب الاندلس | ١٨٤ ٦٩ ٦٠ |
| | | | | | غرب افريقية | ١٧٨ |
| | | | | | غرب جزيرة الاندلس | ١٨٥ |
| | | | | | غرناطة | ١١٨ ٥٥ ٤٧ ٤٤ ٣٩ |
| | | | | | | ٢٥٣ ٢٣٠ ١٥٣ ١٤٧ ١٢٥ |
| | | | | | غساسنة | ١٧٧ |
| | | | | | غمارة | ٢٤٠ |

حرف (ف)

| | | | | | | | |
|--|--|--|--|--|-------|-----|-----------------|
| | | | | | فازاز | ٢٤٥ | ٣٠ |
| | | | | | فاس | ٢٨ | ٢٧ ٢٦ ١٨ ١٢ |
| | | | | | | ٧٤ | ٦٣ ٦٢ ٣٤ ٣٠ ٢٩ |
| | | | | | | ١١٥ | ١١٣ ١٠٨ ١٠٧ ٨٢ |
| | | | | | | ١٣٦ | ١٣١ ١٢٩ ١٢٤ ١١٧ |
| | | | | | | ١٨١ | ١٧٧ ١٧٦ ١٥٧ ١٥٤ |

حرف (ل)

| | | | | |
|-----|-----|-----|-----|------------------|
| | | | | لاردة ٦٧ |
| ١٢٥ | ١٢٤ | ١١٩ | ١١٧ | لبلة |
| | | | | لمدية ٢١٩ |
| | | | | لواتة - مدينة ٢٠ |
| | | | | لورقة ٥٢ |

حرف (م)

| | | | | |
|-----|-----|----|----|-------------------------------|
| | | | | ماردة ١١٨ |
| | | | | ماسة - مدينة ١٤ |
| ١٥٣ | ١٥١ | ٥٥ | ٥٣ | مالقة |
| | | | | ٢٣٠ ٢١١ |
| | | | | متيطة ٢٠٩ |
| | | | | المجلد ٢٠٤ |
| | | | | مجريط ٦٥ ١٩٢ |
| | | | | مدائن مكناسة ٢٠ |
| | | | | مدرسة سلا ١٩٥ |
| | | | | المدينة ١٢٧ ١٦٣ ١٧٩ |
| | | | | المدينة البيضاء - فاس الجديدة |
| | | | | ٢٦ |

| | | | | | |
|--|--|--|--|--|----------------------|
| | | | | | مراكش ٢٤ ٢٥ ٢٦ ٢٧ ٣٠ |
| | | | | | ٣٢ ٣٥ ٤٠ ٥٢ ٥٤ ٥٦ |
| | | | | | ٦١ ٦٢ ٦٧ ٦٩ ٧٠ ٧١ |
| | | | | | ٧٣ ٧٥ ٧٦ ٧٧ ٨٢ ٨٧ |
| | | | | | ٨٩ ٩٠ ٩١ ٩٢ ٩٤ ٩٧ |
| | | | | | ١٠٣ ١٠٥ ١٠٨ ١٠٩ ١١٠ |
| | | | | | ١١٣ ١١٤ ١١٥ ١١٦ ١١٧ |
| | | | | | ١١٨ ١٢٠ ١٢١ ١٢٤ ١٢٥ |
| | | | | | ١٢٦ ١٢٧ ١٢٨ ١٣١ ١٣٢ |
| | | | | | ١٣٥ ١٤١ ١٤٢ ١٤٣ ١٤٦ |
| | | | | | ١٤٧ ١٤٨ ١٤٩ ١٥١ ١٥٢ |
| | | | | | ١٥٣ ١٥٤ ١٥٦ ١٥٨ ١٦٠ |

| | | | | |
|-----|-----|----|--|--------------------------|
| | | | | قصر ابي دانس ١٨٤ ٢٢٧ |
| | | | | قصر ابن عشرة بسلا ١٢١ |
| | | | | قصر البديع بمراكش ٢٦ |
| ١٢٠ | | | | قصر كتامة - القصر الكبير |
| | | | | ١٦٨ ٢١٠ ٢٣٤ |
| ١٨٧ | ١٨١ | ٥١ | | قصر المجاز |
| | | | | ٢٢٢ ٢٢٠ |

| | | | | |
|-----|-----|-----|-----|------------------------|
| | | | | قصر مصمودة ١٥٨ |
| | | | | قصر المنصور بمراكش ١٩٩ |
| | | | | قصور افريقية ١٣٧ |
| | | | | قصور السوق ١٧٨ |
| ٢١٥ | ١٦١ | ١٥٣ | ١٣٧ | قفصة |
| | | | | قلعة ايوب ٦٧ |
| | | | | قلعة جابر ١٥١ |
| | | | | قلعة حماد ٧٤ ١٢١ ١٥٩ |
| ١٩٤ | ١٩٢ | ١٥١ | | قلعة رباح |
| | | | | ٢٢٣ ٢٢٢ |
| | | | | قلعة فازاز ٢٧ ٢٨ |
| | | | | قنصرة ١٥١ |
| | | | | قنطرة تانسيفت ١٤٩ |
| | | | | قبيحطة ٢٣١ |
| ١٦١ | ١٣٠ | ١٨ | ٧ ٦ | القيروان |
| | | | | ٢١٥ |

حرف (ك)

| | | | | |
|--|--|--|--|---------------|
| | | | | كبيك ٨٩ |
| | | | | كركرار ١٩٤ |
| | | | | كر ركي ٦٩ |
| | | | | كريفلة ١٩ |
| | | | | كهف الضحاك ٧٠ |
| | | | | الكوفة ١٢٧ |

| | | | |
|-----|-------------------|-----|---------------------------|
| ٢٤٩ | وادي بهت | ١٩٤ | منار جامع الكتبيين بمراكش |
| ١١١ | وادي تانسيفت | ١٠٦ | ١٠٤ منداس |
| ٨٨ | وادي تينملل | | ١٥٩ منورقة |
| ١٩٢ | ٦٥ وادي الحجارة | ١٢٧ | ١٣٦ ٧٩ ٥١ المهدية |
| | ٥١ وادي سبو | ٢٢٨ | ٢١٥ ٢١٤ ١٤٣ ١٢٨ |
| | ٦٢ وادي شردوع | | ٢٢٩ ٢١٧ ١٥٩ ميورقة |
| | ٢٨ وادي صيفير | | |
| ٢٤١ | ٢٤٠ وادي العبيد | | |
| | ٢٣٤ وادي نو | | |
| | ١١١ وادي ماسة | | |
| ١٧٩ | ١٢٠ ٦٢ وادي ملوية | | |
| | ٣١ وادي منى | | |
| ٩٣ | ٨٦ وادي نقيس | | |
| | ٢٦٠ وادي وادغفر | | |
| | ٢١٣ وادي يسر | | |
| ١٩٣ | والدة الاذفونش | | |
| | ١٥٠ وبنة | | |
| ٢٥٠ | ٢١٩ ٣٢ وجدة | | |
| ١٠٧ | ١٠٥ ٧٢ ٣٢ وهران | | |
| | ١٤٣ ١٠٨ | | |

حرف (ي)

| | | |
|-----|-----|------------------|
| | ١١٩ | يابرة |
| | ١٥٩ | يابسة |
| ١٨٤ | ١٤١ | ٦٥ يابورة |
| | ١٧٩ | أليمن |
| ١٧٦ | | يوم وادي المخازن |

حرف (ن)

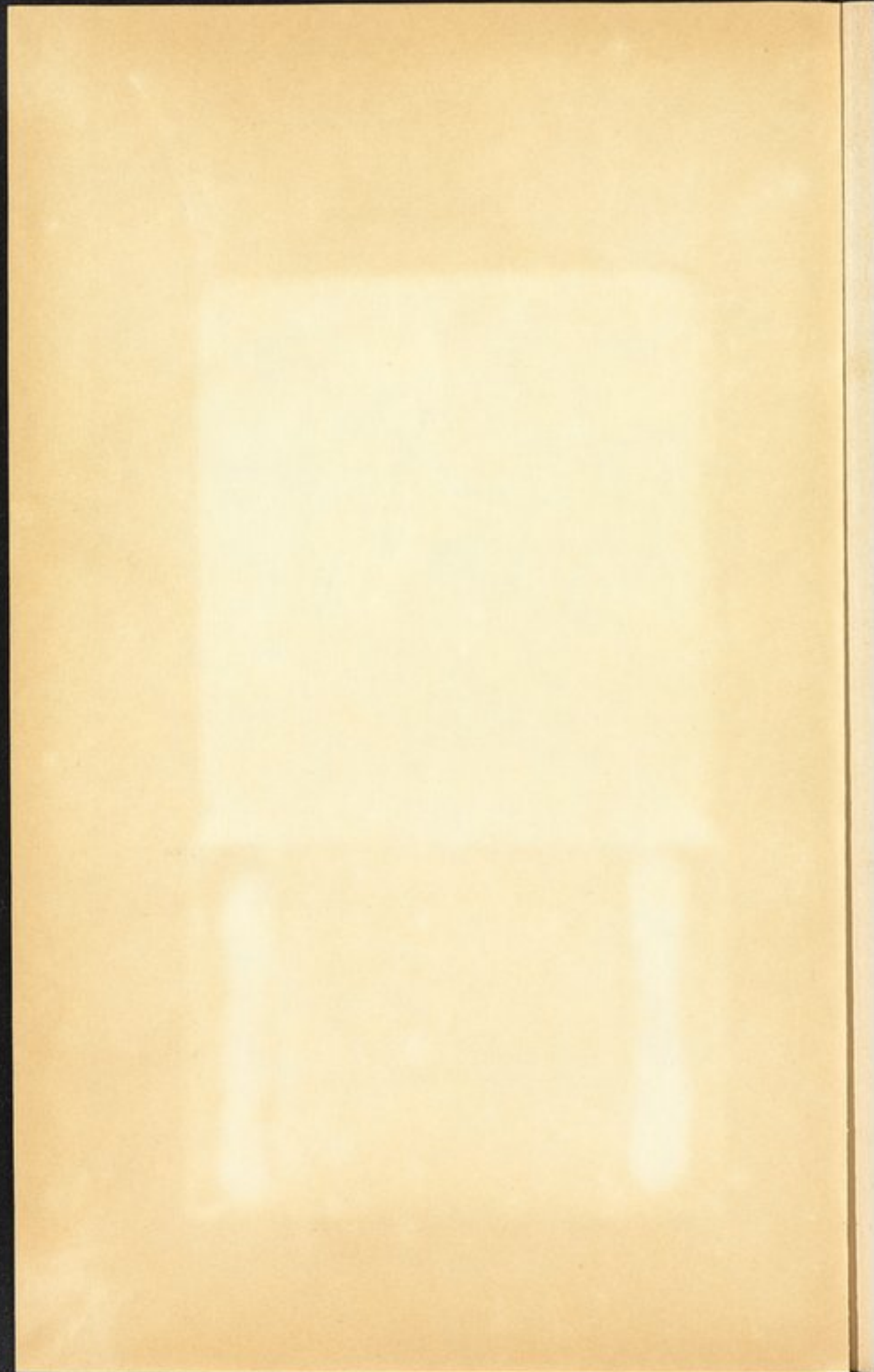
| | | |
|----|-----|-----------------------|
| | ١٦٠ | نابلس |
| | ١٨٠ | نجران |
| | ١٦٧ | نجد |
| ١٤ | ٧ | نقيس - مدينة |
| | ٣٢ | نكور - مدينة |
| | ٥٤ | نهر اشبيلية |
| ٣٨ | | النهر الاعظم باشبيلية |
| | ٤٤ | نهر بطليوس |
| | ٢٠٣ | نهر سلا |
| | ١٦٥ | النيل |

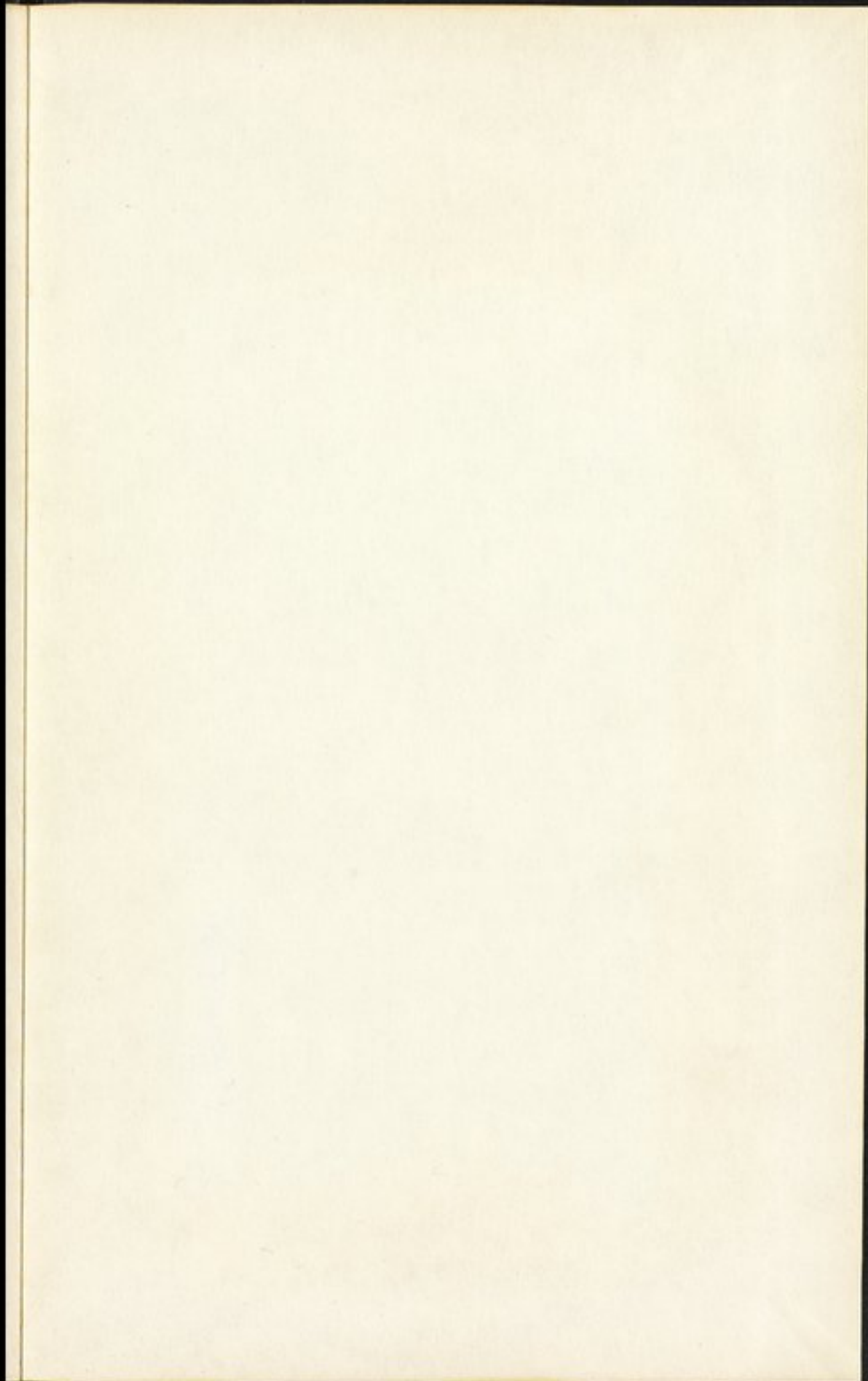
حرف (هـ)

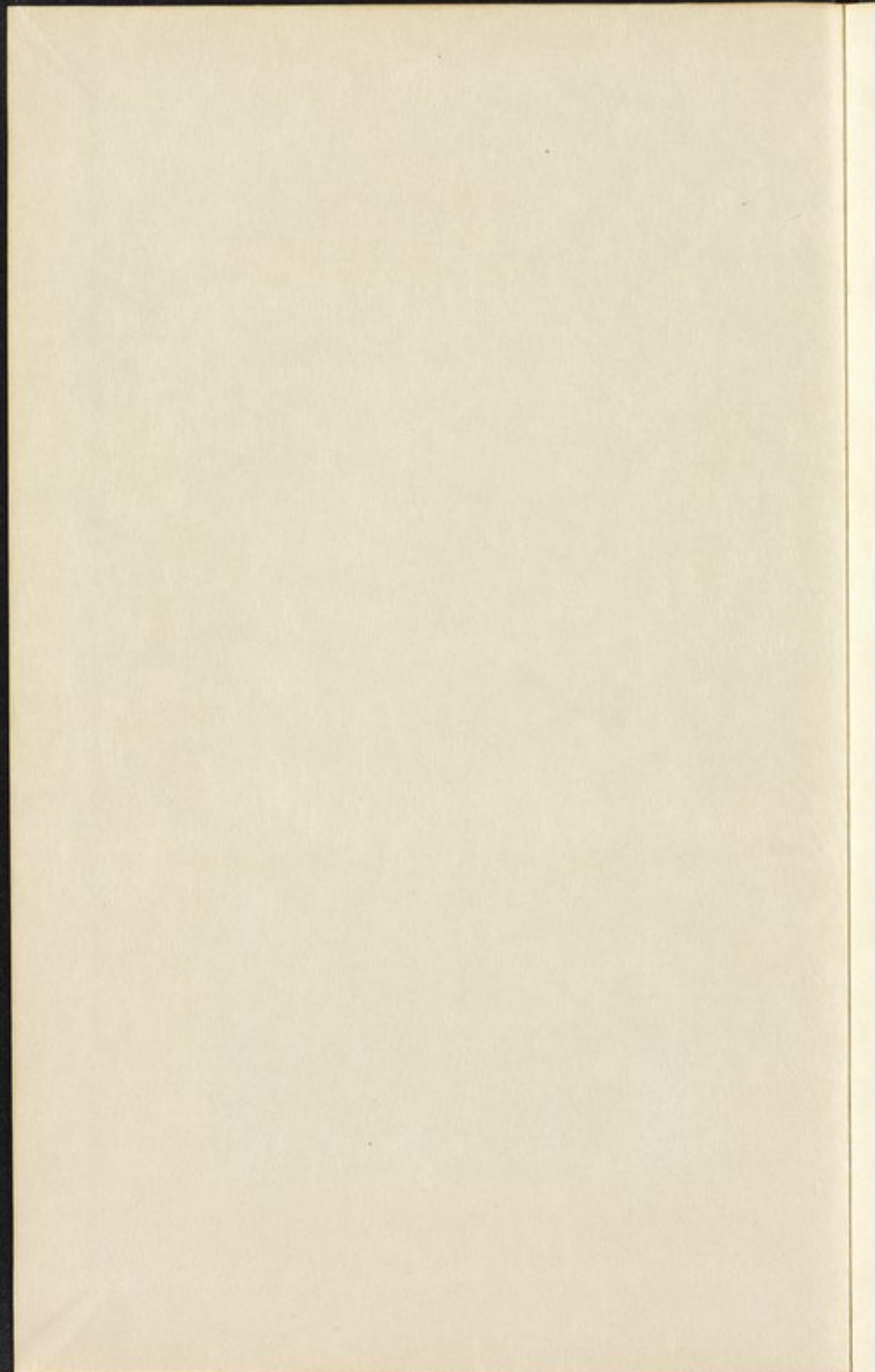
هنين ٩٩

حرف (و)

| | | |
|-----|-----|----------------|
| | ٨٢ | وانشريس |
| | ٢٠٢ | وادي آش |
| ١٩٥ | ١٥١ | وادي اشبيلية |
| ١٤٤ | ١٤٢ | وادي أم الربيع |
| | ٢٦٠ | ٢٥٥ |







DUE DATE

OFFIC. JAN 27 1989

OLX MAR 20 1995

GL/Rac MAR 22 1995

201-6503

Printed
in USA

14012960
COLUMBIA UNIVERSITY LIBRARIES



* 0114012960 *

BUTLER STACKS

GENCO

SEP 7 1967
FEB 14 1978

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE



CU17934826